ارشاد النقاد

الى تيسير الاجتهاد

للسيد العلامة بدر الاسلام والمسلمين

محمد بن اسماعيل الامير الصنعانى صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام

المتوفى سنة ١١٨٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ذلل صعاب علوم الاجتهاد لعلماء الامة * وحفظها بأساطين الحفاظ وجهابذة الائمة * فتتبعوها من الافواه والصدور * وخلدوها للمتأخرين من الامة فى الاوراق والسطور * واستنبطوا من القواعد ما لا يزول بمرور الدهور * وأطلعوا من أنوار علم الكتاب والسنة على أنوار البصائر نوراً على نور

وأشهد أن لا إله إلا الله المتكفل بحفظ علوم الدين * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى يحمل علمه من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين * صلى الله عليه وعلى آله قرناء القرآن * صلاة وسلاماً يدومان مادارت الافلاك واختلف الملوان (١)

وبعد فان السيد قاسم بن محمد الكبسى رحمه الله سأل عن المسائل العلمية والابحاث العملية * نزلت علينا نزول الغيث على الرياض * بل العافية على

١ ـ الملوان : الليل والنهار

الاجسام المراض * وخلاصة ماشتمل عليه انه هل يكون العمل من المتأخرين بتصحيح الائمة من أهل الحديث للحديث أوتحسينه أوتضعيفه تقليداً لاولئك الحفاظ من الائمة والاعيان من الامة فيما وصفوا به الحديث من تلك الصفات ويكون القائل لذلك والعامل به مقلداً أو يكون فيما قبله من كلامهم في ذلك وعمل به مجتهداً

فانه قال السيد الامام محمد بن ابراهيم في الروض الباسم ان قول الثقة العارف الذي ليس له قاعدة في التصحيح معلومة الفساد ان الحديث صحيح يجب قبول قوله بالادلة العقلية والسمعية الدالة على قبول خبر الواحد وليس ذلك بتقليد بل هو عمل بما أوجبه الله تعالى من قبول خبر الثقات هذا كلامه ولكنه خالف كلام القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي في شرح بلوغ المرام فانه قال من لم يكن أهلا للنقد والتصحيح فله أن يقلد فى ذلك من صحح أو حسن ممن هو أهله فان لم يكن أحد من الائمة تكلم بذلك على الحديث وليس هو بأهل للنقد لم يجز له الاحتجاج بالحديث إذ لايأمن من أن يحتج بما لايحل الاحتجاج به قال ولهذا أحال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح * والتقليد في التصحيح يخرجه عن القصد وهو الاجتهاد قال ولم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض بالنظر الى قوة الدلالة أو الى كثرة من صحح أو جلالته والواجب الرجوع الى الظن القوى بحسب الامكان رأيت السائل دامت افادته جنح الى ترجيح كلام القاضى قائلا انه قد يفرق بين التصحيح والتضعيف وبين الرواية فان تصحيح الحديث وتضعيفه مسئلة اجتهادية ونظرية قد يختلف الامامان العظيمان في الحديث الواحد فأحدهما يذهب الى صحته أو حسنه والآخر الى ضعفه أو وضعه باعتبار ماحصل لهما من البحث والنظر وليس حال الرواية كذلك فان مدارها على الضبط والعدالة * ومدار التصحيح والتحسين ونحوهما على قوة اليد فى معرفة الرجال والعلل المتعلقة بالاسانيد والمتون ومعرفة الشواهد والمتابعات والقاضي قد جزم بان قول الحافظ

في التصحيح تقليد واذا نظرتم الى تصرف العلامة الحسن بن احمد الجلال فى ضوء النهار لم يجد الانسان في يده غير ما أشار اليه القاضى من الترجيح بقوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالته ولم يكن ممن يعرف الاسانيد والعلل مثل المنذرى وابن حجر والنووي ومن في طبقتهما من المتأخرين دع عنك الائمة الكبار مثل الحاكم والدارقطني مع تصريحه فى غير موضع من كتبه بالاجتهاد المطلق وكذا العلامة المقبلى سلك هذا المسلك ولم يزل هذا السؤال يخطر بالبال فافضلوا بالجواب انتهى ماحرره السائل لازال مفيداً ولابرح في أنظاره العلمية سديداً * وأقول : الجواب يظهر ان شاء الله تعالى بذكر فصول تشتمل على ايضاح المسئلة بمشيئة الله تعالى وهدايته .

فصل

رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه نخبة الفكر الحديث الصحيح بانه مانقله عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولاشاذ وقال وهو الصحيح لذاته وقريب منه رسم ابن الصلاح وزين الدين بانه ما اتصل اسناده بنقل عدل ضابط عن مثله من غير شذوذ ولاعلة قادحة اذا عرفت هذا فهذه خمسة قيود ثلاثة وجودية واثنان عدميان وكلها أخبار: كأنه قال الثقة حين قال حديث صحيح هذا الحديث رواته عدول مأمون الضبط متصل اسنادهم لم يخالف فيه الثقة مارواه الناس وليس فيه أسباب خفية طرأت عليه تقدح فى صحته وحينئذ فقول الثقة صحيح يتضمن الاخبار بهذه الجمل الخمس وقد تقرر بالبرهان الصحيح ان الواجب أو الراجح العمل بخبر العدل والقبول له وتقرر ان قبوله ليس من التقليد لقيام الدليل على قبول خبره فالتصحيح مثلا والرواية للخبر قد اتفقا أنهما اخبار إما بالدلالة المطابقية أو التضمنية او الالتزامية * أما قبول خبره الدال بالمطابقة فلا كلام فيه كقوله زيد قائم وأما قبول خبره الدال بالتضمن أو الالتزام فيدل على قبوله انهم جعلوا من طرق التعديل حكم مشترط العدالة

بالشهادة وعمل العالم المشترط لها رواية من لايروى الا عن عدل فانهم صرحوا في الاصول وعلوم الحديث ان هذه طرق التعديل ومعلوم ان دلالة هذه الصور على عدالة الراوى والشاهد التزامية فقول الثقة حديث صحيح يتضمن الاخبار بالقيود الخمسة والرواية لها ولايقال ان اخباره بانه صحيح اخبار على ظنه بحصول شرائط الصحة عند ظنه كما يدل له انه صرح زين الدين وغيره بان قول المحدثين هذا حديث صحيح اى فيما يظهر لنا عملا بظاهر الاسناد لا انه مقطوع بصحته في نفس الامر لانا نقول اخبار الثقة بان زيداً عدل اخبار عن ظنه بانه آت بالواجبات مجتنب للمقبحات بحسب مارآه من ذلك وأخبر مع جواز انه في نفس الامر غير مسلم لكن هذهالتجويزات لايخاطببها المكلف

فان قلت من شروط الصحيح السلامة من الشذوذ والعلة وليس مدرك هذين الامرين الاخبار بل تتبع الطرق والاسانيد والمتون كما أشار اليهالسائل *

قلت أما اولا فالشذوذ والاعلال نادران والحكم للغالب لاللنادر ألا ترى ان الراجح العمل بالنص وان جوز انه منسوخ عملا بالاغلب وهو عدم النسخ وبرهان ندورهما يعرف من تتبع كلام أئمة الحديثعلى طرق الاحاديث من مثل البدر المنير وتلخيصه فانهم يتكلمون على ما قيل في الحديثفتجد القدح بالشذوذ والاعلال نادراً جداً بل قال السيد محمد بن ابراهيم في التنقيح ظاهر الحديث المعل السلامة من العلة حتى تثبتالعلة بطريقمقبولة وأما ثانياً فقول الثقة هذاصحيح أىغير شاذ ولامعلل إخبار بأنهلم يقع في رواته راو ثقةخالفالناس فيه ولاوجدت فيه علة تقدح في صحته وهذا اخبار عن حال الراوى بصفة زائدة على مجرد عدالته وحفظه أو حال المتن بأن ألفاظهمصونة عنذلك وليس هذا خبراً عن اجتهاد بل عن صفات الرواة والمتون فانه اخبار بانه تتبع أحوال الرواة حتى علم من أحوالهم صفات زائدة على مجرد العدالة وفي التحقيق هى عائدة الى تمام الضبط وتتبع مروياتهم حتى أحاط بالفاظها فالكل عائد الى الاخبار عن الغير لاعن الاجتهاد الحاصل عن دليلينقدح له منه رأى : وأنت

اذا نظرت الى الائمة النقاد من الحفاظ كالحاكم أبي عبدالله وأبى الحسن الدارقطني وابن خزيمة ونحوهم كالمنذرى وتصحيحهم لاحاديث وتضعيفهم لاحاديث واحتجاجهم على الامرين مستنداً الى كلام من تقدمهم كيحيى بن معين واحمد بن حنبل وأبي عبدالله البخارى ومسلم وغيرهم من أئمة هذا الشان وانه ثبت له عنهم أو عن أحدهم انه قال فلان حجة أو ثبت أو عدل أو نحوها من عبارات التعديل وانهم قالوا في غيره انه ضعيف أو كذاب أو لاشيء أو نحوها ثم فرعوا على هذه الروايات صحة الحديث أو ضعفه باعتبار ماقاله من قبلهم فانه تجنب ابن اسحاق من تجنبه من أهل الصحاح بقول مالك فيه مع ان ابن اسحاق أمام أهل المغازى وقدحوا أيضاً في الحارث الاعور بكلام الشعبي فيه ولم يلقوا ابن اسحاق ولاالحارث بل قبلوا كلام من تقدم فيهم من الائمة واذا حققت علمت ان تصحيح البخارى ومسلموغيرهما مبنى على ذلكوكذلك تضعيفهما فانهما لم يلقيا إلا شيوخهما من الرواة وبينهم وبين الصحابة وسائط كثيرون اعتمدوا فى ثقتهم وعدمها على الرواة من الائمة قبلهم فلم يعرفوا عدالتهم وضبطهم الا من أخبار أولئك الائمةفاذا كان الواقع منمثلالبخارى في التصحيح تقليداً لانه بناه على اخبار غيره عن أحوال من صحح أحاديثهم كان كل قابل لخبر من تقدمه من الثقات مقلداً وان كان الواقع من البخارى من التصحيح اجتهاداً مع ابتنائه على خبر الثقات فليكن قولنا بالصحة لخبر البخارى المتفرععن اخبار الثقات اجتهاداً فانه لافرق بين الاخبار بان هؤلاء الرواة ثقات حفاظ وبين الاخبار بان الحديث صحيح الا بالاجمال والتفصيل وكأنهم عدلوا عن التفصيل الى الاجمال اختصاراً وتقريباً لانهم لو أعقبوا كل حديث بقولهم رواته عدول حافظون رووه متصلا ولاشذوذ فيه ولاعلة لطالت مسافة الكلام وضاق نطاق الكتاب الذي يؤلفونه عناستيفاء أحاديث الاحكام فضلا عما سواها من الاخبار على ان هذا التفصيل لايخلو عنالاجمال إذ لم يذكر فيه كل راو على انفراده بصفاته بل في التحقيق ان قولهم عدل

معدول به عن آت بالواجبات مجتنب للمقبحات محافظ على خصال المروءة متباعد عن أفعال الخسة فعدلوا عن هذه الاطالة الى قولهم عدل فقولهم عدل خبر انطوت تحته عدة أخبار كما انطوت تحت قولهم صحيح * اذا عرفت هذا تبين لك صحة قول صاحب الروض الباسم وانه الصواب فيما نقله السائل عنه ومثله قوله في التنقيح انه ان نص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين المأمونين فيتقبل منهم ذلك للاجماع وغيره من الادلة الدالة على قبول خبر الآحاد ذلك مبين في موضعه ولايجوز ترك ذلك متى تعلق الحديث بحكم شرعي

فصل

اذا عرفت ماقررناه فاعلم انه لامانع لمن وجد فى هذه الاعصار حديثاً لم يسبق عليه كلام امام من الائمة بتصحيح ولاغيره فتتبع كلام أئمة الرجال في أحوال رواته حتى حصل له من كلامهم ثقة روايته أو عدمها فجزم بايهما على الحديث كما جزم من قبله من أئمة التصحيح والتضعيف من مثل البخارى وغيره ومستنده في ذلك مستند من قبله كما أوضحناه * غاية الفرق انه كثر الوسائط في حقه لتأخر عصره فكانوا أكثر من الوسائط في حق من تقدمه لقرب عصرهم وهذا موجب لمشقة البحث عليه لكثرة الرواة الذين يبحث عن أحوالهم ولكن ربما كان ثوابهم أكثر لزيادة مشقة البحث هذا إن كانت طريق المتأخر هى الرواية وأراد معرفة أحوال شيوخه وتحقيقها حتى يبلغ الى مؤلف الكتاب الذى قرأه وأما اذا كانت طريقه الاجازة أو الوجادة فانه لاكثرة للوسائط أصلا بل هو كالقدماء فى ذلك وحينئذ فيكون مجتهداً فيما حكم بصحته مثلا فانه كما انه لامحيص عن القول بان تصحيح الائمة الاولين اجتهاد فانه انما بنوه على مابلغ اليهم من أحوال الرواة ففرعوا عليه التصحيح وجعلوه عبارة عن ثقة الرواة وضبطهم كذلك لامحيص عن القول بان ماصححه من بعدهم الى يومنا هذا أو ضعفوه أو حسنوه حكمه حكم ماقاله الاولون من الائمة اذ الاصل فى

الكل واحد وهو قبول اخبار من سلف عن احوال الرواة وصفاتهم والا كان القول بخلاف هذا تحكما لا يقول به عالم واذا عرفت هذا عرفت ضعف ما قاله ابن الصلاح بل بطلانه من انه ليس لنا الجزم بالتصحيح في هذه الاعصار وقد خالفه النووي ورجح زين الدين كلام النووى وهو الحق ولعل القاضي شرف الدين اغتر بكلام ابن الصلاح في هذا الطرف: واما قول القاضى ان القول بتصحيح الائمة الماضين والعمل عليه تقليد لهم فلا اعلم فيه سلفا بل الحق ما قررناه لك من قول الامام صاحب العواصم رحمه الله :

فصل

واما قول القاضي رحمه الله انه احال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح والاهلية لذلك فكلام لايليق صدوره عن مثله فانه علل الاحالة بالتعسر وغير خاف على ناظر انه لو سلم التعسر لبعض طرق لا يصير محالا غايته انه يصير متعسرا لا محالا ولكن قد اطبقت عامة اهل المذاهب الاربعة في هذه الاعصار وما قبلها على ماقاله القاضى شرف الدين واشتد منهم النكير على مدعى الاجتهاد من علمائهم قائلين انه قد تعذر ذلك من بعد الائمة الاربعة وضاق مجال الاجتهادولم يبق فيه لمن بعدهم سعة واطالواذلك بمالاطائل تحته فانه غير خاف على من له نباهة ان هـذا منهم تهويل ليس عليـه تعويل ومجرد استبعاد لا تهول قعاقعة الاذكياء النقاد وكأن اولئك المستبعدين لما رأوا كثرة اتباع الائمة المتقدمين وعظمتهم لما وهب الله لهم من العلم والدين في صدور الاعيان من المتأخرين ظنوا أنهم غير مخلوقين من سلالة من طين ولو نظروا بعين الانصاف وتتبعوا احوال الاسلاف والاخلاف لعلموا يقينًاان في المتأخرين عن اولئك الائمة من هو اطول منهم في المعارف باعا واكثر فى علوم الاجتهاد اتساعا قد قيضهم الله لحفظ علوم الاجتهاد من كل ذى همة صادقة ونية صالحة

من العباد قد قربوا للمتأخرين منها كل بعيد ومهدوها لهم كل تمهيد فمنهم من قيضه الله لتتبع علم اللغة من افواه الرجال ومن السنة النساء والصبيان فى بطون الاودية ورؤوس الجبال فرحل الى بواديهم ونزل معهم في موارد مياههم ومراعي مواشيهم وتتبعهم في البوادى والقفار وواصلهم تحت الاشجار والاحجار ولازمهم في الليل والنهار وصاحبهم في الاوطان ورافقهم في الاسفار وقام باقامتهم في المضارب والخيام وبيوت الشعر والتلول والاكام يعرف ذلك من نظر في رحلة الاصمعي والازهرى وغيرهما من كل ذى همة سري حتى جمعوا فنونها واناطوا معانيها واجروا عيونها واظهروا مخزونها حتى اصبحت بحارا ذاخرة ورياضا ناضرة وانواعا متكاثرة ومؤلفات فاخرة قد فاق من عرفها من لاقى قس بن ساعدة وسحبان وصار دونه من اختلط بالعرب العرباء في كل مكان وعلم اللغة بانواعه هو عمدة علوم الاجتهاد وبالتبحر فيه وعدمه تتفاوت النقاد والقى الله في قلوب اقوام محبة السنة النبوية والاثار السلفية ورزقهم هما تناطح السماك وتطاول الاطلس من الافلاك فارتحلوا لطلبها من الاقطار وفارقوا الاوطان والاوطار وطووا في حبها الفيافى والقفار وقنعوا من الدنيا بالكفاف وتركوا لغيرهم اللذات والاتراف واتخذوا الزهد شعارا والقناعة دثارا فسهر الاجفان الذ اليهم واطيب من المنام والجوع اشهى من الامتلاء من نفيس الطعام يرتحلون لسماع الحديث الواحد من الاقطار الشاسعة ويطلبون من الاقاليم المتباعدة الواسعة ففي مثلهم يقال

طوراً تراهم في الصعيد — وتارة في أرض آمد
فيبتغون من العلوم — بكل أرض كل شارد
يدعون أصحاب الحديث — بهم تجملت المشاهد

فهذا ابو عبد الله البخارى رحل بعد احاطته بحديث شيوخ بلدته الى الشام والكوفة والبصرة وبلخ وعسقلان وحمص ودمشق وكتب عن الف شيخ وثمانين شيخا وجمع للمسلمين هذه الاحاديث التى تتبعها من الآفاق وصحب فى تطلبها

الرفاق بعد الرفاق في كتابه الجامع الصحيح بقراءة المحدث قراءة تحقيق واتقان في أشهر شهرة الزمان (١) وغيره من أئمة هذا الشأن لهم أكمل منة على أهل الايمان فانهم تعبوا في جمع الاحاديث للمتأخرين وورعوا أوقاتهم في تحصيل ما فيه نفع المسلمين حتى لم يبق لهم وقت لغير نسخ الحديث أو السماع ففي النبلاء في ترجمة الامام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب التفسير والجرح والتعديل والمسند الذي الفه في الف جزء قال كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة كل نهارنا نقيم بمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة قال فاتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقالوا انه عليل فرأينا في طريقنا سمكة اعجبتنا فاشتريناها فلما وصلنا الى البيت حضر وقت المجلس فلم يمكنا اصلاحه ومضينا الى المجلس ولم نزل حتى مضى عليه ثلاثة أيام وكاد ان يتغير فاكلناه نيا لم يكن لنا فراغ ان نعطيه من يشويه ثم قال لا يستطاع العلم براحة الجسم وفي مثلهم يقال :

ان علم الحديث علم رجال ... تركوا الابتداع للاتباع

فاذا جن ليلهم كتبوه ... واذا اصبحوا غدوا للسماع

فأئمة الحديث جعل الله غذاءهم ولذتهم قراءة الحديث وكتابته ودراسته وروايته ورزقهم حفظا يبهر العقول ويكاد ان لا يصدقه من يسمع ما حكي عنهم في ذلك من المنقول حفظ الله تعالى بهم السنة. وبهم يتم على عباده كل منة قد حفظوا الفاظ الاحاديث كحفظ القرآن واحرزوا كل لفظ منه بتحقيق واتقان والفوا فيها الجوامع النافعة والمسانيد الواسعة ثم تعبوا في احوال الرواة وصفاتهم ورحلتهم ومواليدهم وبلدانهم ووفاتهم حتى صار من عرف تراجمهم واحوالهم كأنه شاهدهم وزاحمهم بل صار أعرف باحوالهم من المشاهد لهم والمعاصر لانه قد يخفى على من عاصرهم بعض احوال من عارضه وشاهده وأما من طالع تراجمهم وتلقى عن الثقات اخبارهم فانه يراهم قد جمعوا من احوالهم وصنفوا من

(١) قوله بقراءة المحدث الخ هكذا الاصل ولعل صواب العبارة هكذا يقرأه المحدث قراءة تحقيق واتقان في أشهر من الزمان والله أعلم

تعيين آثارهم ورحلهم ويقظتهم ومنامهم وتتبعوا احوالهم من كل عارف موافق ومخالف حتى اجتمع لمن قرأ أخبارهم ما لم يجتمع لمن شاهدهم من الاوصاف وهذا أمر لا ينكره الا من حرم الانصاف

الا ترى ان من عرف تراجم الائمة الستة أهل الامهات من كتب أئمة التاريخ عرف احوالهم واوصافهم كانه لاقاهم ورآهم لقاء خبرة وروية مخالة وحصل له من الاطمئنان باقوالهم ويقر في قلبه من امامتهم في الدين وعظم نصحهم للمسلمين ما لا يحوم حوله قدح قادح ولا جرح جارح حتى لو جاءه من ينازعه في حفظ البخاري وتقواه لمافت ذلك في عضد يقينه بحفظه وهداه وكذلك غيره من الائمة ومثلهم الرواة فان الله يسر أقواماً جعل هممهم العالية وافكارهم الصافية مصروفة الى تتبع احوال رجال الحديث ورواته في القديم والحديث ثم الفوا في الرجال ما يطلع الناظر على كل ما يقال من جرح وتعديل . قال وقيل فذللوا للمتأخرين ما كان صعباً وصيروا بهمتهم ما كان ضيقاً واسعاً رحباً جمعوا ما كان متفرقاً ولفقوا ما كان ممزقاً قد قربوا العلوم الحديثية أتم تقريب باكمال وتقريب وتهذيب فاجتمع للمتاخرين من احوال المتقدمين اجماعاً لم يتم للاولين فانها اجتمعت لهم معارف العارفين واقوال المتخالفين وكل من الائمة ما زال حريصاً على تقريب المعارف للمسلمين حتى الفوا الكتب على حروف المعجم في الرجال والمتون واتوا بما لم يأت به الاولون فلم يبق للمتأخرين الا الاقتطاف لثمرات المعارف والارتشاف بكؤوس قد اترعها لهم كل امام عارف ابقاء لحجة الله على العباد وحفظا لعلوم الدين الى يوم المعاد

فصل

اذا عرفت هذا فكيف يحال في حق المتاخرين الاجتهاد المطلق لتعسر بعد هذه الاشياء التى ساقها الله الى ائمة الاجتهاد على ايدى اهل الحفظ والورع والانتقاد الا ترى انك لو وجدت حديثا في مسند ابن ابي شيبه أو عبد الرزاق أو غيرهما

ولم تجد فيه كلاما لاحد ائمة الحديث باحدى الصفات الثلاث ورأيت من رواية الحجاج بن ارطاة.مثلا فانك تحكم بضعفه لكلام الائمة في الحجاج كما يحكم بذلك الدار قطني والمنذري مثلا وما لاقاه الدار قطني ولارآه بل وقف على ما وقفت عليه من كلام ائمة الجرح * غاية الفرق انها قد تكون طريق الدار قطني في ذلك السماع وطريقك الوجادة وهذا لا يخرجك عن جواز التكلم بما تكلم به أو وجدت حديثا كذلك ثم نظرت كلام ائمة التعديل في رجاله فوجدتهم موثقين فاى مانع لك عن تصحيحه مثلا كما يفعله الحافظ المنذرى وابن حجر فانهما يتكلمان على عدة من الاحاديث تصحيحا وتحسينا وتضعيفا وطريقهما في ذلك تتبع اقوال ائمة الجرح والتعديل في رجاله كما انها طريقة الناظر فى هذه الاعصار وهما لم يلقيا الا شيوخهما كما انك لم تلق الا من رويت عنه أو قرأت عليه ان كانت طريقك القراءة لا الوجادة او الاجازة

فصل

قد علمت مما سقناه ان الله وله الحمد والمنة قد قيض للمتأخرين أئمة من المتقدمين جمعوا لهم العلوم اللغوية والحديثية من الافواه والصدور وحفظوها لهم في الاوراق والسطور وذللوا لهم صعاب المعارف وقادوها الى كل ذكى عارف ودونوا الاصول واللغة بأنواعها مع انتشارها واتساعها وادخلوا علوم الاجتهاد لاهلها من كل باب تارة بايجاز وتارة باسهاب واطناب وهذا شيء لا شك فيه ولا ارتياب ولا يجهله الا من ليس من اولى الالباب الذين نحوهم يساق هذا الخطاب

وبعد هذا فالحق الذى ليس عليه غبار الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الاعصار وانه اسهل منه في الاعصار الخالية لمن له في الدين همة عالية ورزقه الله

فهما صافيا وفكرا صحيحا ونباهة في علمي السنة والكتاب فان الاحاديث في الاعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال وعلوم اللغة في افواه سكان البوادى ورؤوس الجبال حتى جمعت متفرقاتها ونفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج طالب العلم في هذه الاعصار الى الخروج من الوطن والى شد الرحل والظعن فياعجباه حين تفضل الله بجمعها من الاغوار والانجاد وسهل سياقها للعباد حتى اينعت رياضها واترعت حياضها واجريت عيونها وتهدلت بثمراتها غصونها وفاض فى ساحات تحقيقها معينها واشتد عضدها وجل ساعدها وكثر معينها تقول تعذر الاجتهاد ما هذا والله الا من كفران النعمة وجحودها والاخلاد الى ضعف الهمة وركودها الا انه لابد مع ذلك اولا من غسل فكرته عن ادران العصبية وقطع مادة الوساوس المذهبية وسؤال للفتح من الفتاح العليم وتعرض لفضل الله فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فالعجب كل العجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد فى هذه الاعصار وانه محال ما هذا الا منع لما بسطه الله من فضله لفحول الرجال واستبعاد لما خرج من يديه واستصعاب لما لم يكن لديه وكم للائمة المتاخرين من استنباطات رائقة واستدلالات صادقة ما حام حولها الاولون ولا عرفها منهم الناظرون ولا دارت في بصائر المستبصرين ولا جالت في افكار المفكرين

فصل

ومن هذا نعرف انه لا فرق بين اجتهاد من ذكره السائل من العلامة الجلال والمقبلى واجتهاد من تقدمهما من الائمة الاربعة الذين اتفقت الامة على اجتهادهم وان مرجعهما في تصحيح الاحاديث ليس بتقليد لائمة التصحيح بل قبول رواية وهذا الشافعى رضي الله عنه اتفقت الامة على اجتهاده ومرجعه في صحة الاحاديث وعدمها الى ائمة الحديث فانه يقول فى مواضع اذا لم يعمل بالحديث انه لم يرتض

رواية هذا الحديث ونحو هذه العبارة في محلات من تلخيص ابن حجر وتيسير البيان وغيرهما من الكتب المجموعة لسرد الادلة والتفتيش عن احوال رجالها كقوله فى حديث بهز بن حكيم في الزكاة وهذا الحديث لا يثبته اهل العلم بالحديث وهذا هو بعينه ما يقوله الجلال والمقبلى وكل من تقدمهما وقدمنا لك ان البخارى نفسه انما يعتمد ويضرع في التصحيح وغيره على أقوال من تقدمه من الرجال وانه لم يلق الا شيوخه والذين رواه عنهم وصحح لهم اضعاف أضعاف شيوخه وحينئذ يعرف الناظر أنه لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين الا بكثرة الوسائط وقلتها وسيلان الاذهان وجمودها وحركات الهمم وركودها والفضل بيد الله لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع

وأما قول القاضى رحمه الله انه لم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض باعتبار قوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالته فجوابه ان هذا الذى سماه ترجيحا هو الاجتهاد المطلق انما ذنب المتأخر انه تأخر زمنه عن زمان من قال بالقول الراجح والمرجوح فنظر كنظر من قبله من المجتهدين وجزم باحد القولين نظرا الى الدليل فسميتموه ترجيحا لقول غيره وليس كذلك فافرضوا انه لم يتقدمه أحد فانه لو كان زمانه سابقا ورأيتم ما ادعاه وما اقامه من البراهين على دعواه لقلتم أنه مجتهد مطلق ولا يخفى ان تقدم الزمان وتأخره لا اثر له في جميع الادلة والاستنباط منها قطعا بل قد أوضحنا لك ان الله قد جمع شمل الادلة للمتأخرين ولكنكم نظرتم الى تأخر زمانه وانه قد قال بما جنح اليه قائل قبله فقلتم ان هذا المجتهد الآخر رجح ما قاله من قبله بقوة الدلالة أو نحوها قلنا هو عين الاجتهاد ولا يضرنا تسميتكم له ترجيحا

فصل

وأما ما أشار اليه السائل دامت افادته من انه قد يختلف كلام امامين من أئمة الحديث فيضعف هذا حديثا وهذا يصححه ويرمي هذا رجلا من الرواة

بالجرح وآخر يعدله فهذا مما يشعر بان التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد الذي اختلفت فيه الآراء فجوابه ان الامر كذلك أي انه قد تختلف أقوالهم فانه قال مالك في ابن اسحاق انه دجال من الدجاجلة وقال فيه شعبة انه أمير المؤمنين في الحديث وشعبة أمام لا كلام في ذلك وامامة مالك في الدين معلومة لا تحتاج برهانا فهذان امامان كبيران اختلفا في رجل واحد من رواة الاحاديث. ويتفرع على هذا الاختلاف في صحة حديث من رواية ابن اسحاق وفي ضعفه فانه قد يجد العالم المتأخر عن زمان هذين الامامين كلام شعبة وتوثيقه لابن اسحاق فيصحح حديثا يكون من رواية ابن اسحاق قائلا قد ثبتت الرواية عن امام من أئمة الدين وهو شعبة بان ابن اسحاق حجة في روايته وهذا خبر من شعبة يجب قبوله وقد يجد العالم الآخر كلام مالك وقدحه في ابن اسحاق القدح الذي ليس وراءه وراء ويرى حديثا من رواية ابن اسحاق فيضعف الحديث لذلك قائلا قد روى لي امام وهو مالك بان ابن اسحاق غير مرضى الرواية ولا يساوي فلسا فيجب رد خبر فيه ابن اسحاق فبسبب هذا الاختلاف حصل اختلاف الائمة في التصحيح والتضعيف المتفرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواة وكل ذلك راجع الى الرواية لا الى الدراية فهو ناشيء عن اختلاف الاخبار فمن صحح أو ضعف فليس عن رأي ولا استنباط كما لا يخفى بل عمل بالرواية وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل فعرفت ان الاختلاف في ذلك ليس مداره على الرأي ولا هو من ادلة ان مسألة التصحيح وضده اجتهاد نعم وقد يأتي من له فحولة ونقادة ودراية بحقائق الامور وحسن ذو وسعة اطلاع على كلام الائمة فانه يرجع الى الترجيح بين التعديل والتجريح فينظر في مثل هذه المسألة الى كلام الجارح ومخرجه فيجده كلاماً خرج مخرج الغضب الذى لا يخلو عنه البشر ولا يحفظ لسانه حال حصوله الا من عصمه الله فانه لما قال ابن اسحاق اعرضوا على علم مالك فانا بيطاره فبلغ مالكا فقال تلك

الكلمة الجافية التى لولا جلالة من قالها وما نرجوه من عفو الله من فلتات اللسان عند الغضب لكان القدح بها فيمن قالها أقرب الى القدح فيمن قيلت فيه فلما وجدناه خرج مخرج الغضب لم نره قادحا فى ابن اسحاق فانه خرج مخرج جزاء السيئة بالسيئة على ان ابن اسحاق لم يقدح في مالك ولا فى علمه غاية ما أفاد كلامه انه أعلم من مالك وانه بيطار علومه وليس فى ذلك قدح على مالك : ونظرنا كلام شعبة في ابن اسحاق فقدمنا قوله لانه خرج مخرج النصح للمسلمين ليس له حامل عليه الا ذلك وأما الجامد فى ذهنه الابله في نظره فانه يقول قد تعارض هنا الجرح والتعديل فيقدم الجرح لان الجارح أولى وان كثر المعدل وهذه القاعدة لو أخذت كلية لم يبق لنا عدل الا الرسل فانه ما سلم فاضل من طاعن من ذلك لا من الخلفاء الراشدين ولا أحد من أئمة الدين كما قيل

فما سلم صديق من رافض ولا نجا من ناصبي على
وما سلم الله من بريته ولا رسول الله فكيف انا

القاعدة ظاهرية يعمل بها فيما تعارض فيه الجرح والتعديل من المجاهيل على ان لك ان تقول كلام مالك ليس بقادح في ابن اسحق لما علمت انه خرج مخرج الغضب لا مخرج النصح للمسلمين فلم يعارض فى ابن اسحق جرح

وأعلم ان ذكرنا لابن اسحق والكلام فيه مثال وطريق يسلك منه الى نظائره واذا عرفت هذا فهو الترجيح لا يخرج ماذكرناه عن كونه من باب قبول اخبار العدول بل هو منه انما لما تعارض الخبران عندنا فى حال هذا الراوي تتبعنا حقائق الخبرين ومحل صدورهما والباعث على التكلم بهما فظهر الاعتماد على احدهما دون الآخر فهو من باب قبول الاخبار فهكذا يلزم الناظر البحث عن حقائق الاحوال وعن الباعث عن صدورها من افواه الرجال فانه يكون كلامه بعد ذلك اقوم قيلا واحسن دليلا واوفق نظراً واجل قدرا فمن عمل برواية التعديل والتزكية ومن يعمل برواية القدح والتجريح وان كان الكل قابلين لاخبار العدول عاملين بما يجب عليهم من قبول خبر المنقول فالكل مجتهدون

ولكن تخالفت الآثار وتفاوتت الانظار ومن هنا ونحوه وقع اختلاف المجتهدين في عدة مسائل من امهات الدين والكل مأجورون بالنص الثابت منهم من له اجر ومنهم من له اجران

ومن هنا علمت ان اختلاف الائمة في تصحيح خبر من امام وتضعيفه من امام آخر ناشيء عما تلقوه من اخبار العدول عن الرواة فهذا لامام لم يبلغه عن الرواة هذا الخبر الذى حكم بصحته الا العدالة والضبط فصحح اخبارهم ولهذا تجد من يتعقب بعض الاحاديث التى صححها امام بقوله كيف تصحيحه وفيه فلان كذاب ونحو هذا ومعلوم ان من صحح هذا الحديث لم يبلغه ان في رجاله كذابا وهذا لامام بلغه من احوال رواة ذلك الخبر أو بعضهم عدم العدالة وسوء الحفظ أو انقطاع الخبر أو شذوذه حكم عليه بعدم الصحة وهذا معروف من جبلة العباد وطبائعهم فمن الناس من يغلب عليه حسن الظن في الناس وتلقي اقوالهم بالصدق ومن الناس من له نباهة وفطنة وطول خبرة لاحوال الناس فلا يكتفي بالظاهر بل يفتش عن الحقائق فيقع على الحق والصواب ولذا اطبق النقاد أن ماصححه الشيخان مقدم على ما صححه غيرهما فى غير ما انتقد عليهما كما يأتى عند التعارض ثم ما انفرد البخارى بتصحيحه مقدم على ما انفرد به مسلم ماذاك الا لحذاقة البخارى ونقادته ومعرفته باحوال الرواة وغيره ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجعلونه في رتبة اعلى من رتبة ما صححه البخارى (١) فهذا التفاضل نشأ من زيادة الاتقان لاحوال المخبرين الا ترى ان الشافعي رضي الله عنه مع امامته يروي عن ابن ابى يحيى ويعبر عنه بالثقة وغيره يقدحون فيه ويتجنبونه في الصحاح وذلك من الاختلاف فى اخبار المخبرين عنه فالشافعي رضى الله عنه ثبت له عدالته وضبطه ويأتى فيه ما اسلفناه من انه لو عمل برواية احد الراويين لترجيح قوي عنده عضده ما يعرفه من حال الراوي جاز

---

(١) هكذا الاصل ولعل صوابه هكذا : وغيره أى البخاري ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجعلون ما صححه البخاري في رتبة اعلا من رتبته فهذا الخ

ذلك فوثقه وغيره ثبت له غير ذلك فتجنبوه والكل عائد الى اختلاف المخبرين

فصل

واذا تقرر لك ماحققناه من ان المصححين والمحسنين والمضعفين رواة أحوال رجال الاسناد يعبرون عن ثقتهم وضبطهم واتصال ماروه وسلامته من الشذوذ والعلة بقولهم صحيح ويعبرون عن خلافه بضعيف : وعما بين الامرين بحسن كما عرف ذلك من علم أصول الحديث فهم رواة مخبرون عن أحوال الرواة للحديث فلابد حينئذ من معرفة أحوالهم كمعرفة أحوال رجال المتن وقد اختلفوا فى مايروونه كاختلاف رواة المتون فمنهم من يصحح الحديث فيأتي من يتبع رجال ذلك الحديث فيجد في رجاله من ليس بصفة رواة الصحيح ولذا ترى النقاد من أئمة هذا الشان يقولون في الاعتراض على بعض المصححين كيف يجزم بصحته وفي رواته فلان كذاب وكذا وكذا من التى لايصح معها تصحيح روايته* وهذا كثير جداً فيما يصححه الحاكم ويوجد قليلا فيما يصححه الترمذى وحينئذ فلابد من التفطن لاحوال المخبرين بالصحة ونحوها وانه لابد فيهم من النباهة وعدم التغفيل وصدق الديانة والنصيحة للمسلمين فان كان المخبر بالصحة مثل أبى عبدالله البخارى ومسلم ومن في طبقتهما ومن خرج على كتابيهما فخبره بالصحة مقبول قد تتبع أئمة هذا الشان وفرسان هذا الميدان ماصححه الشيخان فوجدوه مبنياً على أساس صحيح وخبرة بالرواة ومعرفة واتقان وان وجد الشىء اليسير في رجالهما مما انتقده الحفاظ من بعدهما كانتقاد الحافظ أبى الحسن الدارقطنى على الشيخين فان مجموع ماانتقده عليهما من الاحاديث مائة حديث وعشرة انفرد البخارى منها بثلاثة وسبعين حديثاً واشترك هو ومسلم فى اثنين وثلاثين حديثاً وقد أجاب عنه غيره من الحفاظ بأجوبة فيها الغث والسمين وجملة من قدح فيه من رجال البخارى ثلثمائة وثمانية وتسعون وقد دفع الحافظ ابن حجر ماقدح به فيهم بعضه فيه تكلف وبعضه واضح لكن اذا عرفت عدة

ما اشتمل عليه الكتابان من الاحاديث الصحيحة والرجال الموثقين علمت ان صحة مافيها الاغلب هي فالحكم له فيعمل بما فيها مالم يظن أو يعلم انه من المغلوب وذلك لان العمل بالظن والظن يحصل باخبار من غالب اخباره الصدق ولا ينفت فيه تجويز انه غير صادق فيما اخبر بهمن الصحة مثلا وقد صرح ائمة اصول الحديث بانه لايترك الامن كثر خطاؤه ومعلوم ان خطأ صاحبي الصحيحين في الاخبار بالصحة قليل جداً محصور كما ذكرناه فاما أهل اصول الفقه فانهم قائلون انه لايترك الا من كان خطاؤه اكثر من صوابه كما عرف

وبهذا التحقيق علمت مزية الصحيحين لابما ادعاه ابن الصلاح من تلقي الامة لهما بالقبول فانه قول غير مقبول قد حققنا فى ثمرات النظر في علم الاثر بطلانه بمالا مزيد فيه ومثله في البطلان قول العلامة الجلال في ديباجة ضوء النهار انه يجب العمل بما حسنوه او صححوه كما يجب العمل بالقرآن فانه كلام باطل قد بينا وجه بطلانه فى منحة الغفار حاشية ضوء النهار مع ان دعواه اعم من دعوى ابن الصلاح نعم وان كان المخبر بالصحة مثل ابى عبد الله الحاكم فقد تكلم الناس فيما اخبر به من الصحة واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ولهم في الاحاديث التى صححها فيمستدركه ثلاثة اقوال افراط وتفريط وتوسط فافرط ابو سعيد المالينى وقال ليس فيه حديث على شرط الصحيح وفرط الحافظ السيوطي فجعله مثل الصحيح و ضمه اليهما فى كتاب الجامع الكبير وجعل العزو اليه معلما بالصحة كالعزو الى الصحيحين وتوسط الحافظ ابو عبد الله الذهبي فقال فيه نحو الثلث صحيح ونحو الربع حسن وبقية ما فيه مناكير وعجائب

واذا عرفت هذا عرفت ان الاحوط الوقف في قبول خبر الحاكم بالصحة لانه صار كتابه غير غالبة عليه الصحة بل الصحيح فيه مغلوب وان كان المخبر بالصحة مثل ابي عيسى الترمذي فقد اثنى عليه الائمة وقالوا في كتابه ربع مقطوع(١) وربع على شرط ابى داود والنسائى وفيه غيرهما قد بين علته في كتابه

(١) لعله مقطوع به

وهذا ذكرناه لك معياراً ومقياساً وتمثيلا لاحوال رواة الصحة وانهم كرواة المتون فيهم الحجة الامام وفيهم من فيه لين و مسارعة الى الاخبار بالضعف والوضع كابن الجوزى فانه يسارع الى الحكم بالوضع في احاديث عالية الرتبة عن صفة الوضع وانتقده الائمة فابن الجوزي والحاكم أبو عبد الله في طرفي نقيض هذا يسارع الى الاخبار بالصحة وهذا يسارع الى الاخبار بالوضع فمن هنا يتعين على الناظر ذى الهمة الدينية البحث عن احوال الائمة كالبحث عن احوال رواة المتون ويطيل مراجعة التاريخ فانه بذلك يطلع على حقائق احوال ائمة هذا الشان ويرى مايوجب التوقف تارة والمضىّ أخرى والرد حيناً ما :

فصل

قد يصعب على من يريد درك الحقائق وتجنب المهاوى والمزالق معرفة الحق من اقوال ائمة الجرح والتعديل بعد ابتداع هذه المذاهب التى طال فيها القال والقيل وفرقت كلمة المسلمين وأنشأت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم الدين وقدح بعضهم فى بعض وانتهى الامر الى الطامة الكبرى العظمى من التفسيق والتكفير وشب على ذلك من اهل المذاهب الصغير و شاب عليه الكبير كل هذا من آثار هذه الاعتقادات المبتدعة فى الاسلام والمجانبة لما جاء به سيد الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام فترى اماما من العلماء العالمين يقدح في راو من حفاظ علوم الدين بانه كان يقول بخلق القرآن وتجد اماما آخر يقدح فى راو آخر بانه كان يقول بقدم القرآن وكذلك يقدحون بامور ليست عمدة فى الدين ولا يخرج المتصف بها عن زمرة المتقين ويقدحون بالقول بالقدر والارجاء والنصب والتشيع ثم تراهم يصححون احاديث جماعة من الرواة قد رموهم بتلك القوادح الا ترى ان البخارى أخرج لجماعة رموهم بالقدر كهشام بن عبدالله الدستوائى أخرج له البخاري وقد قال فيه محمد بن سعيد كان حجة الا أنه كان يرى القدر واخرج مالك لجماعة يرون القدر كما قاله ابن عبد البر في أنه سئل

مالك كيف رويت عن داودبن الحصين وثور بن يزيد وذكر له جماعة كيف رويت لهم ولقد كانوا يرون القدر قال كانوا لان يخروا من السماء على الارض اسهل من أن يكذبوا وكم في الصحيحين من جماعة صححوا احاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة .

اذا عرفت هذا فهو من صنيع أئمة الدين قد يعده الواقف عليه تناقضاً ويراه لما قرروه معارضاً ويفت عنده في عضد عظمة أئمة هذا الشان ويظن التصحيح صادراً عن مجازفة من غير اتقان وليس الامر كذلك فانه اذا حقق صنيع القوم وتتبع طرائقهم وقواعدهم نفى عنهم اللوم وعلم أنهم أجل من ذلك قدراً وأدق نظراً وأنصح لاهل الدين من جماعة الثغور المجاهدين وانهم لايعتمدون بعد ايمان الراوى الا على صدق لهجته وضبط روايته وقدأقمنا برهان هذه الدعوى في رسالة ثمرات النظر في علم الاثر برهاناً لايدفعه الا من ليس من الاذكياء ذوي النباهة والخطر

فصل

اذا عرفت هذا فاعلم ان هذه القوادح المذهبية والابتداعات الاعتقادية ينبغي للناظر أن لايلتفت اليها ولايعرج في القدح عليها فان القول بقدم القرآن مثلا بدعة كما ان القول بخلقه بدعة وقد اختار الحافظ ابن حجر رحمه الله لنفسه وحكاه عن الجماهير غيره أن الابتداع بفسق لايقدح به في الراوي الاأن يكون داعية وهذه مسألة قبول فساق التأويل وكفار التأويل وقد نقل في العواصم اجماع الصحابة على قبول فساق التأويل من عشر طرق ومثله في كفار التأويل من أربع طرق واذا عرفت ورأيت أئمة الجرح والتعديل يقولون فلان ثقة حجة الا انه قدرى أو يرى الارجاء أو يقول بخلق القرآن أو نحو ذلك أخذت بقولهم ثقة وعملت به واطرحت قولهم قدري ولايقدح به في الرواية غاية ذلك أنه مبتدع ولايضر الثقة بدعته من قبول روايته لما عرفت من كلام ابن حجر

ومن كلام مالك فان قولهم ثقة قد أفاد الاخبار بانه صدوق . وقولهم يقول بخلق القرآن مثلا اخبار بأنه مبتدع ولا تضرنا بدعته في قبول خبره

ومن هنا يتضح لك اختلال رسم العدالة الذي اتفق عليه الاصوليون والفروعيون وأئمة الحديث بأنها ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وفسروا التقوى باجتناب الاعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة وقد أوضحنا اختلاله فى ثمرات النظر وفى المسائل المهمة وفي منحة الغفار بما يعرف به انه رسم دارس وقول لا يعول عليه من هو لدقائق العلوم ممارس وان أطبق عليه الاكابر فكم ترك الاول والآخر وقد ناقضوه مناقضة ظاهرة بقبول فساق التأويل وكفاره والخوارج وغيرهم من أهل البدع المتكاثرة وبعد هذا فقد تقرر لك بما سقناه واتضح لك بما حققناه ان للناظر في هذه الاعصار أن يصحح ويضعف ويحسن كما فعله من قبله من الائمة الكبار فان عطاء ربك لم يكن محظوراً وافضاله الممدود ليس على السابق مقصوراً وان علوم الاجتهاد فيهذه الاعصار أقرب تناولا منها فيما سلف من أزمنة الائمة النظار الا انه لا يخفى ان الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد فما كل من أحرز الفنون أجرى من قواعدها العيون ولا كل من عرف القواعد استحضرها عند ورود الحادثة التي يفتقر الى تطبيقها على الادلة والشواهد

وما كل من قاد الجياد يسوسها ولا كل من أجرى يقال له مجري

لكن على العبد طلب المعارف والتماسها من كل عارف وسهر الجفون في احراز دقائق الفنون واخلاص النية وطلب الفتح من بارى البرية فالخير كله بيده ولا يلتمس الا من عنده وكم قد رأينا وسمعنا من زكى عارف أمام يضيق عطن بحثه عند ورود حادثة من الاحكام فيتبع أقوال الرجال تقليداً ويعود عندها مقلداً مبلداً كأنه ماغرف من بحار الفنون ولا عرف شيئاً من تلك الشئون نسأل الله أن يعلمنا ماجهلناه ويذكرنا مانسيناه ويرزقنا العمل بما علمنا ويلهمنا الى العلم بما جهلنا انه ولي كل خير واليه تعالى بالعلم والعمل القصد والسير وهو

المقصود في النهاية والابتدا وان الى ربك المنتهى * ومنه نستمد الهداية والتوفيق في كل بداية ونهاية وقد طال المقال وخرج عن مطابقة مقتضى السؤال وان لم نخرج عن مطابقة مقتضى الحال فالمقام جدير بالاطالة والاسهاب حقيق بالزيادة على هذا الاطناب اذ الكلام في قواعد دينية ومباحث حديثية وخوض فيما هو من أساس الدين وعليه دوران فلك اجتهاد المجتهدين وكما قال

وقد أطال ثنائي طول لابنه ان البناء على التنبال تنبال

اذا عرفت ماقررناه فاعلم ان الذى سهل الاجتهاد وألان منه الصعاب الشداد هو ماقدمنا لك من سعي أئمة الدين في جميع علوم الاولين وجمعها بعد الشتات في نفائس المصنفات فلنكثر لهم الدعاء ولنحسن عليهم الثناء ولا نكن من كفار النعم وأشباه النعم: وانما يعرف الفضل لاولى الفضل من هو منهم واليه أشار من قال :

اذا أفادك انسان بفائدة من العلوم فأكثر شكره أبدا

وقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيها وخل اللؤم والحسدا

وبهذا يبطل تشنيع الجهال بأن من خالف الاوائل في بعض المسائل قد ادعى الترفع عليهم وقال انه أعلم منهم وهذا خيال باطل وسوء ظن حاصل وإلا لزم ان التابعين قد ادعوا الفضل على السابقين الاولين من الانصار والمهاجرين وان الائمة المتأخرين قد ادعوا ان لهم الفضل على المتقدمين وهيهات ما زال الفضل للمتقدم معروفاً ومابرح السابق بالتفضيل موصوفاً :

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس بعدالتندم

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ثم اعلم ان هنا زيادة افادة لطالب الرشاد الحقناها بارشاد النقاد وهو انه قد ظهر لك بما قررناه سهولة الاجتهاد وتيسره لاهل الهمة الامجاد فلنذكر شرائطه وكيفية تحصيله لاهل الذكاء من العباد فنقول قال الامام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير صاحب كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم

في كتاب القواعد ما لفظه اعلم انه قد كثر استعظام الناس في هـذا الزمان الاجتهاد واستبعادهم له حتى صار كالمستحيل فيما بينهم وما كان السلف يشددون هـذا التشديد العظيم وليس هو بالهين ولـكنه قريب مع الاجتهـاد أي في تحصيله وصحة الذوق والسلامة من آفة البلادة ثم ذكر خمسة شروط بعـد ان ابطل شرطية معرفته علم الكلام وانه علم مبتدع لم يعهد فى عصر النبوة ولا عهد الصحابة ثم عد خمسة ولم يرتبها كما نسوقه

الاول معرفة علم العربية قال ويكفى فيه قراءة كتاب مثل مقدمة الشيخ ابن الحاجب قراءة فهم واتقان وهذا على الاحتياط لا على الايجاب وذلك لان في العربية مالا بد من معرفته وفيهـا ما لا يحتاج الى معرفته مثال مالا يحتاج الى معرفته كلامهم فى عامل المستثنى ما هو ولم ارتفع الفاعل وانتصب المفعول ونحو ذلك مما لم يعرفه العرب بل قد نقل عن ابي الحسين البصرى انه قال ليس الشرط بعد معرفة الكتاب والسنه الا اصول الفقه وان اهل اصول الفقه قد نقلوا عن العربية والمعانى والبيان ما يحتاج اليه المجتهد انتهى كلام ابي الحسين

الشرط الثاني معرفة اصول الفقه وهو رأسها وعمودها بل اصلها واساسها بل سمعت عن ابى الحسين البصرى صاحب كتاب المعتمد في اصـول الفقه انه لا يشترط سواه بعد معرفة الـكتاب والسنة

الشرط الثالث معرفة علم المعانى والبيان وقد اختلف فيه هل هو شرط أم لا قال السيد محمد والحق ان فيه ما هو شرط في بعض المسائل كالعربية وفيه ما ليس بشرط البتة وقد نقل أهل الاصـول اكثر ما يحتاج اليه وقد تختلف عبارتهم والمعنى واحد

الشرط الرابع معرفة الآيات القرآنية الشرعية وقد قيل أنها خمسمائة آية وما صح ذلك وانما هى مائتا آية أو قريب من ذلك ولا اعرف احداً من العلماء أوجب حفظها غيباً بل شرطوا ان يعرف مواضعها حتى يتمكن عند الحاجة من الرجوع اليها فمن نقلها الى كراسته وافردها كفاه ذلك

الخامس معرفه جملة من الاخبار النبوية ويكفي فيها معرفة كتاب جامع مثل الترمذي وسنن ابي داود والبخاري ومسلم وفيها ما لا يجب معرفته على مجتهد لانها جامعة لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وبعوثه ولما ورد من تفسير القرآن الكريم من كلامه ولذكر الرقائق والجنة والنار واحوال القيامة والفتن والاداب والفضائل وقصص الانبياء المتقدمين وغير ذلك مما لا يحتاج اليه المجتهد: والذي يدل على ان جملة من الاخبار تكفيه ولا يجب الاحاطة بها ان الصحابة قد صح اجتهادهم في احكامهم ولم يحيطوا بها علما وكذلك التابعون وائمة الاسلام ولم يعلم ان احدا احاط بها ولذا قال الشافعي رضى الله عنه علمان لا يحيط بهما احد الحديث واللغة وهذا صحيح وهو قول الجماهير والخلاف فيه شاذ قال والاولى من مريد الاجتهاد ان يعرف كتابا من كتب الاحكام التى اقتصر اهلها على ذكر احاديث التحليل والتحريم وجمعوا جميع ما في الكتب الصحاح من ذلك وبينوا الصحيح من السقيم وعد كتبا من ذلك ثم قالوا انفعها كتاب تلخيص المختصر للحافظ ابن حجر فلا شك في كفايته للمجتهد وزيادة الكفاية انتهي كلامه رحمه الله: ويأتيك قريبا من اقوال الائمة الاربعة وغيرهم ما ينادى على انهم لم يحيطوا بالاحاديث النبوية وانهم صرحوا بان قولهم اذا خالف الحديث رددنا قولهم وعملنا بالحديث قلت وقد منع ائمة الدين معارضة سنة سيد المرسلين باقوال غيره من الائمة المجتهدين اولهم خير الامة وبحر علم الكتاب والسنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه فانه روى الاعمش عن فضل ابن عمرو عن سعيد بن جبير قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى ابو بكر وعمر عن المتعة قال ابن عباس اراهم سيهلكون: اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما: وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ايوب قال عروة لابن عباس رضى الله عنهما الا تتقى الله ترخص في المتعة فقال ابن عباس سل أمك يا عروة فقال عروة أما ابو بكر وعمر فلم يفعلا قال ابن عباس رضى الله عنه ما والله اراكم منتهين حتى

يعذبكم الله احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن ابى بكر وعمر: وفى صحيح مسلم عن ابن ابى مليكه ان عروة بن الزبير قال لرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالعمرة فى هؤلاء الاشهر وليس فيها عمرة فقال الا تسأل امك عن ذلك فقال عروة ان ابا بكر وعمر لم يفعلاذلك قال الرجل من ههنا هلكتم ما ارى الله الا يعذبكم احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبرونى بابي بكر وعمر : ومراد ابن عباس ان عروة بن الزبير يسأل امه اسماء بنت ابى بكر فانها شهدت حجة الوداع وولدت في سفرها محل الاستدلال قول ابن عباس لا تقدم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام أحد من الناس كائنا من كان وناهيك بالشيخين رضى الله عنهما فانه لو جاز تقدم كلام أحد على سنته صلى الله عليه وسلم لكان احق الناس بذلك كلام صاحبيه رضى الله عنهما وليس كلامنا في المتعة اثباتاً ولا نفيا فالكلام على ذلك في غير هذا الموضع انما مرادنا ماذكرنا واخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سأله سائل عن متعة الحج هى حلال فقال له الرجل ان اباك قد نهى عنها فقال أرايت ان كان ابى نهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم آأمر ابى اتبع ام امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي صحيح مسلم ان ابن عمر لما حدث انه صلى الله عليه وسلم امرنا بالاذن للنساء فى الخروج الى المساجد قال بعض اولاده والله لا نأذن لهن وعلل كلامه بما يخشى من النساء اذا خرجن فاقسم ابن عمر ان لا يكلمه: ولما روى ابو هريرة حديث انه لا يدخل احدكم يده في الاناء اذا استيقظ حتى يغسلها ثلاثاً قال له قائل فكيف تصنع بالمهراس فقال لا تضربوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الامثال: واخرج الترمذى انه قال ابو السائب كنا عند وكيع فقال رجل قدرى وعن ابراهيم النخعى ان الاشعار مثلة قال فرأيت وكيعا غضب غضباً شديداً وقال اقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول قال ابراهيم ما احقك بان تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك: هذا ولو تتبعنا اقوال الصحابة والتابعين

لطال المقال واتسع نطاق الاقوال على انه معلوم من آرائهم انهم لايقدمون على سنته صلى الله عليه وسلم قول احد من الرجال كيف وهذا عمر رضى الله عنه لما اراد ابو بكر رضى الله عنه قتال مانعي الزكاة لم يساعده اولا على ذلك واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاستدل عليه ابوبكر بقوله صلى الله عليه وسلم الا بحقها يريد والزكاة من حقها فانشرح صدر عمر لما أمر به ابوبكر من قتال مانعي الزكاة فلم يقبل عمر قول ابي بكر حتى أقام الدليل من السنة

وأما الائمة الاربعة فان كلا منهم مصرح بأنه لايقدم قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم * أما أبوحنيفة رحمه الله فانه قال الشيخ العلامة محمد حياة السندي نزيل طيبة رحمه الله في رسالته المسماة تحفة الانام فى العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام مالفظه في روضة العلماء في فضل الصحابة : سئل أبوحنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولى لقول الصحابة رضى الله عنهم وقال انه روى له البيهقى في المدخل باسناد صحيح الى عبد الله بن المبارك قال سمعت أباحنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس واذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم انتهى

وأما الشافعى رحمه الله فقال الشيخ محمد بن حياة روى البيهقى في السنن عند الكلام على القراءة بسنده قال الشافعى اذا قلت قولا وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدونى ونقل امام الحرمين في نهايته عن الشافعى اذا صح خبر يخالف مذهبى فاتبعوه واعلموا انه مذهبي وقال مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهولايدري ذكره البيهقي أيضاً

وأما احمد بن حنبل رحمه الله فقال ابوداود قلت لاحمد الاوزاعي هو أتبع أم مالك كأنه يريد اكثر اتباعاً من مالك فقال لاتقلد في دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير وقال احمد أيضا لا تقلدني ولاتقلد مالكاولاالثوري ولاالاوزاعي وخذ من حيث اخذوا وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال (١) * وقال الشافعي أجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وقال اذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا قولي بالحائط واعملوا بحديث الضابط نقل هذا الشيخ محمد بن حياة فى رسالته التى تقدم ذكرها وعند ما صح لنا هذا عن هؤلاء الائمة جزاهم الله أفضل الجزاء عن الائمة قلنا في أبيات

علام جعلتم ايها الناس ديننا ... لاربعة لا شك في فضلهم عندي
هم علماء الدين شرقاً ومغرباً ... ونورعيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم ... دليلا ولا تقليدهم في غد يجدى
ولازعموا حاشاهم أن قولهم ... دليل فيستهدى به كل من يهدى
بلى صرحوا انا نقابل قولهم ... اذا خالف المنصوص بالقدح والرد

وهذه نصوصهم رضى الله عنهم كما سمعته وأقوال ائمة العلم في هذه كثيرة جدا على انه معلوم من صفات العالم انه لا يرتضي ان يقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صحته أو حسنه قول نفسه ولا قول غيره والا لم يكن عالما متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت واذا عرفت تصريح الائمة بانه اذا صح الحديث بخلاف ما قاله فانه لا يقلدهم أحد فى قولهم المخالف للحديث عرفت ان الآخذ بقولهم مع مخالفة الحديث غير مقلدلهم لان التقليد حقيقته هو الاخذ بقول الغير من غير حجة وهذا القول الذى خالف الحديث ليس قولا

(١) قال ابن القيم ولاجل هذا لم يؤلف الامام احمد كتاباً في الفقه وانما دون اصحابه مذهبه من اقواله وافعاله وأجوبته وغير ذلك

لهم لانهم صرحوا بانهم لا يتبعون فيما خالف الحديث وان قولهم هو الحديث ولقد كثرت جنايات المقلدين على ائمتهم في تعصبهم لهم فمن تبين له شيء من ذلك أى من الاحاديث النبوية فلا يعذر فى التقليد فان ابا حنيفة وابا يوسف قالا لا يحل لاحد من أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه وان كان الرجل متبعاً لاحد الائمة الاربعة ورأى في بعض المسائل أن قول غيره أقوى منه فاتبعه كان قد احسن في ذلك ولا يقدح ذلك في عدالته ولا دينه بلا نزاع وهذا اولى بالحق واحب الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمن تعصب لواحد معين غير الرسول صلى الله عليه وسلم ويرى ان قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الائمة الآخرين فهو ضال جاهل بل قد يكون كافرا يستتاب فان تاب والا قتل فانه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع واحد معين من هؤلاء الائمة رضى الله عنهم دون الاخرين فقد جعله بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر انتهي نقله الشيخ محمد حياة رحمه الله قلت وقوله من هؤلاء الاربعة بيان للواقع اذ هم فى نظره المتبعون والا قال بالاطلاق من غير تقييد بالاربعة ثم من هنا يعرف بطلان قولهم وبعد الالتزام يحرم الانتقال الا الى ترجيح نفسه فانا نقول بل يحرم الالتزام اذ معناه تقليد معين من العلماء وعدم الرجوع الى تقليد غيره فانا نقول هذا الالتزام للمعين هل كان ايثار التزام المقلد لمذهب من بين مذاهب العلماء عن نظر واجتهاد قضى له ارجحية مذهبه على غيره التزاماً أو كان عن غير نظر بل تقليدا في تعين التزام مذهبه ان كان الاول فدل على انه مجتهد عارف بالنظر في الادلة راجحها ومرجوحها وهذا لا يحل له التقليد فضلا عن الالتزام وان كان الثاني وان تبعه سهوا وخطأ فلا اعتبار بالتزامه فان شهوته ليس بدليل وما احسن قول ابن الجوزي في تلبيس ابليس اعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلد وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن اعطى شمعة ان يطفئها ويمشي فى الظلمة انتهى

فان قلت القائلون بجواز التقليد طائفة من العلماء ولهم ادلة على جوازه قلت القائلون بتحريمه طائفة أيضاً من الامة ولهم ادلة على ذلك ولا يهولنك القائلون وكثرتهم من الفريقين بل ارجع الى الادلة فهي معيار الحق من الباطل وبها تبين الحالى جيده من العاطل واقدم لك مقدمة نافعة قبل سرد الادلة من الجانبين وهو ان لا شك ان لنا اصلا متفقا عليه وهو انه لا يثبت حكم من الاحكام الا بدليل يثمر علماً أو امارة تثمر ظنا وهذا امر متفق عليه بين العلماء قاطبة بل بين كافة العقلاء من أهل الايمان ومن أهل سائر الملل والاديان وان هذا عام لاحكام الدنيا والدين شامل للموحدين والملحدين فانه مغروز في العقول انه لا يقدم أحد على فعل من الافعال أو ترك من التروك الا بعد اعتقاده عن علم أو ظن ان هذا الفعل ترك أو فعل لما يترتب عليه فائدة دينية أو دنيوية من جلب نفع أو دفع ضرر وهذا الاعتقاد ملزوم بعلم أو ظن عن دليل وامارة: وقال ملا علي قاري رحمه الله تعالى وان اشتهر بين الحنفية ان الحنفى اذا انتقل الى مذهب الشافعي يعزر واذا كان بالعكس فانه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع وقال ملا على قارى في رسالته في اشارة المسبحة وقد اغرب الكيدانى حيث قال والعاشر من المحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث أى مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا منه خطأ عظيم وجرم جسيم منشؤه الجهل بقواعد الاصول ومراتب الفروع من المنقول ولولا حسن الظن به وتأويل كلامه حينئذ لكان كفره صريحاً وارتداده صحيحاً فهل لمؤمن أن يحرم ماثبت فعله عنه صلى الله عليه وسلم مما كاد نقله أن يكون متواتراً ويمنع ماعليه عامة العلماء كابرا عن كابر مكابراً [1] فكل عاقل لايقدم على فعل أو

(١) الى هنا هو من كلام ملا علي القاري وتمامه كما هو في غير موضع : والحال ان الامام الاعظم والهمام قال لايحل لاحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلى فى المسألة فاذا عرفت هذا فاعلم انه لو لم يكن نص للامام على المرام لكان من المتعين على أتباعه من العلماء الكرام فضلا عن العوام أن يعملوا بما صح عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وكذا لو صح عن الامام فرضاً نفي الاشارة وصح اثباتها عن

يحجم عنه الا لاعتقاده نفعاً أو دفعاً والاعتقاد لايكون الا عن علم أوظن والعلم لايكون الا عن دليل والظن لايكون الا عن أمارة ثم ان العقول مجبولة على أن لاتقبل قولا من الاقوال الا لظن صدقه أو العلم به ولا ترده الا لظن كذبه أو العلم بكذبه وظنها صدق القول أو كذبه أو علمها بهما يتوقفان على الدليل والامارة واذا تقرر هذا فالعقلاء قاطبة وأهل الملل والنحل المختلفة متفقون على انه لايجب تصديق أحد واتباع قوله حتى يأتي ببرهان على ماقاله من دعواه أو اخباره عن أي أمر * ألا ترى ان موسى عليه السلام لماقال لفرعون (اني رسول من رب العالمين) الى قوله (قد جاءتكم بينة)[1] الى قول فرعون (فأت بها ان كنت من الصادقين)[1] وفي سياق قصصه في القرآن كلها نحو هذا وقال صالح (قد جئتكم ببينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية)[2] بعد قولهم (فَأْتِ بآية إن كنت من الصادقين)[3] وسائر قصص الانبياء كذلك * وأما قوم هود (ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك)[4] فمن تعنتهم في كفرهم وجعلهم البينة غير بينة

واذا عرفت هذا عرفت ان كل عاقل لايقبل قول قائل مدعياً ومخبراً ولا يصدقه حتى يقيم البينة على ماقاله فان هذا فرعون مع غلوه في كفره وكبريائه طلب من موسى البينة على دعواه انه رسول من رب العالمين ولم يقابله بالرد لدعواه بصد واعراض عن ماقاله وادعاه ولم يقل له صدقت ولا كذبت بل طلب

١ ـ الاعراف ١٠٤ ـ ١٠٦
٢ ـ الاعراف ٧٣
٣ ـ الشعراء ١٥٤
٤ ـ هود ٥٣

صاحب البشارة فلاشك في ترجيح المثبت المسند اليه صلى الله عليه وآله وسلم وكيف وقد وجد نقله الصريح بما ثبت بالاسناد الصحيح فمن أنصف ولم يتعسف عرف ان هذا سبيل اهل التدين من السلف والخلف ومن عدل عن ذلك فهو هالك يوصف بالجاهل المعاند المكابر ولو كان عند الناس من الاكابر : اهـ أقول وردت الاشارة بالسبابة في الصلاة من حديث وائل بن حجر عند أبي داود والنسائي والامام احمد بن حنبل وابن خزيمة والبيهقي : قال اصحاب الشافعي تكون الاشارة بالاصبع عند قوله الا الله من الشهادة : قال النووي والسنة أن لايجاوز بصره اشارته : وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود « ويشير بها موجهة الى القبلة » وينوي بالاشارة التوحيد والاخلاص : قال ابن رسلان والحكمة في الاشارة بها الى ان المعبود سبحانه وتعالى واحد ليجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد : وروي عن ابن عباس في الاشارة انه قال هي الاخلاص : وقال مجاهد مقمعة للشيطان : والله أعلم .

منه البرهان كقوم صالح وكل أهل ملة من الملل الكفرية تطالب رسولها بالبينة على دعواه النبوة والرسل جميعاً لاتنكر عليهم طلبها بل منهم من يعرف دعواه بأن عنده البرهان عليها قبل أن يطالبوه به * ألا ترى ان موسى عليه السلام قال لفرعون في بعض محاورته (حقيق أن لاأقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم)[١] الآية واذا أقام النبي عليه السلام البينة على دعوى النبوة فمن قومه من يصدقه وينقاد له كما كان من سحرة فرعون فانهم لما شاهدوا تلقف عصاه لما أتوا به من سحر عظيم كما وصفه الله (وألقى السحرة سٰجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون)[٢] وتمادى فرعون ومن تبعه على كفرهم وتكذيبهم بعد علمه وعلم من بقي معه على كفره بصدق موسى كما قال تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)[٣] فأخبر الصادق فى اخباره المطلع على إضمار القلب وأسراره بأنهم جحدوا بآياته المبصرة وأنفسهم بها متيقنة وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض)[٤] واعلم ان سر هذه الاخبار منه تعالى بأنهم جحدوا بها عن يقين ان الله تعالى كما جبل العقول على أن لاتقبل دعوى ولا تصدق خبراً الا عن بينة تقام عليهما كذلك جبلها على قبولها وانقيادها واذعانها لقبول القول اذا أقيمت البينة عليه والبرهان وتصديقها للدعوى والخبر في أى شأن كما جعل الشبع عند الاكل فان لم يقبل بعد اقامته فليس الا مكابرة وظلماً وعلواً وعدواناً ولو بسطنا الاستدلال لطال المقال الا ان المسئلة معلومة بالضرورة عند العقلاء مبسوطة في دواوين الاسلام فلا حاجة الى الاطالة ويدل لذلك (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[٥] وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٦] وقوله (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير)[٧] ومعلوم انه تعالى لم يبعث الرسل الا لتقوم الحجة على العباد ولاتقوم الا ببرهان ينقاد اليه عقول من أرسل اليهم والا لم يكن ذلك برهاناً في حقهم والمفروض انه برهان فمن أنكره وجحد به فلا يجحد به الا عناداً وجهلا ومكابرة ولذلك انه تعالى بعد ارساله رسله وانبائهم

١ ـ الأعراف ١٠٥
٢ ـ الأعراف ١٢٠ ـ ١٢٢
٣ ـ النمل ١٤
٤ ـ الاسراء ١٠٢
٥ ـ الاسراء ١٥
٦ ـ النساء ١٦٥
٧ ـ المائدة ١٩

للامم بالبراهين على صدقهم وهي المعجزات يهلك من لم يتبعهم ويرسل عليهم المصائب السماوية والارضية كما قال تعالى (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[١] فصرح بانه تعالى لم يظلمهم باهلاكهم بانواع العقوبات لانه قد أقام عليهم براهين خفية رسله وعلموا صدقهم ولكنهم عاندوا وجحدوا بآياته ورسله وقد كانت قريش تعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى به من البينات ولكنهم جحدوا بآياته وتعنتوا في طلب معجزات اقترحوها باهوائهم (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكه قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه)[٢] فهذا تعنت وتشدد فى الكفر مع ان لو جاءهم بكتاب من السماء لزادوا طغيانا كما قال تعالى (ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)[٣] فاقترحوا ما تراه من أهواءهم وعنادهم وجهلهم ولا يجب على الرسل الا الاتيان بالبرهان الدال على صدقهم من المعجزات التى يعجز عنها قدرهم وقواهم لا انه يجب عليهم ان يأتوا بمعجزة يقترحونها بتعنتهم ولو اتوا بها لتعنتوا ثانية وثالثة بل لو ادخلوا النار وردوا لعادوا لما نهوا عنه ولذا قال تعالى (ولو اتبع الحق اهوائكم لفسدت السموات والارض ومن فيهن)[٤] بل حكى الله عن عنادهم فقال (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون)[٥] فليس على رسول الله بعد دعواهم الرسالة الا اقامة البرهان على صدقهم كما حكي الله تعالى في كتابه عن كل نبي مع امة ورسوله مع قومه ولو تأمل الناظرون والمناظرون تأديبات القرآن وكيفية اقامة البرهان الذى هو فى غاية البيان لاستغنوا به عن تاليف اليونان وتعلم اداب البحث لفلان ولفلان والمقصود ان من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اقامة

١ ـ العنكبوت ٤٠ .
٢ ـ الاسراء ٩٠ ـ ٩٣
٣ ـ الأنعام ٧
٤ ـ المؤمنون ٧١
٥ ـ الحجر ١٤ ـ ١٥

البرهان زادهم هدى وآتاهم تقواهم ومن عانده وكابره وجحد ما أتى الله به عاقبه الله بتقليب فؤاده وبصره كما قال تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة)[1] وكما قال تعالى (وما يأتيهم من رسـول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون بهوقدخلتسنةالاولين)[2] أي سلكنا الذكر ادخلناه في قلوب المجرمين الذين قداجرموا بتكذيب ماعلموه حقا من النبوة والكتاب أى ادخلناه مكذبا به مستهزئا به: وقوله «لا يؤمنون به» بيان لذلك أو حال وهو اخبار انه عاقبهم بتكذيبهم الذكر فجعلهم مجرمين لأنها قامت عليهم حجة الله ورسوله فكذبوها بغيا وحسداً وعدواناً فعاقبهم الله بان لايهتدوا للايمان بعد ذلك ولا تزيدهم آياته الا طغياناً كبيراً — كما قال تعالى في القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي)[3] ومراده بالذين لايؤمنون هم من أنكر وجحـد وكابر الرسول صلى الله عليه فيما أتى به فى اول دعواه من البرهان * فالمعنى والذين لايصدقون بما يجب عليهم تصديقه * وكما قال تعالى (و ننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمـة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خساراً)[4] فالظالمون هم الذين ردوا آيات الرسل بعدعلمهم بصدقها فعوقبوا بأن لايهتدوا بكلام الله الذي هو شفاء ورحمة ولايزدادون الا خساراً بخـلاف من قبل ماجاءت به الرسل أول مرة زادهم الله هدى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً)[5] فهؤلاء لما قابلوا براهين الرسل بالقبول والتصديق لهم والاذعان زادتهم آياته ايمانا وأولئك لما قابلوها بالجحود والتكذيب والمكابرة والعصيان زادتهم آيات الله خساراً : هذا ومقصودنا انما هو بيان ان الاصل الاصيل والاساس الذى يبنى عليه التأصيل انه لايقبـل كلام أحد من دعوى يدعيها . أو قصة يرويها إلا بافاضة الدليل على دعواه والبرهان على صدق مارواه فاذا قام البرهان وبينه بمـا تقبله العقول والاذهان وجب قبول قوله وتصديق منقوله

وإذا عرفت هذا الاصل الجليل عرفت ان المقلد قبل قول من قلده من غير

١ ـ الأنعام ١١٠
٢ ـ الحجر ١١ ـ ١٣
٣ ـ فصلت ٤٤
٤ ـ الاسراء ٨٢
٥ ـ الأنفال ٢

امارة ولادليل فان حقيقة التقليد قبول قول الغير من دون حجة: مثالهأن يقول لك العالم مثلا المنى طاهر ويقول لك عالم آخر بل هو نجس فان قبلت قوله فهذا قول صدر من العالم ولم يأت لك بدليل عليه * وماقبولك لقول من قال انه نجس بأولى من قبولك لمن قال انه طاهر لان القائلين عالمان وكلاهما قال لك قولا لازما مالم يتبين لك دليله وكون القائل بأنه طاهر من ديارالشافعية وعلمائهم لايصير احد القولين أرجح من الآخر عقــلا وشرعاً فان الديار والانتساب والاعتزاء الى أى عالم من علماء الامة لايصـير به أحد القائلين محقاً والآخر مبطلا : ضرورة عقلية وشرعية ان الاوطان لا اثر لها في ترجيح الاديان وان الانتساب والاعتزاء الى أى عالم من علماء الامة لايصير كلام من انتسب اليه حقاً وكلام من لم ينسب اليه باطلا

فان قلت العالم انما روي له معنى الاحاديث النبوية فالقائل انه نجس روى لنا معنى الاحاديث الواردة بغسله والقائل بأنه طاهر روى لى معنى الاحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه * وقبول رواية الاخبار النبوية قد قام الدليل عليـه واتفق الناس عليـه وان اختلفوا فى قدر نصاب مايجب قبوله من الواحد أو الاثنين أو الاربعة

قلت نعم نحن قائلون بقيام الدليل على قبول خبر الآحاد بشروطه وانه تجوز الرواية بالمعنى ولكنك واهم في جعل قول العالم رواية لك بالمعنى فان القائل لك انه نجس انما أخبرك بالذي رجح عنده والقائل انه طاهر انما أخبرك بالذي رجح عنده اذ كل من العالمين قد عرف تعارض الادلة في المسألة ورجح عنده نظره احد الحكمين والآخر رجح عنده خلافه فهمامخبرانلك عن رأيهما اذ الترجيح رأي محض يحصل لكل واحد من تعارض الادلة وكل منهما يجب عليه اتباع مارجح له ولايجب على غيره أن يتبعه فى رأيه لاالمجتهد ولاالمقلد *أما الاول فبالاجماع وأما الثاني فمحل النزاع فانا الآن في البحث فى جواز التقليد للعالم في قوله من غير ذكره لدليله

فان قلت قد قام الدليل على جواز التقليد قلت لمن قام هل للمقلد فالفرض انه مقلد لايعرف الادلة ولا كيفية تطبيقها على المدعى ولاشرائط الاستنباط اذ لو كان كذلك لما كان مقلداً وهو خلاف المفروض أو قام دليل جواز التقليد للمجتهد فلاينفع المقلد قيامه لغيره

فان قلت قام للمجتهد وقلده فيه المقلد قلت يمنع ذلك اتفاقهم ان مسئلة جواز التقليد من مسائل الاصول ولايجوز التقليد فيها وذلك لان المطلوب فيها العلم ولايحصل الا بالدليل ولايعرف الدليل الا المجتهد

فان قلت لانسلم انه لا بد في مسائل الاصول من أن يكون عن علم ولايجوز أن يكون عن ظن قلت ان سلم هذا فالظن بالحكم الشرعي لايكون الا عن أمارة شرعية ولايعرفها الا المجتهد

فان قلت اذا أمليت أدلة جواز الاجتهاد على المقلد فهم المراد منها وعرفه واستند اليها وكان من املاها راوياً له قلت فانك اذا أمليت عليه قوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)[1] فهم ان هذا أمر منه تعالى بسؤال أهل العلم عما لايعلمه واخذ هذا الحكم من الآية فان هذا القدر يفهمه منها كل من له أهلية الفهم ولايحتاج الى نحو ولا أصول ولامعاني ولابيان ولاغيرها وصار مجتهداً في وجوب سؤال أهل العلم عمالايعلم لان المفهوم عرفاً من الاوامر هو الوجوب * ومعلوم عقلا ان الله تعالى اذا أمر بسؤالهم انه قد أذن بقبول قولهم والا لم يكن للامر بسؤالهم فائدة قلت اذا قلتم تكلفه هذا في الاجتهاد فما أحسن هذا المراد وهذا هو ما اراده من يقول بوجوب الاجتهاد على جميع الافراد مما له أهليــة في فهم مايراد وأحد الوجوه فى الآية ان المراد فاسترووهم الآيات والاحاديث ان كنتم لاتعلمون فالآية أمر بسؤالهم عن الآيات والاحاديث والآية الى هذا المعنى اقرب لانه تعالى علق عدم علمهم بالبينات والزبر فالاظهر اسألوهم عن البينات والزبر التى لاتعلمونها لاتسألوهم عن آرائهم ومارجح لهم حتى تكون الآية دليلا على جواز التقليد * واذا فهم المقلد من

١ ـ النحل ٤٣
الأنبياء ٧

هذه الآية هذا المعنى فأى مانع ان يفهم من غيرها مايعمل به فى غيرها من الاحكام ويجتهد

واعلم انه ليس مع المانعين لذلك الا مجرد الاستبعاد واستعظام من وارثه اللحود من العلماء الامجاد وانه لايكون الا لهم الاجتهاد وليس للمتأخرين الا جعل أقوال القدماء لاذهانهم كالاصفاد لايخرجون عنها وان ناطحت علومهم الافلاك وجاوزت معارفهم أهل الكمال والادراك وما أرى هذا والله الا من كفران النعمة وجحود المنة فان الله سبحانه كمل عقول العباد ورزقهم فهم كلامه وما اراد * وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ تعالى كتابه وسنة رسوله الى يوم التناد بأن كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لايحتاج في معناها الى علم النحو والى علم الاصول بل فى الافهام والطباع والعقول ماسارع به الى معرفة المراد منها عند قرعها الاسماع من دون نظر الى شيء من تلك القواعد الاصولية والاصول النحوية فان من قرع سمعه قوله تعالى (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله)[1] يفهم معناه من دون أن يعرف ان ما كلمة شرط وتقدموا مجزوم بها لأنه شرطها وتجدوه مجزوم بها لانه جزاؤه ومثلها (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً)[2] ومثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)[3] يفهم من الكل ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية ودقائق القواعد الاصولية ولذا ترى العامة يستفتون العالم ويفهمون كلامه وجوابه وهو كلام غير معرب في الاغلب بل تراهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وماحواه ولايعرفون اعرابا ولا غيره مما سقناه بل ربما كان موقع مايسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد وهؤلاء العامة يحضرون الخطب في الجمع والاعياد ويذوقون الوعظ ويفهمونه ويفتت منهم الاكباد وتدمع منهم العيون ويدركون من ذلك مالايدركه العلماء المحققون ويسمعون احاديث

١ ـ البقرة ١١٠
المزمل ٢٠
٢ ـ آل عمران ٣٠
٣ ـ النحل ٩٠

الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب وأنت تراهم يقرؤون كتباً مؤلفة من الفروع الفقهية كالازهار للهدوية والمنهاج للشافعية والكبير للحنفية ومختصر خليل للمالكية ويفهمون مافيها ويعرفون معانيها ويعتمدون عليها ويرجعون في الفتوى والخصومات اليها فليت شعرى ماالذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها والاعراض عن استخراج مافيها حتى جعلت معانيها كالمقصورات فى الخيام قد ضربت دونها السجوف ولم يبق لنا اليها الا ترديد الفاظها والحروف وان استنباط معانيها قد صار حجراً محجوراً وحرماً محرماً محصوراً

وقال بعض العلماء المتأخرين في شرح بلوغ المرام في شرح حديث « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » مالفظه : انه اشتغل بالحديث عن اشتراط أن يكون الحاكم مجتهداً قال وهو المتمكن من أخذ الاحكام من الادلة الشرعية قال ولكنه يعز وجوده بل كاد يعدم بالكلية ومع تعذره فمن شرطه أى الحاكم أن يكون مقلداً مجتهداً فى مذهب إمامه ومن شرطه أن يحقق أصول إمامه وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لايجده منصوصاً في مذهب إمامه انتهى

وقد نقلناه في شرحنا سبل السلام وتعقبناه بقولنا : قلت ولايخفى مافي هذا الكلام من البطلان وان تتابع عليه الاعيان وما أرى هذه الدعوى التى تطابق عليها الانظار الا من كفران نعمة الله عليهم فانهم أعنى المدعين لهذه الدعوى وهى دعوى عزة وجود المجتهدين في الاحكام بالكلية: أو كيدودة عدمه مجتهدون يعرف أحدهم من القواعد التى يمكنه بها الاستنباط واستخراج الاحكام الشرعية من الادلة النبوية مالم يكن قد عرفه عتاب بن أسيد قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ولاابوموسى الاشعرى قاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن ولامعاذ بن جبل قاضيه فيها وعامله عليها ولا شريح قاضى عمر وعلى رضي الله عنهم في الكوفة شيئاً من هذه الشرائط التى أفادها قول ذلك الشارح

رحمه الله ان من شرط الحاكم أن يكون مجتهداً فى مذهب إمامه وانه يتحقق أصوله وأدلته الى آخره هى شرائط المجتهد في الكتاب والسنة فان هذا هو الاجتهاد الذى قال بعزة وجوده أو كيدودة عدمه بالكلية ٭ هلا جعل هذا المقلد المجتهد في كلام امام امامه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عوضاً عن كلام امامه وتتبع نصوص الكتاب والسنة عوضاً عن تتبع نصوص امامه والعبارات كلها ألفاظ دالة على معانيها فهلا استبدل بألفاظ امامه ومعانيها ألفاظ الشارع ومعانيها ونزل الاحكام عليها اذا لم يجد نصا شرعياً عوضاً عن تنزيلها على مذهب إمامه فيما لم يجده منصوصاً تالله لقد استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير من معرفة السنة والكتاب الى معرفة كلام الشيوخ والاصحاب وتفهم مرامهم والتفتيش عن كلامهم

ومن المعلوم يقيناً ان كلام الله وكلام رسوله أقرب الى الافهام وأدنى الى اصابة بلوغ المرام فانه أبلغ الكلام بالاجماع وأعذبه فى الافواه والاسماع وأقربه الى الفهم والانتفاع ولاينكر هذا الا جلمود الطباع ومن لاحظ له في النفع والانتفاع ٭ والافهام التى فهم بها الصحابة الكلام الالهي والخطاب النبوى هي كافهامنا واحلامهم كاحلامنا اذ لو كانت الافهام متفاوتة تفاوتاً يسقط معه فهم العبارات الالهية والاحاديث النبوية لما كنا مكلفين ولا مأمورين ولا منتهين لا اجتهاداً ولاتقليداً ٭ أما الاول فلاحالته ٭ وأما الثانى فلأنا لانقلد حتى نفهم جوازه وأدلته ولايفهم ذلك الا من ادلة الكتاب والسنة وقد تعذر ذلك كما قلتم وقد سبق بسط هذا ٭ على انا لانشرط في هذا ماسلف من الشرائط في المجتهد التى ذكرناها عن مؤلف العواصم والقواصم انما نقول انه يستروى عن العالم الآية والحديث فى الحكم الذى يتعلق به في الحالة الراهنة ثم يعمل به بعد فهمه انما يشترط ان تؤخذ الرواية عن من يوثق بصدقه ودينه وورعه وشهرته بالعلم النافع من الكتاب والسنة وألا يسأله عن مذهب فلان ولا فلان ٭ كيف وفي كتب الاصول نقل الاجماع على تحريم تقليد الاموات ولقدعظمت جنايات

المقلدين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أئمة مذاهبهم الذين تبرؤا عن إثبات مقال لهم يخالف نصاً نبويا فانها اذا وردت بخلاف ماقرره من قلدوه حرفوها عن مواضعها وحملوها على غيرما اراده صلى الله عليه وسلم كما قال بعض المعتزلة في حديث «شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى» وقد اعتقد ذلك المعتزلى انه لا شفاعة للعصاة فقال مراده صلى الله عليه وسلم بأهل الكبائر المؤمنون أهل الصلاة لان الصلاة كبيرة قال الله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) فانظر أى تحريف أعجب من هذا الذى قاده اليه مذهبه واعتقاده ان لا شفاعة لاهل الكبائر وكونه تحريفا لا يحتاج الى دليل: ومثل قول بعض من اعتقد ندب صوم يوم الشك لانه مذهب امامه في حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم» انه مراده بابي القاسم عمار نفسه قال قد عصانى وانما وضع الظاهر موضع المضمر ولا يخفى ما في هذا الحل من تحريف مع اتفاق الناس على كنية عمار أبو اليقظان: ومثله قول ابن القيم في الهــدي النبوى أن مراد عمار بيوم الشك آخر يوم من شعبان ولفظه والمنقول عن عمر وعلى وعمار النهى عن صوم آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا هو الذي قال فيه «عمار من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم»

قلت وهذا من التحريف رعاية للمذهب لان احمد بن حنبل قائل بصوم يوم الشك فحمله رعاية المذهب على حمل حديث عمار على آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا اليوم لاشك فيه قطعا بل هو يوم يقين من شعبان: وكقدح بعض الحنفية فى أبى هريرة رضى الله عنه كما ذكره الحافظ فى فتح البارى لما روى حديث المصراة على خلاف ما يعتقدونه مذهبا

والحاصل ان من اعتقد مذهبا من المذاهب فانه يؤدى ذلك الى المحاماة عليه والى اخراج الآيات والاحاديث عن معانيها التي أرادها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فان من قال بتحريم أكل طعام أهل الذمة وتحريم ذبائحهم حمل

قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)[١] على حل أخذ الحبوب منهم كالحنطة والشعير فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق عن هذه الاعتقادات ورد الاحاديث والآيات الى مثل تأويل الفرقة الباطنية وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية وانى لاخاف ممن حرف الآيات والاحاديث ليوافق اعتقاده أن يقلب فؤاده وقلبه فلا يوفق لمعرفة الحق عقوبة كما فعله الله فيمن رد براهين النبوة وكذب بها كما أسلفناه في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم)[٢] الآية ولو تتبعت ما وقع لأهل التقليد من التحريف لجاء منه مجلد وسيع لكن مرادنا النصيحة لا التشنيع وهى تحصل بأقل مما سقناه وأيسر مما رقمناه

فان قلت قد ذكر العلماء أدلة لجواز التقليد واسعة وطرائق نافعة قلت نعم وقد ردها أئمة الاعتقاد وأوضحوا ما فيها من الفساد ولنذكر خلاصة كلام الفريقين فالدليل الاول قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[٣] قالوا فأمر سبحانه من لا يعلم أن يسأل من هو أعلم منه فالجواب انا نقول أولا ان التزام مذهب امام معين فى جميع أقواله بحيث أن لا يحل الخروج عنه بحال بدعة وكل بدعة ضلالة فما معنى الاستدلال على البدعة

أما كونه بدعة فلانكم يا أسراء التقليد وغيركم لا يمكنكم أن تدعوا أنه كان فى عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا من الصحابة يقلده في كل أقواله ولم يترك منها شيئا وأسقط أقوال غيره البتة فلم يأخذ منها شيئاً ويتأول ما ورد من الآيات والاحاديث ليوافق مذهب من قلده هذا معلوم بالضرورة انه لم يكن فى الصحابة ولا في تابعيهم ولا تابع التابعين وهذه هي القرون الثلاثة التى خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » الحديث وما حدثت بدعة التقليد الا في القرن الرابع الذي ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ ـ المائدة ٥
٢ ـ الأنعام ١١٠
٣ ـ النحل ٤٣ الأنبياء ٧

وأما الآية التي ذكرتم فان الله تعالى أمر فيها من لا يعلم أن يسأل أهل الذكر والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطبا لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة »[1] وآياته القرآن والحكمة السنة وكما قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته) الى قوله (والحكمة)[2] فالامر فى الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنهما ليخبروه فاذا أخبروه وجب عليه اتباع ما أخبروه به وهذا على أظهر الوجوه في تفسير الآية لمن له أدنى المام بالتفسير فكيف يستدل على أعظم قواعد الاصول بوجه مجروح : ويؤيد هذا الوجه الراجح معنا أن هذا كان شأن أهل العلم في الصحابة والتابعين يسأل الجاهل العالم أي عالم عن الآيات والسنة وليس لهم مقلد معين يتبعونه فى أقواله فكان ابن عباس رضى الله عنه يسأل الصحابة عن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله لا يسأله عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون نساءه صلى الله عليه وسلم عن ما يخفى عليهم من سننه سيما عائشة رضى الله عنها : وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن أقوال رسول الله صلى عليه وسلم وأفعاله وسننه وكذلك أئمة الفقه قال الشافعى رضى الله عنه لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث منى فاذا صح الحديث فأعلمنى حتى أذهب اليه شاميًا كان أو كوفيا أو بصريًا ولم يكن أحد قط من أهل العلم يسأل الرجل عن رأى رجل بعينه فيأخذ به ويطرح ما سواه

الثاني من أدلة جواز التقليد أنه صلى الله عليه وسلم قال في قصة صاحب الشجة « الا تسألوا اذا لم تعلموا انما شفاء العي السؤال » فارشدهم الى السؤال والجواب انه صلى الله عليه وسلم انما أرشد المفتين لصاحب الشجة الى السؤال عن حكمه صلى الله عليه وسلم وسنته فقال قتلوه قتلهم الله يدعو عليهم لما أفتوا بغير علم وفي هذا تحريم الافتاء بالتقليد فان الافتاء به ليس علما باتفاق الامة وما دعا رسول

١ ـ الأحزاب ٣٤
٢ ـ الجمعة ٢

الله صلى الله عليه وسلم على فاعله فانه حرام وهو أحد أدلة التحريم فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه

الثالث من أدلتهم قالوا قال أبو العسيف الذى زنى بامرأة مستأجره « وانى سألت أهل العلم فأخبرونى أنما على ابنى جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم» أخرجه البخاري قالوا فلم ينكر صلى الله عليه وسلم تقليد من هو أعلم منه والجواب أن هذا سأل أهل العلم فأفتوه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها سأل فهو يصلح عاضداً للآية وان المراد سؤال أهل الذكر عن الكتاب والسنة لا عن رأيهم

الرابع من أدلتهم قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه)[1] ومقلدهم تابع لهم فهو ممن رضى الله عنه : والجواب صدق المقدمة الاولى وكذب الثانية فان الاولى ضرورية الصدق وأما كذب الثانية فان تفسير اتباعهم بالتقليد من تحريف الكلم عن مواضعه كيف وهذا التقليد الذي يريدونه بدعة حادثة لا يفسر بها كلام الله: واتباعهم انما هو سلوك طريقهم ومنهاجهم وقد نهوا عن التقليد فلم يكن في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار مقلد بالاتفاق فكيف يقال من اتباعهم تقليدهم بل التابعون لهم باحسان هم أهل العلم أئمة الكتاب والسنة الذين لا يقدمون على كتاب الله رأيا ولا قياسا ولا يجعلون كلام أحد عياراً على القرآن والسنن فالذي اتبعهم هو من تبع الحجة وانقاد بالدليل ولم يتخذ رجلا بعينه اماما يقتدى باقواله وسننه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)[2] فامر تعالى باتباع المنزل خاصة والمنزل هو الكتاب والسنة قال الله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[3] فالتقليد لا يكون اتباعا فان الاتباع سلوك طريقة المتبع والآيتان

١ ـ التوبة ١٠٠
٢ ـ الأعراف ٣
٣ ـ الحشر ٧

بمثل ما أتى به : وقد عقد أبو عمر بن عبد البر باباً في الفرق بين الاتباع والتقليد وقال قال عبد الله بن خويز منداد البصرى المالكى التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع عنه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة

والخامس من ادلة المقلدين الحديث المشهور « أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم » والجواب ان الحديث قد روى عن عمر من طرق لا يصح منها شيء قال البزار واما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم وان صح فالاقتداء غير التقليد فان الاقتداء فعلك مثل فعل الغير على الوجه الذى فعله بالدليل الذى فعله فلذلك قلنا من ابيات

وشتان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدي فالضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان اصبح شاربا نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى اضحى امام معارف وكان اويسا في العبادة والزهد
فمقتدياً في الحق كن لا مقلدا وخل اخا التقليد في الاسر بالقد

فالمقلد لابى حنيفة وهو المراد بالنعمان يجوز عنده شرب النبيذ وابوحنيفة لن يشربه فالاقتداء به ان لا يشربه بل المقتدى به يكون اماما في العلم والزهد كابى حنيفة ومثله قول الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير مؤلف العواصم والقواصم في الذب عن ابى القاسم من ابيات :

هم قلدوهم فاقتديت بهم وكم بين المقلد في الهدى والمقتدي
من قلد النعمان أصبح شاربا لمثلث رجس خبيث مزبد
ولو اقتدى بابي حنيفة لم يكن الا اماما راكعا في المسجد

وقال الله تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ان عد من الانبياء

عليهم السلام نحوا من بضعة عشر نبيا(فبهداهم اقتده) قال في الكشاف المراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين انتهى . ومعلوم يقينا ان الله تعالى لم يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتقليد رسله في اديانهم فعرفت أن الاقتداء والاتباع ليسا من التقليد في ورود ولا صدر

السادس من ادلة المقلدين قالوا حديث عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ابو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد: والجواب ان الاهتداء بهم اتباع السنة والكتاب والقبول لما فيهما والدعاء اليهما وتحريم التقليد اذ لم يؤثر عنهم وقد صح عن ابن مسعود وهو ابن ام عبد النهي عن التقليد وقال لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له ثم من المعلوم ان احدا منهما لم يكن يدع السنة بقول اي قائل ثم ان سنة الخلفاء الراشدين وطريقتهم اتباع السنة والكتاب فالأخذ بسنتهما اتباع السنة النبوية والقرآن ثم يقال لكم أيها المقلدون انكم لا تقلدون ابا بكر وعمر ولا تجعلون قولهما حجة بل قلدتم أئمة من اتباعا لائمة وحرمتم تقليد غيرهم فأين انتم من العمل بهذا الحديث لو كان مسوقا للتقليد فانتم اول تارك له

السابع من ادلة التقليد ان في كتاب عمر رضى الله عنه الى شريح أنه يقضي بما قضى به الصالحون ان لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به: والجواب ان كتاب عمر رضي الله فيه دليل على عدم التقليد بل امره باتباع الكتاب والسنة والمقلدون لا يقولون بذلك بل لا ينظرون في كتاب الله ولا سنة انما ينظرون في كتب شيوخهم واقوالهم ثم انه قال اذا لم يجد فيها قضاء بما قضى به الصالحون فاباح له عند تعذر وجد ان الدليل من الامرين الرجوع الى ما قضى به الصالحون الذين لا يقضون الا عن دليل من كتاب او سنة او قياس جلي فاجاز له هنا الاخذ في القضاء برأى الصالحين في الحالة الراهنة لا انه يجعل رأيهم مقدما على الكتاب والسنة كما جعل المقلدون ثم هذا كلام عمر رضى الله عنه وليس بحجة

الثامن قالوا كان الصحابة يفتون في عصره صلى الله عليه وسلم باطلاعه وهذا تقليد للمفتين * والجواب ان فتواهم كان تبليغاً عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن افتاءاً بآرائهم ولذلك لما أفتوا صاحب الشجة بخلاف سنته قال قتلهم الله كما عرفت

التاسع من أدلتهم قالوا قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)[1] فأوجب قبول انذارهم وذلك تقليد لهم * والجواب ان هذا جهل للفظ الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد أنذر كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بالحجة لم يكن نذيراً وحينئذ فالمراد لينذروا قومهم باخبارهم إياهم بالحجج والبراهين على مايفقهونهم به من الاحكام ألاترى ان خزنة النار من الملائكة يقولون لمن فيها (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء)[2] الى قوله (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)[3] قال الله تعالى (فاعترفوا بذنوبهم) فانهم أقروا انه أتاهم النذير ولا يكون الا لحجة فكذبوا ضلالا وعناداً وقالوا متأسفين (لو كنا نسمع) أي نعمل بما سمعناه (أو نعقل) أى نعمل بما عقلناه والا فمن المعلوم انهم سمعوا وعقلوا لكن ماعملوا فكأنهم لاسمع لهم ولاعقل فهم الذين يقولون سمعنا وعصينا ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم فعرفت انه لادليل فى الآية للمقلدين

العاشر من أدلتهم قالوا قد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له * والجواب ان هذا من أبطل الادلة فانا ماقبلنا قولهم الا بنص ربنا وقول نبينا واجماع أمة فلم يقبل قول الشاهد بمجرد كونه شهد به بل قبلناه لان الله أمرنا بقبول شهادته كما أمرنا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فان سميتم ذلك تقليداً فلا يضرنا وأما أنتم فقبلتم قول من قلدتموه وتركتم قول من عداه ولو كان آية من الله وحديثاً نبوياً لتأولتموها وأرجعتموها ناكصين على أعقابكم الى قول امامكم وكذلك قبولنا اقرار من أقر على نفسه بشىء وحكمنا به عليه لا يسمى تقليداً

١ ـ التوبة ١٢٢
٢ ـ الملك ٨ ـ ٩
٣ ـ الملك ١٠

بل اتباعاً لقول الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) واجماع الامة وعمله صلى الله عليه وسلم في قبول اقرار ماعز والغامدية ورجمهما باقرارهما ولا يقول أحد انه صلى الله عليه وسلم قلدهما

الحادي عشر من أدلتهم قالوا قد جعل الله في فطر العباد تقليد المتعلمين للعالمين والاستاذين في العلوم والصنائع ولاتقوم مصالح الخلق الا بهذا وذلك عام في كل علم وصناعة وقد فاوت الله بين الاذهان كما فاوت بين القوى في الابدان فلايحسن في حكمته وعدله ورحمته ان يفرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله * والجواب ان هذا حق لاينكر ولاينكر أخذ العلم عن العلماء وينكر أخذه من الصحف والقراطيس بغير تعلم ولكنا نقتدى بالعالم ونهتدي بتعليمه ونستعين بفهمه ونستضيء بانوار علومه وفرق بين تقليد العالم في جميع ما قاله وبين الاستعانة بفهمه فان الاول يأخذ بقوله من غير نظر في دليل من كتاب ولا سنة والاستعانة بفهمه وهو الثانى بمنزلة الدليل في الطريق والخريت الماهر لابن السبيل فهو دليل الى دليل فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره ونظيره من استدل بالنجم على القبلة فاذا شاهد القبلة لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى وأما قوله تعالى انه فاوت بين الاذهان فهذا مسلم وكلامنا فيمن له أهلية الخطاب وفهم ادلة ما يحتاجه من أدلة السنة والكتاب وهو بحمد الله الواحد الوهاب أمر ليس بالخفى ولا بالالغاز الذى لا يعرفه الا الذكى بل قدمنالك ان الفاظهما أقرب تناولا وأسهل أخذا وأوضح معنى ولا بد للمكلف من تفهم معانى ما كلف به اما من كلام شيوخه أو من كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ضرورة انه لا يتم له التكليف الا بالفهم والا كان معذورا غير مخاطب بشيء من الشرعيات فالفهم الذى يصرفه فى حل عبارات شيوخه وبيان معانيها يصرفه فى تفهم كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم والقدر الذى كلف

الله به عباده وقد سهله وما جعل في الدين من حرج لا في فهم المراد ولا في الافعال التي خاطب العباد : وقد قدمنا ان الواجب على كل عبد ما يخصه من الاحكام وما يدعوه اليه حاجة وهو أمر سهل يسير فان أكثر العلوم فضول كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه العلم نقطة كثرها الجهال

فهذه زبدة أدلة مجوزى التقليد وأجوبتها ومن له فهم أو القى السمع وهو شهيد لا يخفاه بعد ذلك اذا كان له مطلبا واياه يريد وقد ذكروا أدلة سماعها شغل الاسماع بغير فائدة تعود على سامعها ولا انتفاع تركناها لا نشغل بها الاوقات ويستغنى بها عن ماهو أولى بالنظر بالاتفاق والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وعليه تعالى في كل فعل التعويل ومنه نستمد الهداية في البكرة والاصيل الى ما يقربنا الى جانبه وينزلنا فى ظل رحمته الظليل وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل وصحابته خير صحاب وقبيل

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

رفع الريبة

عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكانى اليمانى »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد حمد الله والصلاة و السلام على رسوله وآله فانه قد اتفق أهل العلم جمع على تحريم الغيبة للمسلم وذلك لنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة أما الكتاب فقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) فهذا نهى قرآنى عن الغيبة مع ايراد مثل بذلك يزيده شدة وتغليظا ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقدر قدره فان أكل لحم الانسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعا ولو كان كافراً أو عدواً مكافحاً فكيف اذا كان أخاً في النسب أو في الدين فان الكراهة تتضاعف بذلك ويزداد الاستقذار فكيف اذا كان ميتاً فان لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت لا يشتهيه الطبع ولا تقبله النفس: وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة فى تحريم الغيبة بعد النهى الصريح عن ذلك

وأما السنة فأحاديث النهى عن الغيبة وهي ثابتة في الصحيحين وفى غيرهما من دواوين الاسلام وما يلحق بها مع اشتمالها على بيان ماهية الغيبة وايضاح

فانه لما سأله صلى الله عليه وسلم سائل عن الغيبة فقال «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت اذا كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته » وهذا ثابت في الصحيح فعرفت تحريم الغيبة كتاباً وسنة واجماعا ولكنه قد وقع في كلام جماعة من العلماء الاستثناء لصور صرحوا بأنه يجوز فيها الغيبة وكلماتهم في ذلك متفاوتة وما ذكروه من الاعداد المستثناة مختلف فلنقتصر ها هنا على ذكر ما أورده النووي في شرح مسلم له ثم نذكر بعد ذلك تصحيح ما هو صحيح من كلامه ونتعقب ما هو محل التعقيب ونستدل على ما لم يذكر الدليل عليه حتى يكون هذا البحث تاماً شاملا كاملا فانه من المهمات الدينية لعظم خطر الوقوع فيه مع تساهل كثير من الناس في شأنه ووقوعهم في خطره الا من عصمه الله من عباده

قال النووي في شرح مسلم عند ذكر ما ورد في تحريم الغيبة ما لفظه تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب : أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية وقدرة على انصافه من ظالمه ويقول ظلمني فلان أو فعل بي فلان كذا : الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره أو نحو ذلك : الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ورفع ظلمه عني ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول في رجل أو زوج أو ولد أو والد كان من أمره كذا ولا يعين ذلك والتعيين جائز لحديث هند وقولها ان أبا سفيان رجل شحيح : الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشريعة : ومنها الاخبار بغيبة عند المشاورة في مواصلة : ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً أو شارباً أو زانياً أو نحو ذلك تذكر للمشتري اذا لم يعلمه نصيحة لا لقصد الايذاء أو الافساد : ومنها اذا رأيت

متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصداً النصيحة : ومنها ان يكون له ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله ولا يغتر به أو يلزمه الاستقامة : الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر والمصادرة للناس وجباية المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر : السادس التعريف فان كان معروفا بلقب كالأعمش والاعرج والازرق والقصير والاعمى والاقطع ونحوها جاز تعريفه ويحرم ذكره بها منتقصا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى انتهى كلامه بحروفه

وأقول مستعينا بالله ومتوكلا عليه قبل التكلم على هذه الصور اعلم انا قد قدمنا أن تحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والصيغة الواردة فى الكتاب والثابتة في السنة عامة عموما شمولياً يقتضى تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين لكل فرد من أفرادهم فلا يجوز القول بتحليل ذلك في موضع من المواضع لفرد أو أفراد الا بدليل يخصص هذا العموم فان قام الدليل على ذلك فبها ونعمت وان لم يقم فهو من التقول على الله بما لم يقل ومن تحليل ماحرم الله بغير برهان من الله عز وجل: اذا عرفت هذا فاعلم أن الصورة الاولى من الصور التى ذكرها وهى جواز اغتياب المظلوم لظالمه قد دل على جوازها قول الله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم)[١] فهذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التى يجتمع الناس بها أما اذا كان يرجو منهم نصرته ودفع ظلامته ورفع ما نزل به من ذلك الظالم كمن له منهم قدرة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والقضاة وغيرهم فالامر ظاهر وأما اذا كان لا يرجو منهم ذلك وانما أراد كشف مظلمته واشتهارها في الناس فظاهر الآيه الكريمة يدل على جوازه لانه لم يقيدها بقيد يدل على أنه لا يجوز الجهر بالسوء من القول الا لمن يرجو منه النصرة ودفع المظلمة وان كان ما قدمنا

١ ـ النساء ١٤٨

من كلام النووى يفيد قصر الجواز على من يقدر على دفع الظالم لكن الآية لا تدل على ذلك ولا تمنع مما عداه

وهاهنا بحثان الاول لا يخفاك ان الادلة الدالة على تحريم الغيبة تشمل المظلوم وغيره والآية الدالة علي جواز الجهر بالسوء لمن ظلم تفيد جواز ذلك في وجه الظالم وفى غيبته فأدلة تحريم الغيبة أعم من وجه وهو شمولها لغير المظلوم وأخص من وجه وهو عدم تناولها لما يقال فى وجه من يراد ذكره بشيء من قبيح فعله وآية جواز ذكر المظلوم للظالم اعم من وجه وهو جواز ذكر ذلك في وجه الظالم وفى غيبته واخص من وجه وهو عدم تناولها لغير المظلوم وظالمه ولاتعارض فى مادتين وهما دلالة ادلة تحريم الغيبة على عدم جوازها لغائب غير ظالم ودلالة آية جواز الجهر بالسوء على انه يجوز للمظلوم في وجه الظالم وانما التعارض في مادة واحدة وهو ذكر المظلوم الظالم بظلمه له في غيبته فأدلة تحريم الغيبة قاضية بالمنع من ذلك والآية قاضية بالجواز للمظلوم ولا يخفاك ان أدلة تحريم الغيبة أقوى لصراحة دلالة الآية على تحريمها مع اعتضادها بالادلة من السنة واشتداد عضدها بوقوع الاجماع عليها :وآية ذكر المظلوم للظالم وان كانت قطعية المتن فهى ظنية الدلالة وقد عارضها ما هو مثلها من الكتاب العزيز فى قطعية متنه وظنية دلالته وانضم الى ذلك المعارض ماشد عضده وشال بصيغة من السنة والاجماع فتصير دلالة آية جواز ذكر المظلوم للظالم على ذكره بالسوء الذي فعله من الظلم الذى اوقعه على المظلوم في وجهه ولا يجوز له ذكره في غيبته ترجيحا للدليل القوى ومشيا على الطريق السوى فلا تكون هذه الصورة التي جعلها النووي عنوانا للصورة المستثناة صحيحة لعدم قيام مخصص صحيح صالح للتخصيص يخرجها من ذلك العموم

البحث الثانى هل جهر المظلوم بالسوء الذي اصابه من ظالمه جائز فقط أم له رتبة أرفع من رتبة الجواز لان الاستثناء من قوله (لايحب الله الجهر بالسوء) يدل على ان جهر المظلوم بالسوء الذى وقع عليه محبوب لله تعالى واذا كان محبوبا لله تعالى كان فعله من فاعله يزيد تحريه زائدة على الجواز ورتبة ارفع منه وهنا على تقدير ان الاستثناء متصل حتى ١ - النساء ١٤٨

يثبت للمستثني ما نفى عن المستثنى منه أما اذا كان منقطعا فلا دلالة في الآية على انه مما يحبه الله بل لا يدل على سوى جوازه لكن على تقدير الاتصال ههنا مانع من ان يكون لذكر المظلوم لظالمه بالسوء رتبة زائدة على رتبة الجواز وهو ان الله سبحانه قد رغب عباده بالعفو وندبهم الى ترك الانتصاف والتجاوز عن المسيء حتى ورد الارشاد للمظلوم الى ترك الدعاء على ظالمه وانه اذا فعل ذلك انحط عليه من اجر ظلامته ما هو مذكور في الاحاديث : وقد صرح الكتاب في غير موضع بالامر بالعفو والترغيب فيه وعظم اجر العافين عن الناس وهكذا وقع من السنة المطهرة ماهو الكثير الطيب من ذلك: ومجموع هذا يفيد ان الانتصاف وترك العفو غايته ان يكون جائزا وهكذا ما في الآية من جواز ذكر المظلوم للظالم بالسوء الذى ناله منه للقطع بان الله يحب العفو عن الناس وذلك معلوم بالكتاب والسنة والاجماع والادلة عليه من كليات الشريعة وجزئياتها تحتاج الى طول وبسط

وأما الصورة الثانية التي ذكرها النووي فيما قدمنا وهي الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى الصواب فاعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من اعظم عمد الدين لان بهما حصول مصالح الاولى والاخرى فان كانا قائمين قام بقيامهما سائر الاعمدة الدينية والمصالح الدنيوية وان كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الامور الدينية والدنيوية: وبيان ذلك ان اهل الاسلام اذا كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم ثابت الاساس والقيام به هو شأن الكل أو الا كثر من الناس والمعروف بينهم معروف وهم يد واحدة على اقامة من زاغ عنه ورد غواية من فارقه والمنكر لديهم منكر و جماعتهم متعاضدة عليه متداعية اليه متناصرة على الاخذ بيد فاعله وارجاعه الى الحق والحيلولة بينه وبين ما فارقه من الامر المنكر فعند ذلك لا يبقى احد من العباد في ظاهر الامر تاركا لما هو معروف ولا فاعلا لما هو منكر لا فى عبادة ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع وتستطلع شموس العدل وتهب رياح الدين وتستعلن كلمة الله فى

عباده وترتفع أوامره ونواهيه وتقوم دواعى الحق وتسقط دواعى الباطل وتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المرجوع اليه المعول عليه وكتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وا له وسلم هما المعيار الذى توزن به اعمال العباد وترجع اليهما في دقيق الامور وجليلها وبذلك تنجلى ظلمات البدع وتنقصم ظهور أهل الظلم وتنكسر نفوس اهل معاصى الله وتخفق رايات الشرع في اقطار الارص ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل

واما اذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين اوكانا قائمين قياما صوريا لا حقيقيا فيالك من بدع تظهر ومن منكرات تستبين ومن معروفات تستخفي ومن جولان العصاة واهل البدع تقوى وترتفع ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس ومن هرج تمرج في العباد ويبرز للعيان وتقر بهعين الشيطان وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة والعاصي كالذئب المفترس وهذا بلا شك ولا ريب بمحو رسوم هذا الدين وذهاب نور الهدى وانطماس معالم الحق وعلى تقدير وجود افراد من العباد يقومون بفرائض الله ويدعون مناهيه ولا يقدرون على امر بمعروف ولا نهى عن منكر فما أقل النفع بهم واحقر الفائدة العائدة على الدين منهم فانهم وان كانوا ناجين باعمالهم فائزين بتمسكهم بعروة الحق الوثقى لكنهم في زمان غربة الدين وانطماس معالمه وظهور المنكر وذهاب المعروف بين أهل السواد الاعظم وفيما يتظاهر به الناس وحينئذ يصير المعروف منكرا والمنكر معروفاً ويعود الدين غريباً كما بدا

واذا تقرر لك هذا وعرفت ما في قيام الامر بالمعروف والنهى عن المنكر في الناس من مصالح المعاش والمعاد وفوائد الدنيا والدين فاعلم ان هذا الذى رأى منكراً ان كان قادراً على تغييره بنفسه او بالاستنصار بمن يمكن الاستنصار به بان يقول لجماعة من المسلمين في المكان الفلانى من يرتكب المنكر فهلموا الى وقوموا معى حتى ننكره ونغيره فليس به الا الغيبة التى هي جهد من لا له جهد حاجة الآن وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان موجوداً في عباد

الله فلا يحتاجون الى تعيين فاعل المنكر وبيان انه فلان ابن فلان وان لم يكن فيهم ذلك الوازع الديني والغيرة الاسلامية فهم لا ينشطون الى اجابته بمجرد التسمية والتعيين اذ لا فرق في مثل هذا بين الاجمال اللهم الا ان يكون سيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كليلا وعضده ضعيفاً عليلا ضئيلا فانهم قد ينظرون مع التسمية والتعيين في فاعل المنكر فان كان قويا جليلا يتركونه وان كان ضعيفاً حقيراً قاموا اليه وغيروا ما هو عليه وهذا هو غربة الدين العظيمة ولكن في الشر خيار وبعضه أهون من بعض فاذا كانوا بمنزلة من ضعف العزيمة بحيث لا يقدرون الا على الانكار على المستضعفين المستذلين فذلك فرضهم وليس عليهم سوء وحينئذ لا بأس بالتغيير والغيبة التي هي غاية ما يقدر عليه المستضعفون ونهاية ما يتمكن منه العاجزون والله ناصر دينه ولو بعد حين : وجواز الغيبة في مثل هذا المقام هو بادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التي لا يقوم بجنبها دليل لا صحيح ولا عليل

فان قلت ههنا دليـــلان بينهما عموم وخصوص من وجه هما أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدلة تحريم الغيبة فكيف لم تعمل ههنا كما عملت في الصورة الاولى ، قلت قد عملت ههنا كما عملت في الصـورة الاولى فرجحت العمل بالراجح كما رجحت في الصورة الاولى العمل بالراجح وان اختلف موضعا الترجيح ففي الصورة الاولى رجحت أدلة الغيبـة لما تقرر من ان العمومين الواردين على هذه الصورة ان رجـح أحدهما على الآخر باعتبار ذاته وجب المصير اليه وان لم يرجح باعتبار ذلك وأمكن الترجيح باعتبار أمر خارج وجب الرجوع اليه وقد وجد المرجح هنالك باعتبـار الامر الخارجي وهو أدلة السنة والاجماع فانها أوجبت ترجيح أدله تحريم الغيبة في تلك الصورة التي وقع فيهـا التعارض على أدلة جواز الجهر بالسوء للمظلوم على طريقة الاعتبار وههنا كان الترجيح في صورة التعارض بكون أحد الدليلين ثابتاً بالضرورة الدينيـة دون الآخر ولهذا قدمنـا لك ماقدمنا في فوائد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وعرفناك انه لاشيء من الامور الدينية يقوم مقامهما ولايغني غناهما

وأما الصورة الثالثة وهي جواز الغيبة للمستفتي فأقول لايخفاك ان أدلة تحريم الغيبة ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع كما قدمنا فصار تحريمها من هذه الحيثية من قطعيات الشريعة وليس في تسويغهما للمستفتي الا سكوته صلى الله عليه وسلم عن الانكار على هند لما قالت له ان أباسفيان رجل شحيح وهذا السكوت منه صلى الله عليه وآله وسلم عند سماع الغيبة من امرأة حديثة عهد بجاهلية لرجل حديث عهد بجاهلية مع كونه في تلك الحال لم يكن قد ظهر منه مايدل على خلوص اسلامه واستقامة طريقه وانما ظهر منه ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فهذا التقرير بالسكوت الكائن على هذه الصفة في مثل هذه الحالة بعد ثبوت تحريم الغيبة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وعلم الصحابة واجماعهم عليه لاينبغي التمسك بمثله ولايحل القول بصلاحيته للتخصيص لان السامعين من المسلمين في تلك الحالة قد علموا تحريم الغيبة وتقرر عندهم حكمها فلو لم يكن السكوت الا لكون حكم الغيبة قد صار معلوماً واضحاً مشهوراً عندهم لكان ذلك بمجرده قادحاً في الاستدلال به وتخصيص الادلة القطعية بمثله وهذا على تقدير أن أباسفيان لم يكن حاضراً في ذلك الموقف فان كان حاضراً كما قيل اندفع التعلق بسكوته صلى الله عليه وآله وسلم من الاصل ومع هذا فلاضرورة ملجئة للمستفتي الى التعيين حتى يقال انه لايتم مطلوبه من الاستفتاء الا بالتعيين فانه يحصل مطلوبه بالاجمال لان المقصود استفتاؤه الحكم الشرعي وهي حاصلة بمعرفة مايقوله المفتي مع الاجمال كما يحصل معرفته بما يقول مع التفصيل والتعيين وهذا مما لاشك فيه ولاشبهة : وبهذا تعرف ان هذه الصورة ليست من صور تخصيص تحريم الغيبة لعدم انتهاض دليلها يعرف ذلك كل عارف بكيفية الاستدلال

وأما الصورة الرابعة قد جعلها النووي رحمه الله في كلامه السابق على أقسام خمسة : القسم الاول الجرح والتعديل للرواة والمصنفين والشهود واستدل على جواز ذلك بل على وجوبه بالاجماع وكلامه صحيح واستدلاله بالاجماع

واضح فانه مازال سلف هذه الامة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة ومن الشهود على دماء العباد وأموالهم وأعراضهم ويعدلون من يستحق التعديل ولولا هذا التلاعب بالسنة المطهرة لكثر الكذابون واختلط المعروف بالمنكر ولم يتبين ماهو صحيح مما هو باطل وماهو ثابت مما هو موضوع وماهو قوى مما هو ضعيف للقطع بأنه مازال الكذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال « انه سيكذب عليّ فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وثبت عنه في الصحيح أيضاً انه قال « ان كذباً عليّ ليس ككذب على احدكم » الحديث: وثبت عنه في الصحيح انه قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » ففيه دليل على ان الكذب قد كان قبل انقراض القرن الثالث ولكن من غير فشو ثم فشا بعده وبهذا يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بانه سيكذب عليه خصوصاً ويفشو الكذب عموماً ثم وقع فى الخارج ما اخبر به الصادق المصدوق فانه لم يزل في كل قرن من القرون كذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون الاكاذيب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثون بها فلولا تعرض جماعة من حملة الحجة لجرح المجروحين وتعديل العدول وذبهم عن السنة المطهرة وتنبيههم لكذب الكذابين لبقيت تلك الاحاديث المكذوبة من جملة الشريعة وعمت بها البلوى فكان قيام الائمة بهذه العهدة من اعظم ما أوجبه الله على العباد ومن أهم واجبات الدين ومن الحماية للسنة المطهرة فجزاهم الله خيراً وضاعف لهم المثوبة فلقد قاموا قياماً مرضياً وخلصوا عباد الله من التكاليف بالكذب وصفوا الشريعة المطهرة وأماطوا عنها الكدر والقذر وأخرسوا الكذابين وقطعوا ألسنتهم وغلغلوا رقابهم والحمد لله على ذلك * وهكذا جرح الشهود وتعديلهم فانه لو لم يقع ذلك لاريقت الدماء وهتكت الحرم واستبيحت الاموال بشهادات الزور التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر وحذر عنها *

والحاصل ان كليات الشريعة وجزئياتها وقواعدها واجماع أهلها تدل أوضح دلالة على ان هذا القسم لاشك ولاريب في جوازه بل في وجوب بعض صوره صونًا للشريعة وذبًا عنها ودفعًا لما ليس منهـا وحفظًا لاموال العباد ودمائهم واعراضهم وهذا كله داخل فى الضروريات الخمس المذكورة في علم الاصول * ومما يدل على ذلك دلالة بينة ماورد في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم فان بيان كذب الكذابين من اعظم النصيحة الواجبة لله ولرسوله ولجميع المسلمين وأدلة وجوب النصيحة متواترة وكذلك جرح من شهد في مال أو دم أو عرض بشهادة زور فانها من النصيحة التي أوجبها الله على عباده واخذهم بتأديتها وأوجب عليهم القيام بها

القسم الثاني الاخبار بالغيبة عند المشاورة ثم مشروعية المناصحة الثابتـة بالتواتر وهو من جملة حقوق المسلم على المسلم كما ثبت فى الصحيح وفيه « واذا استنصحك فانصحه » ولـكن ليس في هذا القسم من الضرورة الملجئـة الى التعيين مافي القسم الاول فانه يمكن القيام بواجب النصيحة بأن يقول الناصح لاأشير عليك بهذا أو لاتفعل كذا أو نحو ذلك وليس عليه من النصيحة زيادة على هذا فالتعيين والدخول فيما هو من الغيبة فضول من الناصح لم يوجبه الله عليه ولاتعبده به ولاضرورة تلجئـه اليه كما في القسم الاول فليس هذا القسم من الاقسام المستثناة من أدلة تحريم الغيبة وبهذا تستريح عن الكلام في تعارض الدليلين الذين بينهما عموم وخصوص من وجه

القسم الثالث قوله ومنها اذا رأيت من يشترى شيئًا معيبًا أو عبداً سارقًا الخ * أقول هذا القسم أيضًا كالقسم الذي قبله لايصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بمجرد قوله لاأشير عليك بشراء هذا أو نحو هذه العبارة فله عن الدخول في خطر الغيبـة منه وجه وعن الوقوع في مضيقها سعة

القسم الرابع قوله ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق الخ * أقول وهذا

القسم أيضا كالذى قبله لايصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بالاجمال ولم يتعبد الله بالتفصيل وذكر المعائب والمثالب بل يكفيه أن يقول لااشير عليك بمواصلة هذا أو لاأرى لك الاخذ عنه أو نحو هذه العبارة فالتصريح بما هو غيبة فضول لم يوجبه الله عليه ولاطلبه منه

القسم الخامس قوله ومنها أن يكون له ولاية الخ * وهذا القسم أيضا كالاقسام التى قبله لايصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لانه اذا قال له لاتستعمل هذا أو لاأرى لك الركوب عليه فقد فعل ما أوجبه الله عليه من النصيحة والزيادة على هذا المقدار فضول ليس لله فيه حاجة ولا للمنصوح ولا للناصح

وأما الصورة الخامسة وهي ذكر المجاهر بالفسق بما جاهر به * فأقول ان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به هو التحذير للناس فقد دخل ذلك في الصورة الرابعة وقد اوضحنا مافيها فلانعيده ومع هذا فحصول المطلوب من التحذير يمكن من دون ذكر ماجاهر به بان يقول لمن ينصحه لاتعاشر فلانا أو لاتداخله أو لاتذهب اليه فان هذا الناصح المشير يقوم بواجب النصيحة بهذا المقدار من دون أن يذكر نفس المعصية التى صار العاصى يجاهر بها وما أقل فائدة التعرض بذلك وأحصره فانه لم يأت دليل يدل على جواز ذكره بما جاهر به بل ذلك غيبة محضة وأما مايروى من حديث « اذكروا الفاسق بما فيه كيما يحذره الناس » فلم يصح ذلك بوجه من الوجوه على انه انما يسمى مجاهراً بمجاهرته بتلك المعصية والاستظهار بها بين الناس وايقاعها علانية وعند ذلك يعلم الناس منه ذلك ويعرفونه بمشاهدته فلايبقى لذكره به كثير فائدة وان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به استغاثة الذاكر على الانكار عليه لمن يذكر له ذلك الذنب : فهذه الصورة داخلة فى الصورة الثانية التى قدم النووي ذكرها وقدمنا الكلام عليها فلا فائدة لجعلها صورة مستقلة فان استدل المستدل على

جواز مثل هذا بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من قوله « بئس أخو العشيرة » فيقال له أولا ان هذا القول الواقع منه صلى الله عليه وسلم لايجوز لنا الاقتداء به فيه لان الله سبحانه قد حرم عليه الغيبة في كتابه العزيز وحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا بما تقدم ذكره من قوله الصحيح وباجماع المسلمين فعلى تقدير ان هذا القول مما يصدق عليه اسم الغيبة يكون وقوعه منه صلى الله عليه وسلم فى حكم المخصص له من ذلك العموم لكن على هذه الصورة الاجمالية وبهذه الصفة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم وأيضا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم مالم نعلم ويأتيه الوحي بما لم يأتنا ويبين الله له مالم يبين لنا فلايجوز لنا أن نقتدى به في قول صدر منه على هذه الصفة لجهلنا بالحقائق وعدم اطلاعنا على مافى باطن الامر ولهذا رد صلى الله عليه وسلم على من وصف رجلا في مقامه بأنه مؤمن فقال أو مسلم هو ورد على آخرين بما وصفوا رجلا بالنفاق فقال أشهد أن لااله إلا الله وهذا كله ثابت فى الصحيح وأيضاً فذلك الرجل الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم بئس أخو العشيرة لم يكن اذ ذاك قد صلح اسلامه بل هو من جملة من كان يتبع الاسلام ظاهراً مع اضطراب حاله وبقى أثر الجاهلية عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم يتألف أمثال هذا ويعاملهم معاملة المسلمين الخالصين الاسلام مع علمه وعلم أصحابه بما هم عليه وكان يقول لمن يأتيه منهم هذا سيد بنى فلان هذا سيد قومه وهذا سيد الوبر ونحو ذلك بل كان يتألفهم بالكثير من المال والنصيب الوافر من المغانم ويكل خلص المؤمنين من المهاجرين والانصار الى ايمانهم ويقينهم: هذا معلوم لايشك فيه عارف ولايخالف فيه مخالف ولايحل لاحدنا أن يعمد الى مايعلم انه خالف (١) الاسلام صحيح النية فيه مؤمن بالله ورسوله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فيغتابه بمعصية فعلها أو خطيئة جاهر بها مستدلا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « بئس أخو العشيرة » لما أوضحنا لك وليس الخطر ههنا بيسير ولاالخطب بقليل فان الاقدام على الغيبة

---

(١) كذا في الاصل

المحرمة بالكتاب والسنة والاجماع اذا لم يكن فيه برهان من الله سبحانه كان الوقوع فيه وقوعا فيما حرمه الله ونهى عنه والقول بجوازه بدون برهان من التقول على الله بما لم يقل وهو أشد من ذلك وأعظم وأخطر والهداية بيد الله عز وجل

وأما الصورة السادسة وهي التعريف بالالقاب فأقول قد نهى عن ذلك القرآن الكريم قال الله عز وجل (ولا تنابذوا بالالقاب) هذا النهي يدل على تحريم التلقيب ولا يجوز شيء منه الا بدليل يخصص هذا العموم فقد اجتمع على المنع عن هذا دليلان قويان احدهما أدلة تحريم الغيبة والثاني دليل تحريم التلقيب فان كان ذكر ذى اللقب بلقبه في غيبته كان الذاكر جامعاً بين تحريم الغيبة وتحريم التلقيب وان كان ذكر ذى اللقب في وجهه كان الذاكر واقعاً في التلقيب المحرم * فان قلت اذا علمنا ان المذكور بلقبه لا يكره ذكره به قلت اذا علمنا ذلك لم يكن غيبة محرمة لان الغيبة هو ذكرك أخاك بما يكره ولكن الذاكر له بذلك اللقب واقع في مخالفة النهى القرآني المصرح بالنهي عن التنابذ بالالقاب كما لا يخفى فان قلت ان ذكره باللقب أقرب الى تعريفه لمن يشتهر بالاعرج والاعمش والاعور ونحو ذلك قلت هذه الاقربية لا تحلل ما حرم الله فينبغي ذكره بالاوصاف التى لا تلقيب فيها وان طالت المسافة وبعدت وانظر ما في مثل هذا من الخطر العظيم وهذا الوقوع في النهي القرآنى ومما يزيدك على هذا وأمثاله بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سمعها فذكرت امرأة اخرى أنها قصيرة فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » والحديث صحيح فان قلت هذه دواوين الاسلام ومسانيدها ومعاجمها وسائر المصنفات فى السنة مشحونة بذكر الالقاب كالاعمش والاعرج والاعور ونحوها قلت لا يصح ايراد مثل هذا في مقابلة النهي القرآني المصرح بتحريم التنابذ بالالقاب وانما يقتدى الناس باهل العلم فى الخير فاذا جاؤا بما يخالف الكتاب والسنة فالقدوة الكتاب والسنة مع احسان الظن بهم وحملهم على محامل حسنة مقبولة فان قلت فان كان صاحب اللقب لا يعرف إلا به ولا يعرف بغيره اصلا قلت

اذا بلغ الامر الى هذه النهاية ووصل البحث الى هذه الغاية لم يكن ذلك اللقب لقبا بل هو الاسم الذى يعرف به صاحبه اذ لا يعرف باسم سواه فقط والتسمية للانسان باسم يعرف به لا سيما من كان من رواة العلم الحاملين له المبلغين ما عندهم منه الى الناس أمر تدعو اليه الحاجة وألا بطل ما يرويه من العلم خصوصاً ما كان قد تفرد به ولم يشاركه فيه غيره وعلى هذا يحمل ما وقع في المصنفات من ذكر الالقاب فان أهلها وان كانت لهم اسماء ولآبائهم ولاجدادهم فغيرهم يشاركهم فيها فقد يتفق اسم الرجل واسم ابيه مع أبيه واسم جده مع جده فلا يمتاز أحدهما عن الآخر في كثير من الحالات الا بذكر الالقاب ونحوها وحينئذ لم يبق لتلك الاسماء فائدة لان المقصود منها ان يتميز بها صاحبها عن غيره ولم يحصل هذا الذى هو المقصود بها بل انما حصل من اللقب فكان هو الاسم المميز في الحقيقة فلم يكن ذلك من التنابذ بالالقاب فاعرف هذا وتدبره فانه نفيس وبه يندفع ما تقدم من ايراد ما جرى عليه عمل ائمة الرواية وهكذا يرتفع الاشكال عن القارىء لتلك الكتب فلا يقال له انه يروي بالألقاب ويغتاب أهلها بقراءتها في كتب السنة وفي هذا المقدار كفاية والله ولى التوفيق والحمد لله على ذلك

تمت الرسالة والحمد لله

المطبعة العثمانية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

شرح الصدور

في تحريم رفع القبور

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة»

« محمد الشوكانى اليمانى »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين
وصحبه المكرمين : وبعد فاعلم اذا وقع الخلاف بين المسلمين في ان هذا الشيء بدعة
او غير بدعة او مكروه أو غير مكروه أو محرم أو غير محرم أو غير ذلك فقد اتفق
المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وهو القرن الثالث
عشر منذ البعثة المحمدية ان الواجب عند الاختلاف فى أى أمر من أمور الدين
بين الائمة المجتهدين هو الرد الى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم الناطق بذلك الكتاب العزيز (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول)[١] ومعنى الرد الى الله سبحانه وتعالى الى كتابه ومعنى الرد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرد الى سنته بعد وفاته وهذا في الاختلاف بين جميع
المسلمين

فاذا قال مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال الآخر هذا حرام فليس
احدهما أولى بالحق من الآخر ان كان اكثر منه علما أو اكبر منه سنا أو أقدم منه

١ ـ النساء ٥٩

عصرا لان كل واحد منهما فرد من أفراد عباد الله متعبد بما في الشريعة الطاهرة
وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومطلوب منه ما طلب الله من
غيره من العباد وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد او مجاوزته لها لا يسقط عنه
شيئا من الشرائع التى شرعها لعباده ولا يخرجه من جملة المكلفين من العباد
بل العالم كلما ازداد علما كان تكليفه زائداً على تكاليف غيره ولو لم يكن من ذلك
الا ما اوجبه الله عليه في البيان للناس كما كلفه به من الصدع وايضاح ما شرعه الله
لعباده (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)[١]
(ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فلو لم يكن لمن رزقه الله طرفاً من
العلم الا كونه مكلفا بالبيان للناس لكان كافيا فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون
عن دائرة التكليف بل يزيدون بما علموه تكليفا واذا اذنبوا كان ذنبهم اشد من
ذنب الجاهل واكثر عقاباً كما حكاه الله سبحانه عن من عمل سوءاً بجهالة ومن عمله
بعلم وكما حكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود حيث أقدموا على مخالفة ما
شرعه الله لهم مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسونه ونعى ذلك عليهم في مواضع
متعددة وبكتهم أشد تبكيت وكما ورد فى الحديث الصحيح « ان أول ما تسعر به
جهنم العالم الذى يأمر الناس ولا يأتمر وينهاهم ولا ينتهى » وبالجملة فهذا أمر
معلوم ان العلم وكثرته وبلوغ حاله الى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا
من التكاليف الشرعية بل يزيدها عليه شدة ويخاطب بأمور لا يخاطب بها
الجاهل ويكلف بتكاليف غير تكاليف الجاهل ويكون ذنبه أشد وعقوبته أعظم
وهذا لا ينكره أحد ممن له أدنى تمييز بعلم الشريعة والآيات : والاحاديث
الواردة في هذا المعنى لو جمعت لكانت مؤلفا مستقيا ومصنفا حافلا وليس ذلك
من غرضنا فى هذا البحث بل غاية الغرض من هذا ونهاية القصد هو بيان أن
العالم كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة مع ما أوضحناه
لك من التفاوت بين الرتبتين رتبة العالم ورتبة الجاهل في كثير من التكاليف

١ ـ آل عمران ١٨٧
البقرة ١٥٩

واختصاص العالم منهما مالا يجب على الجاهل وبهذا يتقرر لك ان ليس لاحد من العلماء المختلفين أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول الحق ما قاله فلان دون فلان أو فلان أولى بالحق من فلان بل الواجب عليه ان كان ممن له فهم وعلم وتمييز أن يرد ما اختلفوا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو الحق وهو الاولى بالحق ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لا له كان هو المخطىء ولا ذنب عليه فى هذا الخطأ ان كان قد وفي الاجتهاد حقه بل هو معذور بل مأجور كما ثبت في الحديث الصحيح انه « اذا اجتهد فأصاب فله أجران وان اجتهد فاخطأ فله أجر » فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله ولكن هذا انما هو المجتهد نفسه اذا أخطأ ولا يجوز لغيره أن يتبعه فى خطئه ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كاجره بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع الى الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة

واذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم الى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذى أصاب الحق ووافقه وان كان واحدا والذى لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذى لم يصب الحق بل أخطأه وان كان عدداً كثيراً فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم وان كان مقصراً أن يقول ان الحق بيد من يقتدى به من العلماء ان كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره فان ذلك جهل عظيم وتعصب شديد وخروج من دائرة الانصاف بالمرة لان الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق وليس أحد من العلماء المجتهدين والائمة المحققين بمعصوم ومن لم يكن معصوما فهو يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب فيصيب تارة ويخطىء أخرى ولا يتبين صوابه من خطئه الا بالرجوع الى دليل الكتاب والسنة فان وافقهما فهو مصيب وان خالفهما فهو مخطىء ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم سابقهم ولاحقهم كبيرهم وصغيرهم

وهذا يعرفه كل من له أدنى حظ من العلم وأحقر نصيب من العرفان ومن لم يفهم هذا ويعترف به فليتهم نفسه ويعلم أنه قد جنى على نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه والدخول فيما لا تبلغ اليه قدرته ولا ينفذ فيه فهمه وعليه أن يمسك قلمه ولسانه ويشتغل بطلب العلم ويفرغ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التي يتوصل بها الى معرفة الكتاب والسنة وفهم معانيهما والتمييز بين دلائلهما ويجتهد عن البحث في السنة وعلومها حتى يتميز عنده صحيحها من سقيمها ومقبولها من مردودها وينظر في كلام الائمة الكبار من سلف هذه الامة وخلفها حتى يهتدى بكلامهم الى الوصول الى مطلوبه فانه ان فعل هذا وتقدم الاشتغال بما قدمنا ندم على ما فرط منه قبل أن يتعلم هذه العلوم غاية الندم وتمنى أنه أمسك عن التكلم بمالا يعنيه وسكت عن الخوض فيما لا يدريه

وما أحسن ما أدبنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في قوله « رحم الله امرءاً قال خيراً أو صمت »(١) وهذا في الذي تكلم في العلم قبل أن يفتح الله عليه بما لابد منه وشغل نفسه بالتعصب للعلماء وتصدر للتصويب والتخطئة في شيء لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه ولم يقل خيراً ولا صمت فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذ قد تقرر لك من مجموع ما ذكرناه وجوب الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العزيز واجماع المسلمين أجمعين عرفت أن من زعم من الناس انه يمكن معرفة المخطيء من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسأله من المسائل فهو مخالف لما في كتاب الله ومخالف لاجماع المسلمين أجمعين فانظر أرشدك الله الى أى جناية جنى على نفسه بهذا الزعم الباطل وأى مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش وأى بلية جلبها عليه القصور وأي محنة شديدة ساقها اليه التكلم فيما ليس من شانه

(١) الذي في الجامع الصغير رحم الله امرأ تكلم فغنم أوسكت فسلم اه عن أنس وعن الحسن مرسلا

وها أنا أوضح لك مثال ما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم ومن كيفية الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليتبين المصيب من المخطىء ومن بيده الحق ومن بيده غيره حتى يعرف لك حق معرفته ويتضح لك غاية الاتضاح فان الشيء اذا ضربت له الأمثلة وصورت له الصور بلغ من الوضوح والجلاء الى غاية لا تخفى على من له فهم صحيح وعقل رجيح فضلا عن من لم يكن له في العلم نصيب وفي العرفان حظ ولنجعل هذه المسأله التى جعلناها مثالا لما ذكرناه وأيضاحاً لما أمليناه هي المسئلة التى لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا خصوصا في هذه الايام لاسباب لا تخفى وهي مسئلة رفع القبور والبناء عليها كما يفعله الناس من بناء المساجد والقباب على القبور فنقول

اعلم أن قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضى الله عنهم الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التى ثبت النهى عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعلها كما يأتى بيانه ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولاروى عن أحد سواه: ومن ذكر من المؤلفين فى كتب الفقه من الزيدية فهو جرى على قوله واقتدوا به ولم نجد القول بذلك لا حد ممن عاصره أو تقدم عصره عليه لا من أهل البيت ولا من غيرهم وهكذا اقتصر صاحب البحر الذى هو مدرس كبار الزيدية ومرجع مذاهبهم ومكان البيان لخلافهم فى ذات بينهم وللخلاف بينهم وبين غيرهم بل اشتمل على غالب أقوال المجتهدين وخلافاتهم في المسائل الفقهية وصار هو المرجوع اليه فى هذه الاعصار وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل وأقوال القائلين باثباتها أو نفيها من المجتهدين فان صاحب هذا الكتاب الجليل ما نسب هذه المقالة أعنى جواز رفع القباب والمشاهد على قبور الفضلاء الا الى الامام يحيي وحده فقال مانصه : مسئلة قال الامام يحيي ولا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملك

لاستعمال المسلمين ولم ينكر انتهى : فقد عرفت من هذا انه لم يقل بذلك الا الامام يحيى وعرفت دليله الذى استدل به وهو استعمال المسلمين مع عدم النكير ثم ذكر صاحب البحر هذا الدليل الذى استدل به الامام يحيى في الغيث واقتصر عليه ولم يأت بغيره: فاذا عرفت هذا تقرر ان هذا خلاف واقع بين الامام يحيى وبين سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرها ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم ولا يعترض هذا بحكاية من حكى قول الامام يحيى في مؤلفه ممن جاء بعده من المؤلفين فان كان مجرد حكاية القول لا يدل على أن الحاكى يختاره ويذهب اليه فان وجدت قائلا من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجحه فان كان مجتهداً كان قائلا بما قاله الامام يحيى ذاهباً الى ما ذهب اليه بذلك الدليل الذى استدل به وان كان غير مجتهد فلا اعتبار بموافقته لانها انما تعتبر أقوال المجتهدين لا أقوال المقلدين فاذا أردت أن تعرف هل الحق ما قاله الامام يحيى أو ما قاله غيره من أهل العلم فالواجب عليك رد هذا الاختلاف الى ما أمرنا الله بالرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فان قلت بين لى العمل في هذا الرد حتى تتم الفائدة ويتضح الحق من غيره والمصيب من المخطىء في هذه المسئلة * قلت افتح لما لك وله سمعاً واتخذ له فهماً وأرهف له ذهناً وها انا اوضح لك الكيفية المطلوبة وابين لك ما لا يبقى عندك بعده ريب ولا يصاحب ذهنك وفهمك عنده لبس فأقول

قال الله سبحانه (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[1] فهذه الآية فيها الايجاب على العباد بالائتمار بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخذ به والانتهاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه * وقال الله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)[2] ففى هذه الآية تعليق محبة الله الواجبة على كل عبد من عباده باتباع رسوله صلى

١ ـ الحشر ٧
٢ ـ آل عمران ٣١

الله عليه وآله وسلم وان كان ذلك هو المعيار الذى يعرف به محبة العبد لربه على الوجه المعتبر: وانا أبنا السبب الذي يستحق به العبد أن يحبه الله: وقال الله سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[1] ففي هذه الآية ان طاعة الرسول طاعة لله * وقال (ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا)[2] فاوجب هذه السعادة لمن أطاع الله ورسوله وهي ان يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجة وأعلاهم منزلة * وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)[3] * وقال سبحانه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاؤلئك هم الفائزون)[4] وقال سبحانه (اطيعوا الله واطيعوا الرسول)[5] وانزل الله على رسوله ان يقول (فاتقوا الله واطيعون)[6]: والآيات الدالة على هذا المعنى فى الجملة أكثر من ثلاثين آية

ومستفاد من جميع ما ذكرناه ان ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه كان الأخذ به واتباعه واجبا بأمر الله سبحانه وكان الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك طاعة لله وكان الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً من الله وسنوضح لك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث من النهى عن رفع القبور والبناء عليها ووجوب تسويتها وهدم ما ارتفع منها ولكنا هنا نبتدىء بذكر اشياء فى حكم التوطئة والتمهيد لذلك ثم ننتهى الى ذكر ما هو المطلوب حتى يعلم من اطلع على هذا البحث انه اذا وقع الرد على ما قاله الامام يحيى وما قاله غيره في القباب والمشاهد الى ما أمر الله بالرد اليه وهو كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك مايشفي ويكفي ويقنع ويغنى ذكر بعضه فضلا عن ذكر جميعه وعند ذلك نبين لكل من له فهم مافي رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة ومن المكيدة البالغة التي كادهم الشيطان بها وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السالفة كما حكى الله سبحانه

١ ـ النساء ٨٠
٢ ـ النساء ٦٩
٣ ـ النساء ١٣ ـ ١٤
٤ ـ النور ٥٢
٥ ـ المائدة ٩٢
٦ ـ آل عمران ٥٠ الشعراء ١٠٨

وتعالى ذلك في كتابه العزيز وكان أول ذلك من قوم نوح قال الله سبحانه (قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسراً) كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك: وقد حكى معنى هذا في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه : وقال قوم من السلف ان هؤلاء كانوا قوما صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ان ام سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بارض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله » وأخرج ابن جرير فى تفسير قوله تعالى « افرأيتم اللات والعزى » قال كان يلت لهم السويق فعكفوا على قبره : وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله البجلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يقول « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانما أنهاكم عن ذلك » وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . وفي الصحيحين مثله أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنه . وفيهما أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لابرز قبره غير انه خشى أن يكون مسجداً . وأخرج الامام احمد في مسنده باسناد جيد من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وأخرج احمد وأهل السنن من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدى قال قال لي علي بن أبي طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاتدع تمثالا الا طمسته ولاقبراً مشرفاً الاسويته : وفي صحيح مسلم أيضاً عن ثمامة بن شفي نحو ذلك : وفي هذا أعظم دلالة على ان تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجبة متحتمة فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد فان ذلك من المنهى عنه بلا شك ولاشبهة . ولهذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين رضى الله عنه ثم ان أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدى في أيام خلافته . وأخرج احمد ومسلم وابوداود والترمذى وصححه النسائى وابن حبان من حديث جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يوطأ » وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم « أن يكتب عليه » قال الحاكم النهى عن الكتابة على شرط مسلم وهى صحيحة غريبة وفي هذا التصريح بالنهى عن البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوقه لانه لايمكن أن يجعل نفس القبر مسجداً فذلك مما يدل على ان المراد بعض مايقربه مما يتصل به . ويصدق على من بنى قريباً من جوانب القبر كذلك كما في القبـــاب والمساجد والمشاهد

الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لايخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا أو قرية كذا سوراً وكما يقال بنى فلان في المكان الفلانى مسجدا مع ان سمك البناء لم يباشر الا جوانب المدينة أو القرية أو المكان ولافرق بين أن تكون تلك الجوانب التى وقع وضع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ومن زعم ان في لغة العرب مايمنع من هذا الاطلاق فهو لايعرف لغة العرب ولايفهم لسانها ولايدري بما استعمله في كلامها

وأذا تقرر لك هذا علمت ان رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد مثلها قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم وتارة قال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية وذلك ثابت في الصحيح وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى وتارة قال « لاتتخذوا قبري وثناً » وتارة قال « لاتتخذوا قبري عيداً » أى موسما يجتمعون فيه كما صار يفعله كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتاً معلومة يجتمعون عند قبورهم ويعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبداً من عباد الله صار تحت أطباق الثرى لايقدر على أن يجلب لنفسه نفعاً ولايدفع عنها ضراً كما أمر رسول الله صلى عليه وسلم فيما أمره الله أن يقول (قل لاأملك لنفسى ضراً ولانفعاً)[1] فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه فى انه لايملك لنفسه ضراً ولانفعاً وكذلك قال فيما صح عنه « يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئاً » فاذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم اليه فما ظنك بسائر الاموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولارسلا مرسلين

١ - يونس ٤٩

بل غاية ماعند أحدهم انه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية وواحد من أهل هذه الملة الاسلامية فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضراراً وكيف لايعجز عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه وأمره بأن يقول للناس بأنه لايملك لنفسه شيئاً من ضر ولانفع وانه لايغنى عن أخص قرابته من الله شيئاً فياعجباً كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم أو أقل حظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذى يقول عن نفسه هذه المقالة والحال انه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه فهل سمعت أذناك أرشدك الله بضلال عقل اكبر من هذا الضلال الذي وقع فى أهل القبور انا لله وانا اليه راجعون: وقد أوضحنا هذا أبلغ ايضاح فى رسالتنا التى سميناها الدر النضيد فى اخلاص التوحيد وهى موجودة بأيدى الناس فلاشك ولا ريب ان السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الاموات هو مازينه الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها بأكمل تحسين فان الجاهل اذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد ضدعت حوله مجامير الطيب فلاشك ولاريب انه يمتلىء قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضيق ذهنه عن تصور مالهذا الميت من المنزلة ويدخله من الروعة والمهابة مايزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التى هى من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله الى اضلال العباد ومايزلزله عن الاسلام قليلاقليلا حتى يطلب من صاحب ذلك القبر مالايقدر عليه الا الله سبحانه فيصير في عداد المشركين وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أول زورة له لان يخطر بباله ان هذه الغاية البالغة من الاحياء بمثل هذا الميت لايكون الا لفائدة يرجوها منه إما دنيوية أو أخروية ويستصغر نفسه بالنسبة الى من يراه زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه ومتمسحاً بأركانه وقد يجعل الشيطان طائفة من اخوانه من بنى آدم يقفون على ذلك القبر يخادعون من يأتى اليه من الزائرين

يهولون عليهم الامر ويصنعون أموراً من أنفسهم وينسبونها الى الميت على وجه لا يفطن له من كان من المغفلين وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويبثونها فى الناس ويكررون ذكرها فى مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات ويقبل عقله مايروى عنهم من الا كاذيب فيرويها كما سمعها ويتحدث بها في مجالسه فيقع الجهال فى بلية عظيمة من الاعتقاد وينذرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم ويحبسون على قبره من أملاكهم ماهو أحبها الى قلوبهم لاعتقادهم انهم ينالون بذلك بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجراً بليغاً ويعتقدون ان ذلك قربة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من اخوانه من بنى آدم على ذلك القبر فانهم انما فعلوا تلك الافاعيل وهولوا على الناس بتلك التهاويل وكذبوا بتلك الاكاذيب لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغام الاعتام : وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الابليسية تكاثرت الاوقاف على القبور وبلغت مبلغا عظيما حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء وكلها من النذر في معصية الله : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا نذر في معصية الله » وهى أيضا من النذر الذي لا يبتغي به وجه الله بل كلها من النذور التى يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه لأنها تفضى بصاحبها فى الغالب الى ما يفضى به الاعتقاد في الاموات من تزلزل قدم الدين اذ لا يسمح بأحب أمواله والصقها بقلبه الا وقد زرع الشيطان فى قلبه من محبة ذلك القبر وصاحبه والمغالاة فى الاعتقاد فيه ما لا يعود به الى الاسلام سالما نعوذ بالله من الخذلان

ولا شك ان غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طلب منهم طالب ان ينذر بذلك الذى نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقربة من

القربات لم يفعل ولا كاد فانظر الى اين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء فكيف رمى بهم في هوة بعيدة القعر مظلمة الجوانب فهذه مفسدة من مفاسد رفع القبور وتشييدها وزخرفتها وتجصيصها

ومن المفاسد البالغة الى حد يرقى بصاحبه الى وراء حائط الاسلام ويلقيه على ام رأسه من اعلى مكان من الدين انه يأتي كثير منهم باحسن ما يملكه من الأنعام ويحوزه من المواشى فينحره عند ذلك القبر متقربا به اليه راجيا ما يضمر حصوله له منه فيهل به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان بانه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثناً وبين قبر لميت يسمونه قبراً ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغنى من الحق شيئا ولا يؤثر تحليلا وتحريما فان من اطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين اجمعين ولا شك ان النحر نوع من أنواع العبادة التى تعبد الله العباد بها كالهدايا والفدايا والضحايا المتقرب بها الى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا عقر في الاسلام » قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعنى بقرة أو شياها رواه ابو داود باسناد صحيح عن انس بن مالك ومستدفع الشر به وهذه عبادة وكفاك من شر سماعه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانا لله وانا اليه راجعون :وبعد هذا كله تعلم ان ما سقناه من الدلالة وما هو كالتوطيد لها وما هو كالخاتمة نختم بها البحث يقضى ابلغ قضاء وينادى ارفع نداء ويدل اوضح دلالة ويفيد اجلى مفاد ان ما رواه صاحب البحر عن الامام يحيى غلط من اغاليط العلماء وخطأ من جنس ما يقع للمجتهدين وهذا شأن البشر والمعصوم من عصمه الله وكل عالم يؤخذ من قوله ويترك مع كونه رحمه الله من أعظم الائمة انصافاً وأكثرهم تحريا للحق وارشاداً وتأثيراً ولكنا لما رأيناه قد خالف من عداه بما قاله من جواز بناء القباب على القبور رددنا هذا الاختلاف الى ما اوجب الله الرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم فوجدنا في ذلك ما قدمنا ذكره من الادلة الدالة أبلغ دلالة والمنادية بأعلى صوت بالمنع من ذلك والنهي عنه واللعن لفاعله والدعاء عليه واشتداد غضب الله عليه مع ما في ذلك من كونه ذريعة الى الشرك ووسيلة الى الخروج عن الملة كما أوضحناه فلو كان القائل بما قاله الامام يحيي بعض الائمة أو أكثرها لكان قولهم رداً عليهم كما قدمناه في أول هذا البحث فكيف والقائل به فرد من أفرادهم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » ورفع القبور وبناء القباب عليها ليس عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عرفناك بذلك فهو رد على قائله أي مردود عليه والذي شرع للناس هذه الشريعة الاسلامية هو الرب سبحانه بما أنزله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لعالم وان بلغ من العلم الى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون بحيث يقتدى به فيما خالف الكتاب والسنة أو أحدهما بل ما وقع منه الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجراً ولا يجوز لغيره أن يتابعه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد

(فائدة) وأما ما استدل به الامام يحيى حيث قال لاستعمال المسلمين ومدارسهم ومجالس حفاظهم يرد بها الآخر عن الاول والصغير عن الكبير والمتعلم عن العالم من لدن أيام الصحابة الى هذه الغاية أوردها المحدثون في كتبهم المشهورة من الامهات والمسندات والمصنفات وأوردها المفسرون في تفسيرهم وأهل الفقه في كتبهم الفقهية وأهل الاخبار والسير في كتب الاخبار والسير فكيف يقال ان المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يروون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله خلفا عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الاسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الامام المحيط بمذاهب سلف هذه الامة وخلفها أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح أصحاب احمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم

احسانا للظن بهم وأن لا يظن بهم أن يجوزوا ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعن فاعله والنهي عنه انتهى

فانظر كيف حكى التصريح عن عامة الطوائف وذلك يدل على انه اجماع من أهل العلم على اختلاف طوائفهم ثم بعد ذلك جعل أهل ثلاثة مذاهب مصرحين بالتحريم وجعل طائفة مصرحة بالكراهة وحملها على كراهة التحريم فكيف يقال أن بناء القباب والمشاهد لم ينكره أحد ثم انظر كيف يصح استثناء أهل الفضل برفع القباب على قبورهم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا أنه قال « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم لعنهم بهذا السبب فكيف يسوغ من مستثنى (١) أهل الفضل بفعل هذا المحرم الشديد على قبورهم مع أن أهل الكتاب الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر الناس ما صنعوا لم يعمروا المساجد الا على قبور صلحائهم ثم هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد البشر وخير الخليقة وخاتم الرسل وصفوة الله من خلقه ينهى أمته أن يجعلوا قبره مسجداً أو وثنا أوعيداً وهو القدوة لأمته: ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر وهم أحق الامة بذلك وأولاهم به وكيف يكون فعل بعض الامة وصلاحه مسوغاً لفعل هذا المنكر على قبره وأصل الفضل ومرجعه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأى فضل ينسب الى فضله أدنى نسبة أو يكون له بجنبه أقل اعتبار فان كان هذا محرماً منهياً عنه ملعوناً فاعله في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ظنك بقبر غيره من أمته وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخل في تحليل المحرمات وفعل المنكرات اللهم اغفر *

« تمت والحمد لله »

---

(١) كذا الاصل وهو غير ظاهر المعنى ولعل العبارة هكذا فكيف يسوغ من هذا استثناء أهل الفضل الخ

مسائل من الاصول (١)

« للامام العلامة الاصولى المحدث الفقيه »

« ابي محمد على بن حزم الاندلسي رحمه الله »

« المتوفى سنة ٤٥٦ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة

دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من القرآن أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما برواية جميع علماء الامة عنه عليه الصلاة والسلام وهو الاجماع واما بنقل جماعة عنه عليه الصلاة والسلام وهو نقل الكافة : واما برواية الثقات واحداً عن واحد حتى يبلغ اليه عليه السلام ولا مزيد : قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)[1] وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء)[2] وقال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم)[3] فان تعارض فيما يرى المرء آيتان أو حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالهما جميعاً لان طاعتهما سواء في الوجوب

١ - النجم ٣ - ٤

٢ - الأعراف ٣

٣ - المائدة ٣

---

(١) ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار بعد ان ذكر مسائل التوحيد وقد رغب بعض الاصدقاء في نشرها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية فاجيب طلبه ولما كان للسيد الامير الصنعاني تعليق عليها احببنا نشره اتماما للفائدة مع بعض تعليقات للادارة المنيرية مع التصريح بذلك باسمها لئلا يلتبس على القاريء بالتعليق الآخر

فلا يحل ترك أحدهما للآخر ما دمنا نقدر على ذلك وليس هذا الا بان يستثنى الاقل معانى من الأكثر فان لم نقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكما لانه متيقن وجوبه ولا يحل ترك اليقين بالظنون، ولا اشكال فى الدين قد بين الله تعالى دينه قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم)[١] وقال تعالى (تبيانا لكل شيء)[٢]

مسألة

الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة، وكذلك ما لم يروه الا من لا يوثق بدينه وبحفظه، ولا يحل ترك ما جاء في القرآن وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان هو راوى ذلك الحديث أولم يكن، والمرسل هو ما كان بين احد رواته أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لا يعرف، والموقوف هو ما يبلغ به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ـ برهان بطلان الموقوف ـ قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٣] ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، لانه ظن وقد قال تعالى (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا)[٤] وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم)[٥]:

واما المرسل (١) ومن في رواته من لا يوثق بدينه وحفظه فلقول الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فاوجب الله عز وجل قبول نذارة الناس للتفقه فى الدين وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[٦] وليس في العالم الا عدل أو فاسق فحرم الله

١ ـ المائدة ٣
٢ ـ النحل ٨٩
٣ ـ النساء ١٦٥
٤ ـ يونس ٣٦
٥ ـ الاسراء ٣٦
٦ ـ الحجرات ٦

(١) أى وأما بطلان الاستدلال بحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف : الادارة

تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل فصح انه هو المأمور بقبول نذارته

وأما المجهول ـ فلسنا على ثقة من انه على الصفة التى أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهي التفقه في الدين فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهه في الدين وحفظه لما ضبط من ذلك وبراءته من الفسق ؛ وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف أحد من الأمم في ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى الملوك رسولا رسولا واحداً الى كل مملكة يدعوهم الى الاسلام واحدا واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة كصنعاء الجند وحضرموت وتيماء ونجران والبحرين وعمان وغيرها يعلمهم أحكام الدين كلها : وافترض على اهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن ترك القرآن او ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان راوى ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه لقول من لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه وهذا خلاف لامر الله تعالى ،

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله لانه تعالى لم يأمر بذلك لكن موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي اوجب الله تعالى

مسألة

والقرآن ينسخ القرآن والسنة : والسنة تنسخ السنة والقرآن (١)

---

(١) ما ذهب اليه من نسخ القرآن بالسنة حكي قولا للشافعي وحكى كثيرون عنه انه لا ينسخ الكتاب بالسنة جزما كما في المحلى على جمع الجوامع وقال ابن تيمية : يتوجه الاحتجاج بآية « ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على انه لاينسخ القرآن

قال الله تعالى عز وجل « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها »[١] وقال تعالى « لتبين للناس ما نزل اليهم »[٢] وقال تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى »[٣] وأمره تعالى ان يقول (ان اتبع الا ما يوحى الي)[٤] وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين)[٥] فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان وكل ذلك من عند الله تعالى

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقول في آية او في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب :

برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)[٦] وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)[٧] وقال تعالى (بلسان عربي مبين)[٨] وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه)[٩] وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)[١٠] فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أمر به : وقوله تعالى

١ ـ البقرة ١٠٦
٢ ـ النحل ٤٤
٣ ـ النجم ٣ ـ ٤
٤ ـ الأنعام ٥٠
٥ ـ الحاقة ٤٤ ـ ٤٧
٦ ـ النساء ٦٤
٧ ـ ابراهيم ٤
٨ ـ الشعراء ١٩٥
٩ ـ البقرة ٧٥
١٠ ـ النور ٦٣

الا قرآن كما هو مذهب الشافعي وهو اشهر الروايتين عن الامام احمد وعليها عامة اصحابه اه ودليله جلي وهو ان الظني الدلالة لايساوي قطعيها فلا يقوي على نسخه وقد نقل الرازي وغيره عن ابي مسلم الاصفهاني ان النسخ غير واقع في التنزيل ورد كل آية قيل بنسخها الى انها محكمة كما تراه مبسوطاً في مواضع من تفسيره والمسألة مبسوطة في مواضع اخر

(أطيعوا الله) موجب طاعة القرآن ، ومن ادعى في آية أو خبر نسخا فقد أسقط وجوب طاعتها وهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)[1] موجب أخذ كل نص فى القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية : فمن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير مايقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه وقال عليه عز وجل الباطل وخلاف قوله عز وجل ، ومن ادعى ان المراد بالنص بعض مايقتضيه في اللغة العربية لا كل مايقتضيه فقد أسقط بيان النص وأسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وهذا قول على الله تعالى بالباطل ، وليس بعض مايقتضيه النص بأولى بالاقتصار عليه من سائر مايقتضيه ، وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره)[2] موجب للوعيد على من قال : لاتجب عليّ موافقة أمره وموجب حمل جميع النصوص على الوجوب ، ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب طاعة الله ووجوب ما أوجب عز وجل من طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المدة وهذا خلاف لامر الله عز وجل ، فاذا شهد لدعوى من ادعى بعض ماذكرنا قرآن أو سنة ثابتة إما باجماع أو نقل صحيح فقد صح قوله ووجب طاعة الله تعالى فى ذلك. وكذلك من شهدت له ضرورة الحس لانها فعل الله تعالى فى النفوس والا فهى أقوال مؤدية الى ابطال الاسلام وابطال جميع العلوم وابطال جميع اللغات كلها وكفى بهذا فساداً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والاجماع هو ماتيقن ان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرفوا به وقالوا به ولم يختلف منهم أحد كتيقننا انهم كلهم رضى الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هى فيعدد ركوعها وسجودها أو علموا أنه صلاها مع الناس كذلك وانهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس

١ - ابراهيم ٤
٢ - النور ٦٣

رمضان في الحضر وكذلك سائر الشرائع التى تيقنت مثل هذا اليقين والتى من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين

وهذا مالايختلف أحد في انه اجماع وهم كانوا حينئذجميع المؤمنين لامؤمن في الارض غيرهم ومن ادعى ان غير هذا هو اجماع كلف البرهان على مايدعي ولاسبيل له اليه

مسألة

وماصح فيه خلاف من واحد منهم رضى الله عنهم أو لم يتيقن ان كل واحد منهم رضى الله عنهم عرفه ودان به فليس اجماعاً لان من ادعى الاجماع ههنا فقد كذب وقفا مالاعلم له به والله تعالى يقول (ولاتقف ماليس لك به علم)[١]

مسألة

ولو جاز أن يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لايقطع فيه باجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة وليس كان يكون اجماعاً :

أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لن تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا انه لايجوز ألبتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطاء ولابد من قائل بالحق فيهم : وأما انه ليس اجماعا فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم ولو جاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عن الجملة واحد لايعرف أيوافق سائرهم أم يخالفهم لجاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة واربعة وهكذا أبداً الى أن يرجع الامر الى أن يسمى اجماعاً ماقاله واحد وهذا باطل ولكن لاسبيل الى

١ ـ الاسراء ٣٦

تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضى الله عنهم لكثرة أعداد الناس بعدهم ولانهم طبقوا مابين المغرب والمشرق ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم كذلك بل كانوا عدداً ممكناً حصره وضبطه وضبط أقوالهم فى المسئلة وبالله تعالى التوفيق . وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضا اصحاب مالك وأصحاب ابى حنيفة وأصحاب الشافعى بأقوال هؤلاء « قال على » (١) وهذا خطأ لانه لاسبيل الى أن يكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء إلا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله

مسألة

والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد فيمسألة ما أن يرجع الىالقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاالى شيء غيرهما ولايجوز الرجوع الى عمل اهل المدينة ولاغيرهم * برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[١] فصح انه لايحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله لاسيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم ، وقد كان الخلفاء رضى الله عنهم كابي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعمالهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام

ومن الباطل المتيقن الممتنع الذى لايمكن أن يكونوا رضى الله عنهم طووا

١ ـ النساء ٥٩

(١) وقوله قال علي يعني به المصنف نفسه لان اسمه ابومحمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي : أه ادارة الطباعة المنيرية

علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واختصوا به أهل المدينة فهذه صفة سوء قد أعاذهم الله تعالى منها وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصح انه لاحجة في عمل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة

ولايحل القول بالقياس في الدين ولا بالرأى (١) لان أمر الله تعالى عند التنازع بالرد الى كتابه والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد صح فمن رد الى قياس والى تعليل يدعيه أو الى رأي فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالايمان ورد الى غير من أمر الله تعالى بالرد اليه وفي هذا مافيه (قال علي) وقول الله تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء)[1]: وقوله تعالى (تبيانا لكل شيء)[2]: (لتبين للناس مانزل اليهم)[3] وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم)[4] إبطال للقياس وللرأى لانه لايختلف أهل القياس والرأى في انه لايجوز استعمالها مادام يوجد نص: وقد شهد الله تعالى بأن النص لم يفرط فيه شيئا وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل مانزل اليهم وان الدين قد كمل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فاذا كان ذلك كذلك فلاحاجة بأحد الى قياس (٢)
ولا الى غيره: ١ ـ الأنعام ٣٨

ونسأل من قال بالقياس هل كل قياس قاسه قائس حق أم منه حق ومنه ٢ ـ النحل ٨٩
باطل فان قال كل قياس حق أحال (٣) لان المقاييس تتعارض ويبطل بعضها ٣ ـ النحل ٤٤
بعضاً ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقاً معاً وليس ٤ ـ المائدة ٣

(١) قال السيد فسر المصنف الرأي في بعض رسائله بأنه الحكم في الدين بغير نص بل بما يراه المفتي أحوط وأعدل في التحليل والتحريم والايجاب (قال) ومن وقف على هذا الحد وعرف ماممنى الرأي اكتفى في ايجاب المنع منه بغير برهان اذ هو قول بلا برهان أه وكان حدوث الرأي في القرن الاول قرن الصحابة والقياس في القرن الثاني أه

(٢) في بعض النسخ ولاالى رأي وهو غيرظاهر ولعل الاصل هكذا: ولاالى رأي تقسه اه

(٣) أي أتى بالمحال التي لايقع

هذا مكان نسخ ولا تخصيص كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضاً ، وإن قال منها حق ومنها باطل قيل له فعرفنا بماذا نعرف القياس الصحيح من الفاسد ولا سبيل لهم الى وجود ذلك أبداً واذا لم يوجد دليل على تصحيح الصحيح من القياس من الباطل منه فقد بطل كله وصار دعوى بلا برهان، فان ادعوا ان القياس قد أمر الله تعالى به سئلوا أين وجدوا ذلك فان قالوا قال الله عزوجل (فاعتبروا يا أولي الابصار)[1] قيل لهم ان الاعتبار ليس هو فى كلام العرب الذى نزل به القرآن إلا التعجب قال الله تعالى عز وجل (وإن لكم في الانعام لعبرة)[2] أي لعجباً وقال تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولي الالباب)[3] أي عجب : ومن العجب أن يكون معنى الاعتبار القياس ويقول الله تعالى لنا فاعتبروا قيسوا ثم لا يبين لنا ماذا نقيس ولا كيف نقيس ولا على ماذا نقيس هذا ما لا سبيل اليه لانه ليس في وسع أحد أن يعلم شيئاً من الدين إلا بتعليم الله تعالى له إياه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)[4] فان ذكروا أحاديث وآيات فيها تشبيه شيء بشيء وان الله تعالى قضى وحكم بأمر كذا من أجل أمر كذا قلنا لهم كل ماقاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك فهو حق لا يحل لاحد خلافه وهو نص به نقول وكل ماتريدون أن تشبهوه في الدين وأن تعللوه مما لم ينص عليه الله تعالى ولا رسوله عليه الصلاة والسلام فهو باطل وإفك وشرع لم يأذن الله تعالى به وهذا يبطل عليهم تهويلهم بذكر آية جزاء الصيد وارأيت لو مضمضت : و (من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل)[5] وكل آية وحديث موهوا بايراده وهو مع ذلك حجة عليهم على ماقد بيناه في كتاب الاحكام لاصول الاحكام : وفي ; كتاب النكت : وفى كتاب الدرة : وفى كتاب النبذة

(قال على) وقد عارضناهم فى كل قياس قاسوه بقياس مثله او صح منه على اصولهم ليريهم فساد القياس جملة فموه منهم موهون بأن قالوا انتم إذاً تبطلون القياس بالقياس وهذا منكم رجوع الى القياس واحتجاج به وانتم في

١ ـ الحشر ٢
٢ ـ النحل ٦٦
٣ ـ يوسف ١١١
٤ ـ البقرة ٢٨٦
٥ ـ المائدة ٣٢

ذلك بمنزلة المحتج على غيره بحجة العقل ليبطل حجة العقل وبدليل من النظر ليبطل به النظر (قال علي) فقلنا هذا شغب يسهل افساده ولله الحمد ونحن لم نحتج بالقياس في ابطال القياس ومعاذ الله من هذا لكن اريناكم ان اصلكم الذي اثبتموه من تصحيح القياس يشهد بفساد جميع قياساتكم ولا أظهر باطلا من قول أكذب نفسه وقد نص تعالى على هذا فقال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم)[1] فليس هذا تصحيحاً لقولهم انهم ابناء الله وأحباؤه ولكن الزاماً لهم ما يفسد به قولهم ولسنا في ذلك كمن ذكرتم ممن يحتج في ابطال حجة العقل بحجة العقل لكن فاعل ذلك مصحح لقضيته العقلية التي يحتج بها فظهر تناقضه من قريب ولاحجة له غيرها فقدظهر بطلان قوله ، واما نحن فلم نحتج قط في ابطال القياس بقياس نصححه لكن نبطل القياس بالنصوص وبيراهين العقل ثم نزيد بيانا في فساده منه نفسه بان نروى تناقضه جملة فقط والقياس الذي يعارض به قياسكم نقر بفساده وفساد قياسكم الذي هو مثله او اضعف منه كما نحتج على اهل كل مقالة من معتزلة ورافضة ومرجئة وخوارج ويهود ونصارى ودهرية من اقوالهم التي يشهدون بصحتها فنريهم تفاسدها وتناقضها وانتم تحتجون عليهم معنا كذلك ولسنا نحن ولا انتم ممن يقر بتلك الاقوال التي تحتج عليهم بها بل هي عندنا في غاية البطلان والفساد وكاحتجاجنا على اليهود والنصارى من كتبهم التي بأيديهم ونحن لا نصححها بل نقول انها محرفة مبدلة لكن لنريهم تناقض أقوالهم وفروعهم لا سيما وجميع أصحاب القياس مختلفون في قياساتهم لا تكاد توجد مسألة الا وكل طائفة منهم تأتي بقياس تدعي صحته تعارض به قياس الأخرى وهم كلهم مقرون مجمعون على انه ليس كل قياس صحيحا ولا كل رأي حقاً فقلنا لهم فهاتوا حد القياس الصحيح والرأي الصحيح الذي نميز به من القياس الفاسد والرأي الفاسد وهاتوا حد العلة الصحيحة التي تقيسون عليها من

[1] ١ ـ المائدة ١٨

العلة الفاسدة فلجلجوا (١)

قال علي — وهذا مكان أدرم عليهم فيه ظهر فساد قولهم جملة ولم يكن لهم الى جواب يفهم سبيل أبداً وبالله تعالى التوفيق، فان أتوا في ذلك بنص قلنا النص، والذي تريدون انتم إضافته الى النص بآرائكم باطل وفي هذا خولفتم وهكذا أبداً، فان أدعوا ان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على القول بالقياس قيل لهم كذبتم بل الحق انهم كلهم أجمعوا على إبطاله.

برهان كذبهم انه لا سبيل لهم الى وجود حديث عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم انه أطلق الامر بالقول بالقياس إلا في الرسالة المكذوبة الموضوعة على عمر رضى الله عنه فان فيها : فاعرف الاشباه والأمثال وقس الأمور، وهذه رسالة لم يروها إلا عبدالملك بن الوليد بن معدان عن أبيه وهو ساقط بلا خلاف (٢) وأبوه أسقط منه ومن هو مثله في السقوط فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر رضى الله عنه منها قوله فيها : والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو نسب، وهم لا يقولون بهذا يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفيهم ومالكيهم وشافعيهم وإن كان قول عمر لو صح في تلك الرسالة في القياس حجة فقوله في ان المسلمين عدول كلهم إلا مجلوداً في حد حجة وإن لم يكن قوله في ذلك حجة فليس قوله في القياس حجة لو صح فكيف ولم يصح

---

(١) قال الامير الصنعاني العلة الصحيحة مادل عليها التعليل للحكم بها في نص الكتاب أو السنة بأي حروف التعليل المعروفة باللغة أو بتعليق الحكم على الوصف المناسب للتعليل. والعلة الفاسدة مالم يأت تعليل الحكم بها في كتاب ولا سنة كالشبه والدوران ونحوهما من مسالكها الباطلة اه وقوله ادرم عليهم اي خفي واشتبه

(٢) في الميزان عبد الملك بن الوليد بن معدان عن عاصم بن ابي النجود قال يحيى بن معين صالح وقال ابو حاتم ضعيف وقال ابن حبان يقلب الاسانيد لا يحل الاحتجاج به وقال البخاري فيه نظر اه من حاشية الاصل وكتب فيها أيضاً : تأمل القول بأن كتاب عمر الى ابي موسى كتاب مكذوب وقد شرحه ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين اه ولا يلزم من شرحه صحته فان المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح

وأما برهان صحة قولنا في إجماع الصحابة رضى الله عنهم على إبطال القياس فانه لايختلف اثنان في ان جميع الصحابة مصدقون في القرآن وفيه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى)[1] وفيه (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[2] فمن الباطل المحال أن يكون الصحابة رضى الله عنهم يعلمون هذا ويؤمنون به ثم يردون عند التنازع الى قياس أو رأى (١) هذا مالايظنه بهم ذوعقل فكيف وقد ثبت عن الصديق رضى الله عنه انه قال : أي أرض تقلنى أو أى سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لاأعلم (٢) وصح عن الفاروق رضى الله عنه انه قال : اتهموا الرأى على الدين وان الرأي منا هو الظن والتكلف . وعن عثمان رضى الله عنه في فتيا أفتى بها إنما كان رأياً فمن شاء أخذ ومن شاء تركه ، وعن علي رضي الله عنه : لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه (٣)

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه : أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم

١ ـ المائدة ٣

٢ ـ النساء ٥٩

---

(١) قال السيد يقال عليهم هم اذا ردوه الى قياس له علة منصوصة فى كتاب أو سنة فقد ردوه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ان عمل الصحابة بالقياس والرأي متواتر تواترا معنوياً في عدة قضايا ذكر منها شطراً واسعاً اه

(٢) هذا أمر خاص بتفسير القرآن والنزاع في الاحكام أخرج ابو عبيد في فضائله وعبد ابن حميد ابراهيم التيمي قال سئل ابوبكر عن الاب ماهو فقال أي سماء تظلنى واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالم اعلم : فكلامه في تفسير لفظة لغوية جهل معناها فليس من محل النزاع في الحاق فرع بأصل فى حكمه لمشاركته في علة منصوصة لافى تفسير لفظة لغوية وقد اتفق لعمر كما اتفق لابي بكر في الاية فأخرج عبدبن حميد وابن الانباري في المصاحف عن أنس قال قرأ عمر (وفاكهة وأباً) قال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب قال : قد نهينا عن التكلف اهعن الاميرالصنعاني : اقول والقصة اتى بها الشاطبي في كتابه الاعتصام راجعه

(٣) تمامه ولكني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلاه فكأنه قال : لولا النص لمسحنا برأينا اسفل الخف ففيه اثبات للرأي لولا النص اه امير

وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من جهنم وعن ابن مسعود رضي الله عنه : سأقول فيها بجهد رأيي فان كان صوابًا فمن الله وحده وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء، وعن معاذ بن جبل في حديث : فليدع كلامًا ليس من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاياكم وإياه فانه بدعة وضلالة : وعلى هذا النحو كل رأى روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم لا على انه إلزام ولا انه حق لكنه إشارة بعفو أو صلح أو نوع (١) فقط لا على سبيل الايجاب (٢) وحديث معاذ الذى فيه أجتهد رأيي ولا آلو لا يصح لانه لم يروه أحد إلا الحرث بن عمر وهو مجهول لاندري من هو عن رجال من أهل مصر (٣) لم يسمهم عن معاذ، وقد تقصينا أسانيد هذه الاحاديث كلها في كتابنا المذكور ولله تعالى الحمد ،

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا ابي قاسم بن محمد حدثنا جدى قاسم بن اصبغ اخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذى حدثنا نعيم بن حماد اخبرنا عبدالله بن المبارك اخبرنا عيسى بن يونس بن أبى اسحق السبيعى عن جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن جبير عن نفير عن ابيه عن عوف بن مالك الاشجعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تفترق امتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على امتى قوم يقيسون الامور بآرائهم (٤) فيحلون الحرام ويحرمون الحلال » (قال على) والشريعة كلها اما فرض يعصى من تركه واما حرام يعصى من فعله واما مباح لا يعصى من فعله ولا من تركه وهذا المباح ينقسم الى ثلاثة

---

(١) كذا في الاصل

(٢) يقال قد وقع للصحابة الخلاف في ميراث الجد والحكم بالرأي لانهم لم يجدوا فيه نصاً وغير ذلك من الاهراء التي حكموا بها اه أمير (٣) في نسخة : حمص

(٤) هذا في قوم يخالفون صرائح النصوص بقياساتهم فان قولهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال دال على انهم يفعلون ذلك فيما ثبت النص فيهما على خلاف ماقالوه لانه كان حلالا وحراماً ولا يتصف بذلك الا عن نص وكون الاصل الحل هو عن نص وهو ماذكره المصنف عن قوله تعالى « خلق لكم مافي الارض جميعاً » اه وقد حكم المصنف في الفصل بوضع هذا الحديث

أقسام اما مندوب اليه يؤجر من فعله ولا يعصى من تركه واما مكروه يؤجر من تركه ولا يعصى من فعله واما مطلق لا يؤجر من فعله ولا من تركه ولا يعصى من فعله ولا من تركه وقال عز وجل (خلق لكم ما في الارض جميعاً)[١] وقد قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم)[٢] فصح ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد حدثنا احمد بن على حدثنا مسلم بن الحجاج اخبرنى زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أ كل عام يا رسول الله . فسكت حتى أعادها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه»

(قال على) فجمع هذا الحديث جميع أحكام الدين اولها عن آخرها ففيه ان ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يأمر به ولا نهى عنه فهو مباح وليس حراماً ولا فرضاً وان ما أمر به فهو فرض وما نهى عنه فهو حرام وان ما أمرنا به فانما يلزمنا منه ما نستطيع فقط وان نفعل مرة واحدة تؤدى ما لزمنا وما يلزمنا تكراره فاى حاجة بأحد الى قياس أو رأي مع هذا البيان الواضح(١)

١ ـ البقرة ٢٩
٢ ـ الأنعام ١١٩

(١) قال السيد الامير قلت اما مع النص على الحكم فلا قائل بالقياس ولكنه من المعلوم يقيناً انه لم يأت في كل حادثة نص يحكمها فانه من المعلوم يقيناً انها اتفقت قضايا اختلف فيها الصحابة لعدم النص وهم اعرف الناس بالنصوص فانهم اختلفوا فى مسائل من المواريث كميرات الجد ومسائل العول ومسألة بيع امهات الاولاد وعدة مسائل لا تنحصر في البيوع والطلاق والعدد وحكموا فيها تحليلا وتحريماً بالآراء وقد صرح المصنف رحمه الله انه وقع الرأي في القرن الاول وهو قرن الصحابة فكيف يقول فأى حاجة بأحد الى القياس على انا حققنا لك ان القياس على العلة المنصوصة هو من النص فالرجوع اليه عند التنازع رجوع الى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وليس هذا القياس من ضرب الامثال في الدين بل هو من الدين اه

ونحمد الله تعالى على عظم نعمه

فان قال قائل منهم لا يجوز ابطال القول بالقياس حتى توجدونا تحريم القول به نصاً فى القرآن قلنا لهم قد اوجدناكم البرهان نصاً بذلك وبأن لا يرد التنازع الا الى القرآن والسنة فقط وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)[1] وقال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون)[2] والقياس ضرب امثال فى الدين لله تعالى. ثم يقال لهم ان عارضكم الروافض بمثل هذا فقالوا لكم لا يجوز القول بابطال الالهام ولا بابطال اتباع الامام الا حتى توجدونا تحريم ذلك ايضا أو قال لكم ذلك أهل كل مقالة فى تقليد كل انسان بعينه بماذا تنفصلون بل الحق انه لا يحل ان يقال على الله تعالى انه حرم أو حلل او اوجب الا بنص فقط وبالله تعالى التوفيق

مسألة

وافعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فرضا الا ما كان منها بيانا لأمر فهو حينئذ امر لكن الا يتساء به عليه الصلاة والسلام فيها حسن

برهان ذلك هذا الخبر الذى ذكرته آنفا من انه لا يلزمنا شيء الا ما امرنا به او نهانا عنه وان ماسكت عنه فعفو ساقط عنا وقال عز وجل «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة»[3]

مسألة

ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال عز وجل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)[4]

حدثنا احمد بن محمد حدثنا الحسور حدثنا وهب بن ميسرة حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا هشيم اخبرنا يسار عن يزيد الفقير

١ ـ الأعراف ٣
٢ ـ النحل ٧٤
٣ ـ الأحزاب ٢١
٤ ـ المائدة ٤٨

اخبرنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فايما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولاتحل لأحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة» فاذا صح ان الانبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم الا الى قومه خاصة فقد صح ان شرائعهم لم تلزم الا من بعثوا اليه فقط واذا لم يبعثوا الينا فلم يخاطبونا قط بشيء ولا أمرونا ولا نهونا ولو خاطبونا لما كان لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة عليهم فى هذا الباب ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وابطل هذه الفضيلة التى خصه الله تعالى بها فاذا صح انهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقيناان شرائعهم لا تلزمنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقلد احداً لاحيا ولا ميتا وعلى كل احد من الاجتهاد حسب طاقته فمن يسأل عن دينه فانما يريد معرفة ما الزمه الله عز وجل في هذا الدين ففرض عليه ان كان اجهل البرية ان يسأل عن اعلم اهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دل عليه سأله فاذا افتاه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله فانقال نعم اخذ بذلك وعمل به ابداً فان قال له هذا رأى أو هذا قياس أوهذا قول فلان وذكر له صاحباً أو تابعاً أوفقيهاً قديماً أو حديثاً أو سكت او انتهره أو قال له لا أدري فلا يحل له ان يأخذ بقوله ولكن يسأل غيره

برهان ذلك قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض اولى الامر فمن قلد عالماً أوجماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اولى الامر واذا لم يرد الى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض

اولي الامر دون بعض (آ)

فان قيل فان الله عزوجل قال (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (ب)[١] وقال تعالى (ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم)[٢] قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل إن يقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ولا ان يطاع أهل الذكر في رأيهم ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل وانما أمر تعالى بان يسأل أهل الذكر عما يعلمونه في الذكر الوارد من عند الله تعالى فقط لا عن من قاله من لا سمع له ولا طاعة : وانما أمر الله تعالى بقبول نذارة النافر للتفقه فى الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذى اتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا في دين لم يشرعه الله عز وجل ، ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتى فقد ادعى الباطل وقال قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا قياس وما كان هكذا فهو باطل لانه قول بلا دليل بل البرهان قد جاء بابطاله ذاما لقوم (انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا)[٣] والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد فى طلب دين الله عز وجل الذى اوجبه على عباده وبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم ان

١ ـ النحل ٤٣
٢ ـ التوبة ١٢٢
٣ ـ الأحزاب ٦٧

(آ) قال السيد محمد الامير كلام المصنف رحمه الله مبني على ان المراد باولى الامر العلماء وهو احد اقوال السلف في تفسير الآية ولكنه اخرج ابن ابي شيبة والبخارى ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى امري فقد عصاني » وفي الآية احاديث مرفوعة بنحوه وآثار عن السلف مختلفة منهم من فسرهم بالعلماء ثم على كلام المنصف المراد استرووا العلماء عن احكام الكتاب والسنة وان الفتيا معناها رواية الكتاب والسنة وقبول رواية العالم ليس تقليداً له بل من العمل بخبر الاحاد الذي تعبد الله بالعمل به العباد وهو العمل بالظن المستفاد من اخبار الاحاد : وفي قوله لم يأمر الله بطاعة بعض اولى الامر دون بعض ايهام أنه لا يقبل فتوى العالم الواحد حتي تكون اجماعا وهو خلاف ماقرره كما لا يخفى اه

(ب) قال بعض المحققين والمختار ان المراد بسؤال اهل الذكر السؤال عن الرسل هل كانوا بشراً أم لا لان ذلك هو المذكور فى أول الاية والعرف العربي يقضي بان ذلك هو المراد والقرائن تسوق الفهم اليه بانه تعالى لنا قال (وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر) فان السابق الى الافهام فاسألوهم عن كوننا ما ارسلنا الا رجالا : كما لو قال قائل واجهت اليوم الخليفة واسأل وزراءه كان المفهوم واسألهم عن كونى واجهته : وبهذا تعرف ان هذه الاية لا تصلح للاستدلال على جواز التقليد كما ذهب اليه الاكثر من محبى التقليد اه الادارة

المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بان الله تعالى الهه لا اله غيره وان محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدين اليه والى غيره فاذ لا شك في هذا فكل سائل في الارض عن نازلة في دينه فانما يسأل عما حكم الله تعالى به في هذه النازلة فاذا لا شك ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتيا أهذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يعجز عنه من يدرى ما الاسلام ولو انه قد جلب من قوقو(١) وبالله تعالى التوفيق

مسألة

واذا قيل له اذا سأل عن أعلم اهل بلده بالدين هذا صاحب حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا صاحب رأي وقياس فليسأل صاحب الحديث ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلا:

برهان ذلك قول الله عز وجل (اليوم اكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك والرأي والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجسور حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن وضاح حدثنا يحيي بن يحيى حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «ايا كم والظن فان الظن اكذب الحديث»(حدثنا) يونس بن عبد الله حدثنا يحيى بن مالك بن عائذ اخبرنا ابو عبد الله ابن ابي حنيفة اخبرنا ابو جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسى اخبرنا سعيد بن منصور اخبرنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال: السنة لم توضع بالمقاييس (حدثنا) محمد بن سعيد بن بيان اخبرنا اسمعيل بن اسحق البصرى اخبرنا احمد بن سعيد بن حزم اخبرنا محمد بن ابراهيم بن حيون الحجازى أخبرنا عبد الله بن احمد بن

(١) هكذا في الاصل تدبر الادارة

حنبل قال سمعت ابي يقول : الحديث الضعيف أحب الينا من الرأى (حدثنا) حمام بن احمداخبرناعباس بن اصبغ حدثنا محمدبن عبد الملك بن ايمن حدثناعبدالله ابن احمد بن حنبل قال سألت أبى عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه الا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به النازلة من يسأل فقال ابى يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي : ضعيف الحديث أقوم من رأى فلان

مسألة

ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن أو السنة لهما حكم قال تعالى (ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)[١] وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

مسألة

وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه وان عجزعن جميعه سقط عنه وان قوى على بعضه وعجزعن بعضه سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء أقله او أكثره :

برهان ذلك قول الله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[٢] : وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل باسناده وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولايجوز أن يعمل أحد شيئاً من الدين موقتاً بوقت قبل وقته فان كان الاول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل قبل وقته ولابعد وقته لقول الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[٣] وقال تعالى (تلك حدود الله

١ ـ الأحزاب ٥
٢ ـ البقرة ٢٨٦
٣ ـ الطلاق ١

فلا تعتدوها)[١] والاوقات حدود فمن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له فقد تعدى حدود الله .

حدثنا عبدالله بن يوسف ثنا احمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد أخبرنا احمد بن علي أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا اسحق ابن ابراهيم هو ابن راهويه عن أبي عامر العقدى حدثنا عبدالله بن جعفر الزهرى عن سعيد بن ابراهيم عن عبدالرحمن بن عوف قال : سألت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال أخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » — قال علي ومن أمره تعالى أن يعمل عملا في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله تعالى ولا أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود باطل غير مقبول وهو غير العمل الذى أمر به فان جاء نص بأنه يجزيء في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ وانما الذى لايكون وقتاً للعمل فهو مالا نص فيه وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والمجتهد المخطيء أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب هذا في أهل الاسلام خاصة وأما غير أهل الاسلام فلاعذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد وكلاهما هالك برهان هذا ماذكرناه آنفاً باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التقليد جملة فالمقلد عاص والمجتهد مأجور وليس من اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقلداً لانه فعل ما أمره الله تعالى به وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه فعل مالم يأمره الله تعالى به ، وأما غير الاسلام فان الله تعالى يقول (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٢] :

١ ـ البقرة ٢٢٩
٢ ـ آل عمران ٨٥

مسألة

والحق من الاقوال في واحد منها وسائرها خطأ وبالله تعالى التوفيق: قال الله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[١] وقال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[٢] وذم الله تعالى الاختلاف فقال (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا)[٣] وقال تعالى (ولاتنازعوا فتفشلوا)[٤] وقال تعالى (تبياناً لكل شيء)[٥] فصح ان الحق من الاقوال هو ماحكم الله تعالى به فيه وهو واحد لايختلف وان الخطأ مالم يكن من عند الله عز وجل ، ومن ادعى ان الاقوال كلها حق وان كل مجتهد مصيب فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولامعقول وما كان هكذا فهو باطل ، ويبطله أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه الصلاة والسلام ان المجتهد قد يخطيء ، ومن قال ان الناس لم يكلفوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء)[٦] فافترض عز وجل اتباع ماأنزل الينا وأن لانتبع غيره وأن لاتتعدى حدوده وانما أجر المجتهد المخطيء أجراً واحداً على نيته في طلب الحق فقط ولم يأثم اذا حرم الاصابة ، فلو أصاب الحق أجر أجراً آخر ثانياً (حدثنا) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد أخبرنا ابراهيم بن احمد الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبدالله بن زيد المقرى حدثنا صبوة بن شريح حدثنا يزيد بن عبدالله بن الهادى عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر »

١ ـ يونس ٣٢
٢ ـ النسا ٨٢
٣ ـ آل عمران ١٠٥
٤ ـ الأنفال ٤٦
٥ ـ النحل ٨٩
٦ ـ الأعراف ٣

ولا يحل الحكم بالظن أصلا (١) لقول الله تعالى (إن يتبعون إلا الظن

(١) قال السيد محمد الامير أقول هذا النفي في انه لا يحل الحكم بالظن مشكل غاية الاشكال وقد آن ان نحقق البحث للناظر بن دفعاً للاغترار بكلام هذا المحقق رحمه الله فنقول الظن لفظ مشترك بين معان يطلق على الشك كما صرح أئمة اللغة ففي القاموس : الظن التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم انتهى فهذان اطلاقان . ويطلق على اليقين « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون »[١] مع قوله في صفة المؤمنين « وهم بالآخرة هم يوقنون »[٢] لانه لابد من اليقين في الايمان بالآخرة ويطلق على التهمة كما في قوله تعالى « وماهو على الغيب بضنين »[٣] فيمن قرأ بالظاء المشالة أي بمتهم كما قال أئمة التفسير واذا عرفت هذا عرفت ان المذموم من الظن هو ما كان بمعنى الشك وهو المتردد بين طرفي الامر فطرفاه مستويان لاراجح فيهما فهذا يحرم العمل به اتفاقاً وهو الذي هو أكذب الحديث وهو الذي لايغني من الحق شيئا وهو بعض الاثم الذي أراد تعالى « ان بعض الظن اثم »[٤] وذلك لما تقرر في الفطرة وقررته الشريعة ان لا عمل الا براجح مستفاد من علم أو ظن . وأما الظن الذى بمعنى الطرف الراجح فهو متعبد به قطعا بل اكثر الاحكام الشرعية دائرة عليه فهو البعض الذي ليس فيه اثم المفهوم من قوله تعالى (ان بعض الظن اثم) — فان خبر الآحاد معمول به في الاحكام وهو لايفيد بنفسه الا الظن . والمصنف (ابن حزم) تقدم له ان الجاهل يسأل العالم عن الحكم فيما يعرض له فاذا أفتاه وقال هذا حكم الله ورسوله عمل به أبداً ومعلوم ان هذه رواية آحادية من العالم بالمعنى ولاتفيد الا الظن وقد أوجب قبولها وكذلك أمر الله باشهاد ذوي عدل فان شهدا وجب على الحاكم الحكم بما شهدا به وشهادتهما لاتفيد الا الظن بل كونهما ذوى عدل لايكون الا بالظن بل قال صلى الله عليه وآله وسلم : انكم تختصمون إلى الى قوله فانما أقطع له قطعة من نار : وهذا صريح انه صلى الله عليه وآله وسلم حكم بالظن الحاصل عن البينة اذ لوكان بالعلم لما كان المحكوم به قطعة من نار لانه يجوز ان البينة التي حكم بها باطلة في نفس الامر وفي حديث ابن مسعود في سجود السهو اذا كنت في صلاة فشككت في ثلاث أو أربع وأكثر ظنك

١ ـ البقرة ٤٦
٢ ـ لقمان ٤
٣ ـ التكوير ٢٤
٤ ـ الحجرات ١٢

وإن الظن لايغنى من الحق شيئاً)[١] ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق

هذا آخر مسائل الاصول للامام ابن حزم رحمه الله تعالى

على أربع الحديث فاعتبر الظن في أشرف العبادات وحديث الطبراني والحاكم : قال الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء : وحديث : لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله رواه احمد ومسلم وأبوداود وابن ماجه فهذا كله عمل بالظن الراجح الصادر عن أمارة صحيحة ، وأما ماصدر لاعن أمارة صحيحة نحو ظن الكفار انه لن ينقلب الرسول والمؤمنون الآية وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً . فهذا ظن باطل مستند الى أن الله تعالى لاينصر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومثل ظننتم ان الله لايعلم كثيراً مما تعملون الذى حكاه الله تعالى عنهم بقوله (ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مماتعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين)[٢] فظنهم هذا مستند الى الجهل بعلم الله واحاطته ، ومنه في قصة الاحزاب في ظن المنافقين (واذزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)[٣] فانهم ظنوا غلبة الاحزاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولذا قالوا (ماوعدنا الله ورسوله الا غروراً)[٤] وعكسهم أهل الايمان فانهم قالوا (هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيمانا وتسليما)[٥] فهذا البحث بحمد الله تعالى لاتجده في كتاب ، وانما هو من فتح الكريم الوهاب وبه يزول الاشكال والاضطراب ، وتعلم ان المصنف أوجز في محل الاطناب ، فاخل بما يذكره هو في هذا الكتاب ، فانه لايزال يستدل فيه بأخبار الآحاد وبعموم ألفاظها وألفاظ القرآن والكل لايخرج عن الادلة الظنية ، فاعرف قدر هذه الفائدة السنية اه

١ ـ النجم ٢٨
٢ ـ فصلت ٢٢ ـ ٢٣
٣ ـ الأحزاب ١٠
٤ ـ الأحزاب ١٢
٥ ـ الأحزاب ٢٢

﴿ تم الكتاب ﴾

مسألة القدر

سؤال أورده أحد علماء الذميين والجواب عليه

« للامام ابن تيمية »

(سأل أحد علماء الذميين عن مسألة القدر قائلا :)

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ماقضى ربى بكفرى بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتى
دعانى وسد الباب عنى فهل الى ... دخولى سبيل بينوا لي قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا ... فها أنا راض بالذى فيه شقوتي
فان كنت بالمقضى يا قوم راضياً ... فربى لا يرضى بشؤم بليتى
فهل لى رضا ماليس يرضاه سيدي ... فقد حرت دلوني على كشف حيرتي
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة ... فهل أنا عاص باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه ... فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

(فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام)

(تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلا)

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... مخاصم رب الخلق بارى البرية
وهذا سؤال خاصم الملأ العلا ... قديما به ابليس أصل البلية
ومن يك خصما للمهيمن يرجعن ... على أم رأس هاوياً في الحفيرة
وتدعى خصوم الله يوم معادهم ... الى النار طراً فرقة القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الاله بعلة
فان جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب الخلق باري الخليقة

وذات إلٓه الخلق واجبة بما … لها من صفات واجبات قديمة
مشيئته مع علمه ثم قدرة … لوازم ذات الله قاضي القضية
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من … يقول فلم قد كان في الازلية
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه … وتحريمه قد كان في كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدل من … له نوع عقل انه بارادة
واصداره عن واحد بعد واحد … أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا في تعلق لكل مسبب … بما قبله من علة كل خيبة
بل الشان في الاسباب اسباب ماترى … ومصدرها عن حكم محض المشيئة
وقولك لم شاء الإلٓه هو الذي … أزل عقول الخلق في قعر حفرة
فان المجوس القائلين بخالق … لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهم عن علة الشر أوقعت … رؤوسهم في شبهة الثنوية
وان ملاحيد الفلاسفة الاولى … يقولون بالفعل القديم لعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه … فلم يجدوا ذاكم فضلوا بضلة
وان مبادى الشر في كل أمة … دوى من رضوخ لاتباع لشبهة
بخوضهم في ذاكم صار شركهم … وجاء دروس البينات بفترة
ويكفيك نقضاً ان ما قد سألته … من العذر مردود لدي كل فطرة
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم … عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحل من والاك صفو مودة … وتبغض من عاداك من كل فرقة
وحالهم فى كل قول وفعلة … كحالك ياهذا بأرجح حجة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر … وكل غوى خارج عن محجة
فيلزمك الاعراض عن كل ظالم … على الناس من نفس ومال وحرمة
فلا تغضبن يوماً على سافك دماً … ولا سارق مالا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا … ولا ناكح فرجا على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم … ولا مفسد فى الارض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور افكا وفرية ... ولا قاذف للمحصنات بزنية
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً ... ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ... ولا تأخذن ذا خربة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً ... على ربهم من كل جاء بفرية
وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم ... يروم فساد النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى ... فأهلك في اليم انتقاماً بغضبة
وكل كفور مشرك بالهه ... وآخر طاغ كافر بالنبوة
كعاد ونمرود وقوم لصالح ... وقوم لنوح ثم أصحاب ليكة
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى ... من الانبياء محيياً للشريعة
على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا ... ونالوا من العاصي بليغ العقوبة
وإلا فكل الخلق في لفظة ولحـ ... ظ عين وتحريك لشعرة
وبطشة كف أو تخطي قديمة ... وكل حراك بل وكل سكينة
هم تحت أقدار الآله وحكمه ... كما أنت فيما قد أتيت بحجة
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل ... فعال ردى طراً لهذى المقيسة
فهل يمكنن رفع الملام جميعه ... عن الناس طراً عند كل قبيحة
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا ... وترك الورى الانصاف بين الرعية
فلا يضمنن نفس ومال بمثله ... ولا يعقبن عاد بمثل الجريمة
وهل في عقول الناس أوفي طباعهم ... قبول لقول النذل ماوجه حيلتي
ويكفيك نقضا مابجسم ابن آدم ... صبي ومجنون وكل بهيمة
من الألم المقضي من غير حيلة ... وفي مايشاء الله أكمل حكمة
اذا كان في هذا له حكمة فما ... يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
وكيف ومن هذا عذاب مولد ... من الفعل فعل العبد عند الطبيعة
كأكل لسم أوجب الموت أكله ... وكل بتقدير لرب المنية
فكفرك ياهذا كسم أكلته ... وتعذيب نار مثل جرعة غصة

ألست ترى في هذه الدار من جنى — يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
ولاعذر للجاني بتقدير خالق — كذلك في الاخرى بلا مثنوية
وما كان من جنس المتاب لرفعه — عواقب أفعال العباد الخبيثة
كخير به تمحى الذنوب ودعوة — تجاب من الجاني ورب شفاعة
وتقديره الفعل يجلب نقمة — كتقديره الآثار طراً بعلة
وقول حليف الشر اني مقدر — عليّ كقول الذيب هذي طبيعتي
فهل ينفعن عذر الملوم لانه — كذا طبعه أم هل يقال لعتوة
أم الذم والتعذيب أوكد للذى — طبيعته فعل الشرور الشنيعة
فان كنت ترجو أن تجاب بعاصى — ينجيك من نار الاله العظيمة
فدونك رب الخلق فاقصده ضارعا — مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة
وما بان من حق فلا تتركنه — وعج عن سبيل الامة الغضبية
وذلل قياد النفس للحق واسمعن — ولاتعرضن عن فكرة مستقيمة
ومن ضل عن حق فلا تقفونه — وزن ماعليه الناس بالمعدلية
هنالك تبدو طالعات من الهدي — بتبشير من قد جاءنا بالحنيفة
بملة ابراهيم ذاك إمامنا — ودين رسول الله خير البرية
فلايقبل الرحمن دينا سوى الذى — به جاءت الرسل الكرام السجية
فقد جاء هذا الخاتم الحاشر الذى — حوى كل خير في عموم الرسالة
وأخبر عن رب العباد بأن من — غدا عنه في الاخرى بأقبح خيبة
فهذى دلالات العباد لحائر — واما هداه فهو فضل الربوبة
وفقد الهدى عند الورى لايفيد من — عدا عنه بل يجري بلاوجه حجة
وحجة محتج بتقدير ربه — تزيد عذاباً كاحتجاج مريضة
وأما رضانا بالقضاء فانما — أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وذل ثم فقر وغربة — وما كان من مؤذ بدون جريمة
فأما الافاعيل التى كرهت لنا — فلا نص يأتي في رضاها بطاعة

وقدقال قوم من أولي العلم لارضى ... بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
فان إله الخلق لم يرضها لنا ... فلا نرتضي مسخوطة بمشيئة
وقال فريق نرتضي بقضائه ... اليه ومافينا فيلقى بسخطة
كما أنها للرب خلق وأنها ... لمخلوقه كسب كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ... ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة
ومعصية العبد المكلف تركه ... لما أمر المولى وإن بمشيئة
فان إله الخلق حق مقاله ... بأن العباد في نعيم وجنة
كما انهم في هذه الدار هكذا ... بل البهم في الآلام أيضاً ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ماقضت من الـ ... فروق بعلم ثم أيد ورحمة
يسوق أولي التعذيب بالسبب الذى ... يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدى أولي التنعيم نحو نعيمهم ... بأعمال صدق في خشوع وخشية
وأمر إله الخلق تبيين مابه ... يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
فمن كان من أهل السعادة أثرت ... أوامره فيه بتدبير صنعة
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل ... بأمر ولا نهي بتقدير شقوة
ولامخرج للعبد عما به قضى ... ولكنه مختار حسن وسوأة
فليس بمجبور عديم إرادة ... ولكنه شاء بخلق الارادة
ومن عجب الاشياء خلق مشيئة ... بها صار مختار الهدى والضلالة
وقولك هل أختار تركا لحكمه ... كقولك هل أختار ترك المشيئة
وأختار أن لا اختار فعل ضلالة ... ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
وذا ممكن لكنه متوقف ... على مايشاء الله من ذي المشيئة
فدونك فافهم مابه قد أجبت من ... معان اذا انحلت بفهم غريزة
أشارت الى أصل يشير الى الهدى ... ولله رب الخلق أدمل مدحتى

﴿ تمت قصيدة الامام ابن تيمية ﴾

عقيدة السلف واصحاب الحديث

« للامام المحـــدث المفسر شيخ »

« الاســـلام ابى عثمان »

« اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا قاضى القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الصالحي الحنبلى اجازة مشافهة أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد بن المحب المقدسى اجازة ان لم يكن سماعا أخبرنا الشيخان جمال الدين عبد الرحمن ابن احمد بن عمر بن شكر وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسيين : قال الاول أخبرنا اسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقي سماعاً أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقي إجازة وقال الثاني أخبرنا أحمد بن عبدالدائم رحمه الله وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن بردس البعلى فى كتابه أخبرنا ابوعبد الله محمد ابن اسماعيل بن الخباز شفاها أخبرنا أحمد بن عبد الدائم اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقـدسى أخبرنا الخرقى سماعا أخبرنا ابو بكر عبد الرحمن بن اسماعيل الصابونى حدثنا والدى شيخ الاسلام ابو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن فذكره (وأخبرنا) قاضى القضاة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفى اجازة مشافهة أخبرنا محمود

ابن خليفة بن محمد بن خلف المنبجى اجازة اخبرنا الجمال عبد الرحمن بن احمد ابن عمر بن شكر بنصه قال

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام (أما بعد) فانى لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام سألنى اخوانى في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين التى استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين وهدوا ودعوا الناس اليها في كل حين ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين ووالوا في اتباعها وعادوا فيها وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها وأحرزوا لانفسهم ولمن دعوهم اليها بركتها وخيرها وافضوا الى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها واستمساكهم بها وإرشاد العباد اليها وحملهم اياهم عليها فاستخرت الله تعالى وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار رجاء ان ينتفع به اولو الالباب والابصار والله سبحانه يحقق الظن ويجزل علينا المن بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله: قلت وبالله التوفيق

أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الاخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل قال (يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين او القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بايدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد اعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ومن عليهم

بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[١]

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الاخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والارادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه الى الله تعالى ويقرون بان تأويله لا يعلمه الا الله كما اخبر الله عن الراسخين فى العلم انهم يقولونه في قوله تعالى(والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب)[٢]

ويشهد اصحاب الحديث ويعتقدون ان القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذى هو كلام الله ووحيه هو الذى ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيرا كما قال عز من قائل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[٣] وهو الذى بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم امته كما أمر به في قوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك)[٤] فكان الذى بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال صلى الله عليه وسلم أتمنعوننى ان ابلغ كلام ربى وهو الذى تحفظه الصدور وتتلوه الالسنة ويكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارىء ولفظ لافظ وحفظ حافظ وحيث تلى وفي أى موضع قرىء وكتب فى مصاحف أهل الاسلام ألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق فمن زعم انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم . سمعت

١ ـ الشورى ١١
٢ ـ آل عمران ٧
٣ ـ الشعراء ١٩٢-١٩٥
٤ ـ المائدة ٦٧

الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت ابا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الامام ابا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد ان مرض ولا يصلى عليه ان مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب فان تاب والا ضربت عنقه . فاما اللفظ بالقرآن فان الشيخ ابا بكر الاسماعيلي الجرجاني ذكر فى رسالته التى صنفها لاهل جيلان أن من زعم ان لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن وذكر ابن مهدى الطبرى في كتابه الاعتقاد الذى صنفه لاهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بان القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم وأن القرآن في صدورنا محفوظ وبالسنتنا مقروء وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به ومن قال ان القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم . وانما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدى لاستحسانى ذلك منه فانه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله اه

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستملى سمعت أبا عثمان سعيد بن اشكاب يقول سألت اسحاق بن ابراهيم عن اللفظ بالقرآن فقال لا ينبغى ان يناظر في هذا القرآن كلام الله غير مخلوق . وذكر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله فى كتابه الاعتقاد الذى صنفه في هذه وقال: أما القول في الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابى ولا تابعي الا عمن في قوله الغنى والشفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الائمة الاولى ابي عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله فان ابا اسماعيل الترمذى حدثنى قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله يقول اللفظية جهمية قال الله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله)[1] ممن يسمع . قال سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم

[1] ١ - التوبة ٦

يذكرون عنه رضى الله عنه انه كان يقول من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع: قال محمد بن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان نقوله غير قوله اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه . هذه الفاظ محمد بن جرير التى نقلتها نفسها الى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه . قلت وهو أعنى محمد بن جرير قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذى ذكره في كتابه كل ما نسب اليه وقذف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل الى شىء من البدعة والذى حكاه عن احمد رضى الله عنه وارضاه ان اللفظية جهمية فصحيح عنه وانما قال ذلك لان جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به الى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة فى ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به ان القرآن بلفظنا مخلوق فلذلك سماهم احمد رحمه الله جهمية . وحكي عنه أيضاً انه قال اللفظية شر من الجهمية

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن احمد رحمه الله ان من قال لفظى بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فانما أراد ان السلف من اهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال اليه وانما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الاسلام فقال الامام احمد هذا القول فى نفسه بدعة ومن حق المتدين ان يدعه ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الائمة المتبعة ان القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه الا تكفير من يقول بخلقه . اخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجى بمرو حدثنا يحيى بن ساكوكه عن ابيه عبد الكريم السندى قال قال وهب بن زمعة اخبرنى الباسانى قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ومن قال لا أومن بهذا الكلام فقد كفر . ويعتقد أهل الحديث ويشهدون ان الله سبحانه وتعالى

فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه فى قوله عز وجل في سورة الاعراف (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد إذنه)[1] وقوله فى سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش)[2] وقوله في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا)[3] وقوله في سورة السجدة (ثم استوى على العرش)[4] وقوله فى سورة طه (الرحمن على العرش استوى)[5] . يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرون على ظاهره ويكلون علمه الى الله ويقولون (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب)[6] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم انهم يقولون ذلك ورضيه منهم فاثنى عليهم به .

اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيي المعلى حدثنى محمد بن داود بن سليمان الزاهد اخبرنى على بن محمد بن عبيد ابو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا ابو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الاشرس الوراق ابو كنانة حدثنا ابو المغيرة الحنفى حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن ابيه عن ام سلمة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر . وحدثنا ابو الحسن بن اسحق المدنى حدثنا احمد بن الخضر بو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن انس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا ضالا وأمر به ان يخرج من مجلسه . اخبرنا ابو محمد المجلدي العدل حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين على بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملى عن جعفر بن

١ - يونس ٣
٢ - الرعد ٢
٣ - الفرقان ٥٩
٤ - السجدة ٤
٥ - طه ٥
٦ - آل عمران ٧

عبـدالله قال جاء رجل الى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله (الرحمن على العرش استوى) قال فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته وعلاه الرحضاء وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الامر به فيه ثم سرى عن مالك فقال الكيف غير معلوم والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وانى لاخاف أن تكون ضالا ثم أمر به فأخرج * أخبرنا به جدى أبو حامد احمد بن اسماعيل عن جد والدي الشهيد وأبوعبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن احمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملى حدثنا جعفر بن عبدالله قال جاء رجل لمالك بن أنس فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال فما رأيت مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته وذكر بنحوه * وسئل ابو على الحسين بن الفضل البجلى عن الاستواء وقيل له كيف استوى على عرشه فقال أنا لاأعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا وقد أعلمنا جل ذكره انه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى * أخبرنا أبوعبدالله الحافظ أخبرنا ابو بكر محمد بن داود الزاهد أخبرنا محمد ابن عبدالرحمن السامي حدثنى عبدالله بن احمد بن شبويه المروزى سمعت على بن الحسين بن شقيق يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائناً منه خلقه ولانقول كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار الى الارض . وسمعت الحاكم أبا عبدالله فى كتابه التاريخ الذى جمعه لاهل نيسابور وفي كتابه معرفة الحديث اللذين جمعهما ولم يسبق الى مثلهما يقول سمعت أباجعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول سمعت أبابكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه والقي على بعض المزابل حتى لايتأذى المسلمون ولاالمعاهدون بنتن رائحة جيفته وكان ماله فيئاً لايرثه احد من المسلمين إذ المسلم لايرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لايرث المسلم الكافر ولاالكافر المسلم » ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى

كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)[١] وقوله عز اسمه (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[٢] وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الاسماعيلي الى أهل جيلان ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام)[١] وقال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[٢] ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل فانتهينا الى ما أحكمه وكففنا عن الذى يتشابه إذ كنا قد أمرنا به فى قوله عز وجل (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الالباب)[٣].

أخبرنا ابو بكر بن زكريا الشيبانى سمعت أبا حامد بن الشرقى يقول سمعت احمد السلمي وأبا دود الخفاجي يقولان سمعنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى يقول قال لي الامير عبدالله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذى ترويه عن رسول الله صل الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا كيف ينزل قال قلت أعز الله الامير لا يقال لامر الرب كيف انما ينزل بلا كيف * حدثنا أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم العدل حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضى حدثنى أبو بكر بن احمد بن محبوب حدثنا احمد بن حمويه حدثنا ابو عبدالرحمن العباسى حدثنا محمد بن سلام سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان فقال عبدالله يا ضعيف ليلة النصف ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الله كيف

١ ـ البقرة ٢١٠
٢ ـ الفجر ٢٢
٣ ـ آل عمران ٧

ينزل أليس يخلو ذلك المكان منه فقال عبد الله ينزل كيف شاء وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل اذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصغ له . سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت ابراهيم بن ابي طالب يقول سمعت احمد بن سعيد بن ابراهيم بن عبد الله الرباطي يقول حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحق بن ابراهيم يعني ابن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب أتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل فقال له اسحق أثبته فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبته فوق فقال اسحق قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفا) فقال الامير عبد الله يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحق أعز الله الامير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم .

وخبر نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة .

أخبرنا ابو علي زاهر بن احمد حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد حدثنا ابو مصعب حدثنا مالك . وحدثنا ابو بكر بن زكريا حدثنا ابو حاتم علي بن عبيدان حدثنا محمد بن يحيى قال ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك رحمه الله وحدثنا ابو بكر بن زكريا أخبرنا ابو القاسم عبد الله بن ابراهيم ابن باكويه حدثنا يحيي بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبد الله الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له »

ولهذا الحديث طرق الى أبي هريرة رواه الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رحمه الله ورواه يزيد بن هرون وغيره من الائمة

عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومالك عن الزهرى عن الاعرج عن أبى هريرة ومالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعبيد الله ابن عمر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة وعبد الاعلى بن أبي المساور وبشير بن أبي سلمان عن أبى حازم عن أبى هريرة . ورواه نافع بن جبير ابن مطعم عن أبيه وموسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى عن عبادة بن الصامت وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله وعبيد الله بن أبى رافع عن على بن أبي طالب وشريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله ابن مسعود ومحمد بن كعب بن فضالة بن عبيد عن ابى الدرداء وابو الزبير عن جابر وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضى الله عنهم.

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار وفي رواية الاوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح » . وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبى هريرة زيادة فى آخره وهي « ثم يبسط يديه فيقول من يقرض غير معدوم ولا ظلوم » . وفي رواية أبى حازم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل الى سماء الدنيا في ثلث الليل الاخير فينادى هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له فلا يبقى شيء فيه الروح الا علم به الا الثقلان الجن والانس » قال وذلك حين تصيح الديكة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب . وروى هشام الدستوائي عن يحيى بن أبى كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهنى حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لا أسأل من عبادى غير من يستغفرنى فأغفر له من يدعونى فأستجيب له من يسألنى أعطيه حتى ينفجر الصبح » * أخبرنا ابو محمد الجلدى أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا محمد

بن يحيى حدثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبى مسلم الاغر قال أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد عليهما انهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله يمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل الاول هبط الى السماء الدنيا فيقول هل من مذنب هل من مستغفر هل من سائل هل من داع حتى تطلع الشمس» * أخبرنا أبومحمد المجلدى حدثنا ابوالعباس الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار عن يونس بن أبى اسحق عن أبى مسلم الأغر قال أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله يمهل حتى اذا كان ثلث الليل هبط الى هذه السماء ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من مضطر أكشف عنه ضره هل من مستغيث أغيثه فلايزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا» * أخبرنا أبومحمد المجلدى أنبأنا أبوالعباس يعنى الثقفي حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا سهل عن أبى اسحق عن الاغر انه شهد على أبى هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «اذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فقال ألا هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤله ألا هل من تائب يتاب عليه» * حدثنا الاستاذ أبو منصور بن حماد حدثنا ابو اسماعيل بن ابى الظما ببغداد حدثنا أبومنصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن ابى صالح عن ابيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول انا الملك انا الملك ثلاثا من يسألنى فأعطيه من يدعونى فاستجيب له من يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» سمعت الاستاذ أبامنصور على أثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سئل أبوحنيفة عنه فقال ينزل بلا كيف وقال بعضهم ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بل بالتجلي

والتملي لانه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق فمجيئه واتيانه ونزوله علي حسب مايليق بصفاته من غير تشبيه وكيف * وقال الامام أبوبكر محمد بن اسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذى صنفه وسمعت من حامده ابى طاهر رحمه الله تعالى

باب

ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق فى نزول الرب الى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه متيقن بما في هذه الاخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية لان نبينا صلي الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى السماء الدنيا وأعلمنا انه ينزل والله عزوجل ولى نبيه صلى الله عليه وسلم بيان مابالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفه الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول * أخبرنا الحاكم ابوعبدالله الحافظ حدثنا ابو محمد الصيدلاني حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا احمد بن صالح المصري حدثنا ابن وهب أنبأنا مخرمة بن بكير عن ابيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الاصم واللفظ له حدثنا ابراهيم بن حنيفة حدثنا ابن وهب عن مخرمة ابن بكير عن أبيه قال سمعت محمد بن المنكدر يزعم انه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول « نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا قالوا وأى يوم قالت يوم عرفة » * وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت « ينزل الله تعالى في النصف من شعبان الى السماء الدنيا ليلا الى آخر النهار من الغد فيعتق من النار بعدد شعر معز بنى كلب ويكتب الحاج وينزل ارزاق السنة ولايترك أحداً إلا غفر له إلا مشركا او قاطع رحم او عاقاً او مشاحناً » * اخبرنا ابوطاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام حدثنا

الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا اسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي (ح) قال الامام وحدثنا الزعفراني عبدالله بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني ابن هرون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبدالله بن ميمون بالاسكندرية حدثنا الوليد عن الاوزاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني (ح) قال الامام وحدثنا ابوهشام بن زياد بن ايوب حدثنا مبشر بن اسماعيل الحلبي عن الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فجعلوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يأذن لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مابال شق الشجرة الذي يلي النبي صلى الله عليه وسلم ابغض إليكم من الآخر فلا يرى من القوم إلا باكيا قال يقول ابو بكر الصديق ان الذي يستأذنك بعدها لسفيه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وكان اذا حلف قال والذي نفسي بيده أشهد عند الله مامنكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد الا سلك به في الجنة ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين الفاً بغير حساب ولاعذاب واني لأرجو أن لايدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من ازواجهم وذرياتهم يساكنكم في الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يقول لاأسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يدعوني فأجيبه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد.

قال شيخ الاسلام قلت فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيراً ولعنهم لعنا كثيراً. وقرأت لابي عبد الله

ابن ابى حفص البخاري وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة وابو حفص كان من كبار اصحاب محمد بن الحسن الشيباني قال ابو عبدالله أعنى ابن أبى حفص هذا عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول سمعت محمد بن الحسن الشيبانى يقول قال حماد بن ابى حنيفة قلنا لهؤلاء أرأيتم قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفا) قالوا أما الملائكة فيجيئون صفاً صفا وأما الرب تعالى فانا لا ندري ماعنى بذلك ولا ندرى كيفية مجيئه فقلت لهم انا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه أرأيتم من أنكر أن الملك لا يجيء صفاصفا ماهو عندكم قالوا كافر مكذب قلت فكذلك ان أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب * قال ابو عبدالله ابن أبى حفص البخاري أيضا فى كتابه ذكر ابراهيم عن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا قال لك الجهمي انا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه فقل أنت أنا أؤمن برب يفعل مايشاء * وروى يزيد بن هرون في مجلسه حديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله في الرؤية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «انكم تنظرون الى ربكم كما تنظرون الى القمر ليلة البدر» فقال له رجل فى مجلسه يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث فغضب وحرد وقال ما أشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل ما فعل به ويلك ومن يدرى كيف هذا ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذى جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه الا من سفه نفسه واستخف بدينه اذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وان لم تفعلوا هلكتم: وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هرون للسائل ما اشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل ما فعل به هى ما رواه يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان صبيغا التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن (الذاريات ذروا)[1] قال هي الرياح ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الحاملات وقرا)[2] قال هي السحاب ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فاخبرني

١ ـ الذاريات ١
٢ ـ الذاريات ٢

عن (المقسمات أمراً)[١] قال الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الجاريات يسرا)[٢] قال هي السفن ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال ثم أمر به فضرب مائة سوط ثم جعله في بيت حتى اذا برأ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى ثم حمله على قتب وكتب الى ابى موسى الاشعري أن حرم عليه مجالسة الناس فلم يزل كذلك حتى أتى أباموسى الأشعري فحلف بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً فكتب عمر اليه ما أخاله الا قد صدق خل بينه وبين مجالسة الناس * وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب سمعت رجلا من بنى عجل يقال له فلان خلته ابن زرعة يحدث عن أبيه قال رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء الى الخلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الاخرى عزمة أمير المؤمنين * وروى حماد ابن زيد أيضا عن يزيد بن أبي حازم عن سليمان بن يسار أن رجلا من بنى تميم يقال له صبيغ قدم المدينة فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث اليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم أهوى اليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجه فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي * أخبرنا ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزى بها حدثنا محمد بن عمير الرازى حدثنا ابو زكريا يحيي بن ايوب العلاف التجيبي بمصر حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك ابن انس يقول إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في اسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون * أخبرنا أبو الحسين احمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الفقيه حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله يقول لان القاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب الىّ من أن القاه

١ ـ الذاريات ٤
٢ ـ الذاريات ٣

بشيء من الأهواء * أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا ابو عمرو الحيري حدثنا ابو الازهر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جعفر برقان قال سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الاهواء فقال الزم دين الصبي في الكتاب[٢] والاعرابي واله عما سوى ذلك * أخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيى القزاز يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت احمد بن أبي الحواري يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه . أخبرنا أبو الحسين الخفاف حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا اسماعيل بن ابي الحرث حدثنا الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم قال سألت الاوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الاحاديث في الصفات والرؤية قال اروها كما جاءت بلا كيف * قال الامام الزهري امام الائمة في عصره وعين علماء الامة في وقته على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم * وعن بعض السلف قدم الاسلام لا يثبت الا على قنطرة التسليم * أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام احمد بن نصر حدثنا أبو يعقوب الحسن حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله » * أخبرنا عبد الله الحافظ سمعت أبا الحسن المكاري يقول سمعت علي بن عبد العزيز يقول سمعت أبا القاسم بن سلام يقول المتبع للسنة كالقابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله * وروى عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)[١] * أخبرنا عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقلي حدثنا احمد بن عبد الجبار العطاردي حدثني أبي وعبد الرحمن الضبي عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظي

١ ـ ص ٨٦

قال دخلت على عمر بن العزيز فجعلت أنظر اليه نظراً شديداً فقال انك لتنظر الى نظراً ما كنت تنظره الى" وأنا بالمدينة فقال لتعجبي فقال ومم" تعجب قال قلت وما حال من لونك ونحل من جسمك ونقي من شعرك قال كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري وقد سالت حدقتاي على وجنتي وسال منخراي في فمي صديداً كنت لي أشد نكرة ، حدثني حديثا كنت حدثتنيه عن عبد الله بن عباس قال قلت حدثني عبد الله بن عباس يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة لا تصلوا خلف نائم ولا محدث واقتلوا الحية والعقرب وان كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر فى كتاب أخيه بغير اذنه فانما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال الذي يجلد عبده ويمنع رفده وينزل وحده أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذي لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذى لا يرجى خيره ولا يؤمن شره من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغني الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ان عيسى عليه السلام قام في قومه فقال يابنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالما بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم الأمور ثلاثة أمر بين رشده فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله عز وجل »

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالايمان والشمائل والاجابة عن المسائل الى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التى فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها.

ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد

ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا ابوسعيد بن حمدون انبأنا ابو حامد بن الشرقي حدثنا احمد بن يوسف السلمي حدثنا عبد الرازق أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد اخبرنا محمد ابن المسيب الاغيانى حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد السلام بن حرب الملائى عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين » ＊ أخبرنا أبو محمد المجلدى أخبرنا ابو العباس السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو (ح) وأخبرنا ابو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدى الامام محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا على بن حجر بن اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال « لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ان أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه »

ويؤمنون بالحوض والكوثر وادخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب ومحاسبة فريق منهم حسابا يسيرا وادخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم وادخال فريق من مذنبيهم النار ثم اعتاقهم أو إخراجهم منها والحاقهم باخوانهم الذين سبقوهم اليها ولا يخلدون في النار فاما الكفار فانهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الايمان احداً ＊

ويشهد اهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم وينظرون اليه على ماورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئى

والاخبار الواردة فى الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها

ويشهد اهل السنة ان الجنة والنار مخلوقتان وانهما باقيتان لا يفنيان ابداً وان اهل الجنة لا يخرجون منها ابداً وكذلك اهل النار الذين هم اهلها خلقوا لها لا يخرجون ابداً وان المنادي ينادي يومئذ يااهل الجنة خلود ولاموت ويااهل النار خلود ولاموت على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم *

ومن مذهب أهل الحديث ان الايمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال محمد بن على بن الحسن بن شقيق سألت أبا عبد الله احمد ابن حنبل رحمه الله عن الايمان في معنى الزيادة والنقصان فقال حدثنا الحسن بن موسى الاشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال الايمان يزيد وينقص فقيل وما زيادته وما نقصانه قال اذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحانه فتلك زيادته واذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه: أخبرنا ابو الحسن بن أبى اسحق المزكى حدثنا أبى حدثنا أبوعمرو الحيري حدثنا محمد بن يحيي الذهلى ومحمد بن إدريس المكى واحمد بن شداد الترمذي قالوا حدثنا الحميدي حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الايمان فقالوا قول وعمل * وسألت هشام بن حسان فقال قول وعمل * وسألت ابن جريرفقال قول وعمل * وسألت سفيان الثورى فقال قول وعمل * وسألت المثنى بن الصباح فقال قول وعمل * وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال قول وعمل * وسألت فضيل فقال قول وعمل * وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال قول وعمل * وسألت سفيان بن عيينة فقال قول وعمل * وأخبرنا ابو عمرو الحيرى حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن ادريس سمعت الحميدى يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فقال له أخوه ابراهيم بن عيينة يا أبامحمد تقول ينقص فقال اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء * وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي ومالكا وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول

إقرار بلا عمل ويقولون لا ايمان إلا بعمل قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فانه أكمل إيمانا ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والاضاعة فايمانه ناقص * (وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ) يقول سمعت أبا بكر محمد ابن احمد بن باكويه الحلاب يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول سمعت احمد بن سعيد الرباطي يقول قال لي عبد الله بن طاهر ياأحمد أنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا وأنا أبغضهم عن معرفة اولا انهم لا يرون للسلطان طاعة والثاني انه ليس للايمان عندهم قدر والله لا أستجيز أن أقول إيماني كايمان يحيى بن يحيى ولا كايمان احمد بن حنبل وهم يقولون إيماننا كايمان جبرائيل وميكائيل * وسمعت أباجعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول سمعت اسحق بن ابراهيم الحنظلي يقول قدم ابن المبارك الرى فقام اليه رجل من العباد الظن انه يذهب مذهب الخوارج فقال له ياأبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا أخرجه من الايمان فقال ياأبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً فقال لا تقبلنى المرجئة المرجئة تقول حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة ولو علمت انى قبلت منى حسنة لشهدت انى في الجنة ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو وزن إيمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح * (سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله) بن محمد بن زكريا الشيباني يقول سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول سمعت محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول سمعت الحسين بن حرب أخا احمد بن حرب الزاهد يقول أشهد أن دين احمد بن حرب الذى يدين الله به ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص *

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان اذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فانه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والاخلاص فان أمره الى الله عز وجل ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما

غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والاوزار وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار واذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فانه لا يلقى فيها القاء الكفار ولا يبقى فيها بقاء الكفار ولا يشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك ان الكافر يسحب على وجهه الى النار ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والاغلال والانكال الثقال والمؤمن المذنب اذا ابتلى بالنار فانه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير القاء وتنكيس . ومعنى قوله لا يلقى في النار القاء الكفار ان الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلداً غيره ليذوق العذاب كما بينه الله فى كتابه في قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)[1] : وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ولا تحرق أعضاء السجود منهم إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله لا يبقى في النار بقاء الكفار ان الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين فى النار أحداً . ومعنى قوله لا يشقى بالنار شقاء الكفار ان الكفار ييأسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بحال وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله فى كل حال وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلا من الله ومنة

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدا فكفره بذلك احمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف وأخرجوه به من الاسلام للخبر الصحيح « بين العبد والشرك ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر » وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين الى انه لا يكفر مادام معتقداً لوجوبها وانما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الاسلام وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام انه قال

١ - النساء ٥٦

﴿ اني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾[١] ولم يك تلبس بكفر فارقه ولكن تركه جاحداً له *

ومن قول أهل السنة والجماعة في اكساب العباد انها مخلوقة لله تعالى لايمترون فيه ولايعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ويشهدون ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء عنه لاحجة لمن أضله الله عليه ولاعذر له لديه : قال الله عز وجل ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾[٢] وقال ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى ﴾[٣] الآية وقال ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ﴾[٤] الآية : سبحانه وتعالى خلق الخلق بلاحاجة اليهم فجعلهم فرقتين فريقاً للنعيم فضلا وفريقاً للجحيم عدلا وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقياً وسعيداً وقريباً من رحمته وبعيداً لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * أخبرنا أبو محمد المجلدى أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بأربع كلمات رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فوالذي نفسى بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ماسبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »

ويشهد أهل السنة ويعتقدون ان الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لامرد لها ولامحيص ولامحيد عنهما ولايصيب المرء إلا ما كتبه له ربه ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه ولوجهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ماورد به الخبر عن عبدالله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الله عز وجل ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلاراد لفضله ﴾[٥] الآية

١ ـ يوسف ٣٧
٢ ـ الأنعام ١٤٩
٣ ـ السجدة ١٣
٤ ـ الأعراف ١٧٩
٥ ـ يونس ١٠٧

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه لايضاف الى الله تعالى مايتوهم منه نقص على الانفراد فلايقال ياخالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وان كان لامخلوق الا والرب خالقه وفي ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح «تباركت وتعاليت والخير في يديك والشر ليس اليك» ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف اليك إفراداً وقصداً حتى يقال لك في المناداة ياخالق الشر او يامقدر الشر وان كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً لذلك أضاف الخضر عليه السلام ارادة العيب الى نفسه فقال فيما أخبر الله عنه في قوله (أما السفينة فكانت لمسا كين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها)[1] ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف ارادتها الى الله عز وجل فقال (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك)[2] ولذلك قال مخبراً عن ابراهيم عليه السلام انه قال (واذا مرضت فهو يشفين)[3] فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه وان كان الجميع منه *

ومن مذهب أهل السنة والجماعة ان الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها لم يؤمن أحد الا بمشيئته ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء أن لايعصى ماخلق ابليس : فكفر الكافرين وايمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره وارادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ويرضى الايمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية قال الله عز وجل (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)[4] *

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث ان عواقب العباد مبهمة لايدرى أحد بم يختم له ولايحكمون لواحد بعينه انه من أهل الجنة ولايحكمون على أحد بعينه انه من أهل النار لان ذلك مغيب عنهم لايعرفون على ما يموت عليه الانسان ولذلك يقولون انا مؤمنون ان شاء الله * ويشهدون لمن مات على الاسلام ان عاقبته الجنة فان الذين سبق القضاء عليهم من الله انهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم

١ ـ الكهف ٧٩
٢ ـ الكهف ٨٢
٣ ـ الشعراء ٨٠
٤ ـ الزمر ٧

التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها فانهم يردون أخيراً الى الجنــة ولايبقى أحد في النار من المسلمين فضلا من الله ومنة ومن مات والعياذ بالله على الكفر فرده الى النار لاينجو منها ولايكون لمقامه فيها منتهى . فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من اهل الجنة فان أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعده لهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ماشاء من غيبه وبيان ذلك في قوله عز وجل (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول)[١] وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة وهم ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبوعبيدة بن الجراح وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس أنت من أهل الجنــة قال أنس بن مالك فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول انه من أهل الجنة *

ويشهدون ويعتقدون ان افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليــه وسلم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وانهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وبعد انقضاء أيامهم عاد الامر الى الملك العضوض على ما أخبر عنـــه الرسول صلى الله عليه وسلم * ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم قاطبة رضيه رسول الله صلى الله عليــه لديننا فرضيناه لدنيانا وقولهم قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخرك وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه فصلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك . وكان رسول الله صل الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة انه أحق الناس بالخلافة بعده فلذلك اتفقوا عليــه واجتمعوا فانتفعوا بمكانه والله وارتفعوا به وارتقوا حتى قال ابوهريرة رضي الله عنه والله

١ - الجن ٢٦

الذي لا إله الا هو لولا ان أبابكر استخلف لما عبد الله: ولما قيل له مه يا أباهريرة قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به * ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف ابي بكر رضي الله عنه اياه واتفاق الصحابة عليه بعده وانجاز الله سبحانه بمكانه في اعلاء الاسلام واعظام شأنه وعده * ثم خلافة عثمان رضي الله عنه باجماع اهل الشورى واجماع الاصحاب كافة ورضاهم به حتى جعل الامر اليه * ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة اياه عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنه أحق الخلق وأولاهم فى ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه فكان هؤلاء الاربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم الملحدين وقوى بمكانهم الاسلام ورفع في أيامهم للحق الأعلام ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم)[1] الآية وفي قوله (أشداء على الكفار)[2] فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم الى ماتنسبهم الروافض والخوارج لعنهم الله فقد هلك في الهالكين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله » وقال « من احبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن سبهم فعليه لعنة الله »

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل امام مسلم براً كان أو فاجراً : ويرون جهاد الكفرة معهم وان كانوا جورة فجرة ويرون الدعاء لهم بالاصلاح والتوفيق والصلاح ولايرون الخروج عليهم وان رأوا منهم العدول عن العدل الى الجور والحيف. ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع الى طاعة الامام العدل ويرون الكف عما شجر بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الالسنة عن ذكر مايتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم. ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم. وكذلك يرون تعظيم قدر

١ - النور ٥٥
٢ - الفتح ١٩

أزواجه رضى الله عنهن والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والاقرار بأنهن أمهات المؤمنين * ويعتقدون ويشهدون ان أحداً لاتجب له الجنة وان كان عمله حسناً وطريقه مرتضى الا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله اذ عمل الخير الذى عمله لم يتيسر له الا بتيسير الله عز اسمه فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً قال الله عز وجل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء)[1] في آيات سواها *

ويعتقدون ويشهدون ان الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلا وان نفساً لن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا واذا انقضى أجل المرء فليس الا الموت وليس له عنه فوت قال الله عز وجل (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)[2] وقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا)[3] *

ويشهدون ان من مات أو قتل فقد انقضى أجله قال الله عز وجل (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)[4] * ويتيقنون ان الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويعتقدون استزلالهم ويترصدون لهم قال الله عز وجل (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون)[5] . وان الله يسلطهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء قال الله عز وجل (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غروراً ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)[6] وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه)[7] الآية

ويشهدون ان في الدنيا سحراً وسحرة الا انهم لايضرون أحداً الا باذن الله قال الله عز وجل (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله)[8] ومن سحر منهم واستعمل السحر واعتقد انه يضر او ينفع بغير اذن الله تعالى فقد كفر . واذا وصف مايكفر به استتيب فان تاب والا ضربت عنقه وان وصف ماليس بكفر

١ ـ النور ٢١
٢ ـ الأعراف ٣٤
٣ ـ آل عمران ١٤٥
٤ ـ آل عمران ١٥٤
٥ ـ الأنعام ١٢١
٦ ـ الاسراء ٦٤ ـ ٦٥
٧ ـ النحل ٩٩ـ١٠٠
٨ ـ المجادلة ١٠

او تكلم بما لايفهم نهي عنه فان عاد عزر . وان قال السحر ليس بحرام وانا اعتقد اباحته وجب قتله لانه استباح مااجمع المسلمون على تحريمه .

ويحرم اصحاب الحديث المسكر من الاشربة المتخذة من العنب اوالزبيب او التمر او العسل أو الذرة او غيرذلك مما يسكر يحرمون قليله وكثيره ويجتنبونه ويوجبون به الحد * ويرون المسارعة الى اداء الصلوات واقامتها في اوائل الاوقات افضل من تأخيرها الى آخر الاوقات . ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الامام ويأمرون باتمام الركوع والسجود حتما واجباً ويعدون اتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من اركان الصلاة التى لاتصح الا بها . ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الارحام وافشاء السلام واطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والايتام والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار الى فعل الخيرات اجمع * ويتحابون فى الدين ويتباغضون فيه ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه ويتجانبون اهل البدع والضلالات ويعادون اصحاب الاهواء والجهالات . ويقتدون بالسلف الصالحين من ائمة الدين وعلماء المسلمين ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين . ويبغضون اهل البدع الذين احدثوا في الدين ماليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولايسمعون كلامهم ولايجالسونهم ولايجادلونهم فى الدين ولايناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع اباطيلهم التى اذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت اليها الوساوس والخطرات الفاسدة . وفيه انزل الله عز وجل قوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)[1] وعلامات البدع على اهلها بادية ظاهرة واظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم وتسميتهم اياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم

١ - الأنعام ٦٨

فى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انها بمعزل عن العلم وان العلم مايلقيه الشيطان اليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم . ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء * سمعت الحاكم اباعبد الله الحافظ يقول سمعت أباعلى الحسين ابن على الحافظ يقول سمعت جعفر بن احمد بن مناف الواسطي يقول سمعت احمد بن سنان القطان يقول ليس في الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث فاذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه * وسمعت الحاكم يقول سمعت ابا الحسن محمد بن احمد الحنظلى ببغداد يقول سمعت محمد بن اسماعيل الترمذي يقول كنت انا واحمد بن الحسن الترمذى عند امام الدين ابى عبدالله احمد بن حنبل فقال له احمد بن الحسن يا اباعبدالله ذكروا لابن ابى قتيلة بمكة اصحاب الحديث فقال اصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت * وسمعت الحاكم أباعبدالله يقول سمعت ابانصر احمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول سمعت ابانصر ابن سلام الفقيه يقول ليس شيء اثقل على اهل الالحاد ولاابغض اليهم من سماع الحديث وروايته باسناده وسمعت الحاكم يقول سمعت الشيخ ابا بكر احمد بن اسحق بن ايوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ ابو بكر حدثنا فلان فقال له الرجل دعنا من حدثنا الى متى حدثنا فقال الشيخ له قم يا كافر فلايحل لك ان تدخل داري بعد هذا ابداً ثم التفت الينا وقال ماقلت لاحد ماتدخل دارى الا هذا * سمعت ابامنصور محمدبن عبدالله بن حماد العالم الزاهد يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن احمد المقري الرازى يقول قرأ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازى وانا اسمع سمعت ابى يقول عنى به الامام في بلده اباه اباحاتم محمد بن ادريس الحنظلى الرازى يقول علامة أهل البدع الوقعة في اهل الاثر وعلامة الزنادقة تسميتهم اهل الاثر حشوية يريدون بذلك إبطال الاثر وعلامة القدرية تسميتهم اهل السنة مجبرة

وعلامة الجهمية تسميتهم اهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم اهل الاثر نابتة وناصبة قلت وكل ذلك عصبية ولا يلحق اهل السنة الا اسم واحد وهو اصحاب الحديث . قلت انا رأيت اهل البدع في هذه الاسماء التى لقبوا بها اهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم شاعراً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن الا رسولا مصطفى نبياً قال الله عز وجل (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)[١] كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة اخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته فسماهم بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة زكية نقية وليسوا الا اهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التى أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منهما وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء امته ومن احب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلي الله عليه وسلم « المرء مع من احب » واحدى علامات اهل السنة حبهم لائمة السنة وعلمائها وانصارها واوليائها وبغضهم لائمة البدع الذين يدعون الى النار ويدلون اصحابهم على دار البوار وقد زين الله سبحانه قلوب اهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله * أخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ اسكنه الله وايانا الجنة حدثنا محمد بن ابراهيم بن الفضل المزكي حدثنا احمد بن سلمة قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعد كتاب الايمان له فكان في آخره فاذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الاحوص وشريكا ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى

[١] الاسراء ٤٨

فاعلم انه صاحب سنة قال احمد بن سلمة رحمه الله فألحقت بخطي تحته ويحيى واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه فلما انتهينا الى هذا الموضع نظر الينا اهل نيسابور وقال هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى فقلنا له يا أبارجاء مايحيى بن يحيى قال رجل صالح امام المسلمين واسحق بن ابراهيم امام واحمد بن حنبل اكبر من سميتهم كلهم وانا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله ان من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة اهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهديهم يهتدون ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين منهم محمد بن ادريس الشافعي وسعيد بن جبير والزهري والشعبي والتيمي ومن بعدهم كالليث بن سعد والاوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف ونظرائهم : ومن بعدهم مثل يزيد بن هرون وعبد الرازق وجرير بن عبد الحميد ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري وأبي داود السجستاني وابي زرعة الرازي وابي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم ابن واره ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن اسحق بن خزيمة الذي كان يدعى امام الائمة والمقرى كان امام الائمة في عصره ووقته وأبي يعقوب اسحق بن اسماعيل البستي وجدي من قبل أبي أبوسعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي وعدي بن حمدويه الصابوني وولديه سيفي السنة أبي عبدالله الصابوني وأبي عبدالرحمن الصابوني وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها ناصرين لها داعين اليها والين عليها وهذه الجمل الذي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع واذلالهم واخزائهم وابعادهم واقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب الى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم قال الاستاذ الامام رحمه الله وأنا بفضل الله عز وجل متبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم ناصح لاخواني وأصحابي أن لايزلقوا عن منارهم ولايتبعوا غير أقوالهم ولايشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين

وظهرت وانتشرت ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الائمة لهجروه وبدعوه ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه ولا يغرن اخواني حفظهم الله كثرة أهل البدع ووفور عددهم فان ذلك من أمارات اقتراب الساعة اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « ان من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل » والعلم هو السنة والجهل هو البدعة ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ودعا اليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الاسلام والملة اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له «أجر خمسين فقيل خمسين منهم قال بل منكم » انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته . وحدث في كتاب الشيخ الامام جدي أبي عبد الله محمد بن عدى بن حمدويه الصابونى رحمه الله أخبرنا ابو العباس الحسن بن سفيان الثورى ان العباس بن صبيح حدثهم حدثنا عبد الجبار بن طاهر حدثنى معمر بن راشد سمعت ابن شهاب الزهرى يقول تعليم سنة أفضل من عبادة مائتى سنة . أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيبانى أخبرنا ابو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولى سمعت محمد بن حاتم المظفرى يقول كان أبو معاوية الطرير يحدث هرون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة «احتج آدم وموسى» فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما قال فوثب بهرون وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف قال فما زال يقول حتى سكت عنه هكذا ينبغي للمرء ان يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذى سلكه هرون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح الذى سمعه بكيف على طريق الانكار له والابتعاد عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم. جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة وجنبنا الاهواء المضلة والآراء المضمحلة والاسواء المذلة فضلا منه ومنة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (تمت الرسالة)

تحذير اهل الايمان
عن الحكم بغير ما انزل الرحمن

تأليف

الشيخ أبي هبة الله اسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسنى
الاسعردى الأزهري السلفي

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه أستعين)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق المبين * والحبل المديد المتين * الذى من اعتصم به فقد تمسك بالعروة الوثقى . وكان من الناجين * ومن أعرض عنه ولم يرفع له رأساً فقد خاب وخسر ذلك الأبعد الاشقى . وكان من النادمين الندامة الكبرى . الداعين على أنفسهم بالويل والثبور حيث لا ينفع ندم ولا أنين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاءنا من ربه بتلك الشريعة الوافية . الكافية الشافية . الناجعة النافعة . الجامعة المانعة . المغنية الغنى التام عن جميع الشرائع والقوانين * وعلى آله وأصحابه . وأحبابه وأحزابه . الذين جاهدوا والذين يجاهدون في نصر دين الله . وإعلاء كلمة الله . جميع المعارضين والمضادين * من المشركين والمارقين المنافقين المعاندين المعادين * المحادين المشاقين * لله ولرسوله الصادق المصدوق الامين *

بيان أعظم أسباب التأخر والتقهقر

﴿ أما بعد ﴾ فانى ارى ان الجهل قد عم الحاضر والبادى . وخيم بأطنابه على القاصى والدانى . وعلم الكتاب والسنة . الذى هو من كل شر جنة · مع أنه المنار الذى يهتدى به المجدون ويسترشد به المسترشدون. ومن لا نصيب له وافر منه فهو راكب متن عمياء . وخابط خبط عشواء . وهو الى الضلال أقرب منه الى الهدى . والى الردى أدنى منه الى السلامة والنجا . قد خبت ناره . وولت الادبار أنصاره . ورأوا شيئاً هيناً أو فريا · واتخذوه وراءهم ظهريًا . قد أهملوه وضيعوه وهجروه هجر القلى وقطعوه . وأولعوا بعلوم لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تنقع للظمآن لماه . وأكبوا عليها إكباب المقامر على ملهاه . ووقفوا أعمارهم العزيزة على نحو كتب الفلاسفة وكتب القيل والقال . وفضول العلوم التى لا تأتى بطائل ونوال . لا في دين ولا في دنيا أصلا وقطعاً . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فهم ولاشك من الاخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا فلذلك أظلمت منهم القلوب والبصائر . وعميت منهم السرائر . فلا يتنبهون للخطوب التى تحل بهم . وإن تنبهوا فقلما تجد فيهم من يفدى نفسه في سبيل دفع ذلك الملم المدلهم · فكل يقول أنا مالي · حسبي مراقبة حالي · والدين له رب يحميه · يحوطه ويعليه · وهذه كلمة حق أريد بها باطل أفما قرأ عمره القرآن هذا القائل . فيرى أمر ربه بالدفاع عن دينه وشرعته · وبذل الجهد المستطاع في إعلاء كلمته . نعم قال عبد المطلب البيت له رب يحميه . لما لم يجد عنده من الاسباب الظاهرية ما يقاوم به أبرهة الفيل ويكفيه · فالتجأ في المعنى الى ربه · وأظهر له عجزه عن ذبه · حتى كان ما كان · أما والانسان يتمكن من نصر الحق أدنى تمكن ولو بالبيان · بالقلم او اللسان · فلا يسوغ له التأخر عن ذلك كيف ما كان * لماذا اذا اهتضم في شيء من حقوقه يسعى

أقصى جهده ويبذل غاية وسعه في الحصول على مطلوبه . ويدأب الليل والنهار ويتوسل بكل الوسائل حتى البعيدة المتوهمة للوصول الى مرغوبه . ماذاك الا لنقص وضعف في الايمان . وانحطاط في الهداية والعرفان . فلا يتألم أدنى تألم إذا أصيب بأكبر شيء في دين الله . ويتألم أشد التألم إذا اصيب بأحقر شيء في دنياه . فهؤلاء هم كما قال القائل لابنه كما انشده في المدخل *

أبنيَّ إن من الرجال بهيمةً * في صورة الرجل السميع المبصر
فَطِنٌ بكل مصيبةٍ في ماله * فاذا أُصيبَ بدينهِ لم يشعرِ

هذا حال أغلب خواصنا الا القليل الذي وفقه الله وقليل ماهم. فما بالك بعوامنا فهم كما قال القائل*

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الوهم إلا هذه الصور

وكما قال الثاني *

واعلم بأن عصبة الجهال * بهائم في صور الرجال

وكما قال الثالث

لا تخدعنك اللحى ولا الصور * تسعة أعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشراً * وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرو منهم شبه * له رواء وما له ثمر

وكما قال الرابع :

لابأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

وأحسن من هذا كله قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم) فلذلك ترى غالب الناس اليوم الى اوضاع القوانين البشرية الشيطانية أميل وأطوع منهم إلى اوضاع القانون الالهي . والوحي السماوي . وترى للمتشدقين المتحذلقين الذين يزعمون أنهم يريدون ترقية الامة ولم شمثها . وضم شملها . بأفكارهم الفاسدة . وآرائهم الكاسدة . وسياساتهم المخالفة المنابذة

لسياسات الشريعة الحقة الصادقة . لا يقومون مقاما ولا يجلسون مجلسا الاحثوا فيه الناس اتباع كل صادق و ناعق الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق على ما يتمكنون به من مقتضيات أهوائهم النفسانية ، ومشتهيات أطباعهم البهيمية الشيطانية ، من قوانين أهل الكفر والصليب والتشبه بهم في الافعال والاقوال . فترى لذلك قلوب الناس من قريب وبعيد وحاضر وباد إلا من عصمه الله من الافراد متمائلة على قبولها غير مكترثين بالقانون الذى نزل من عند الله . وبينه لنا رسول الله المعصوم الصادق المصدوق الذى ما ينطق عن هوى . ان هو إلا وحى يوحى صلى الله عليه وآله وسلم حتى جعلوا التحاكم اليها ، والتعويل فى الاحكام عليها ، وجعلوا لهم محاكم سموها بأسماء ليست من حقيقتها فى شيء بل هي معها على طرفي نقيض . فسموا شرعية وعدلية وحقوقية وغير ذلك من الاسماء . التى لا حقيقة لها بل هي الغول أوالعنقاء . فالشرعية فى الحقيقة هي الخدعية ، والعدلية هى العدلية لكن عن نهج الشريعة المحمدية ، والحقوقية هى الحقوقية لكن بمعنى كونها محل ضياع الحقوق الخالقية والمخلوقية ، قد نسوا القرآن واطرحوه خلف ظهورهم بالكلية ، واعتاضوا عنه بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولا على الشريعة الغراء الاحمدية . ولم يرضوا بحكم الله ورسوله فيهم ورضوا باحكام الكفار وآرائهم ، فتعسا لها من عقول ، لا تشترى ولا بالبقول . وهم مع هذا يزعمون أنهم من العقل على جانب عظيم ، لا يلحقهم فيه الحديث ولا القديم ، وليت شعرى أى عقل يكون لمن لا يرضى بحكم أحكم الحاكمين ، واعلم العالمين ، وأعدل العادلين ، ويرضى بحكم أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين *

وما أرى مثل هؤلاء القوم من ذوى الابصار المطموسة ، والبصائر المنكوسة . الا مثل الجعل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح . ويحيا بالعذرة والغائط في المستراح ، فسحقا لامثال هذه العقول سحقا ، ومحقاً لمن الهم محقا ، فلما تمادى بنا ذلك الحال . ومرت به علينا سنون وأحوال . حتى فتح الله تعالى لعباده

باب حرية المقال . بعد ما قد كانوا ألجمهم الاستبداد المفرط بلجوم السكوت على مر الاحوال . والقمهم حجر الصمت على ماهو أعيا من الداء العضال . غير أنه وقع الناس في اضطراب وارتباك وجدال . وتفرق الناس فرقا مختلفة المسالك والمذاهب . وتحزبوا أحزاباً غير مؤتلفة المشارب . وكان من تلك الفرق جمعية الاتحاد المحمدى . المتجمعة لطلب العمل بالشرع الاحمدى . قوى الله عضدها . وأيد ساعدها . وأخذ بأياديها . وبدد شمل أعاديها . ألهمنى الله تعالى ان اكتب نبذة شافية صدور الذين اوتوا العلم والذين يريدون أنهم بهدى ربهم يهتدون على شريطة الاختصار في المقال حذرا من السآمة والملال . وأبين اضطرار الناس الى الشريعة جداً وأجمع بعض الآيات الدالة على اغناء القرآن بالسنة النبوية المبينة له عن جميع الشرائع السابقة . والقوانين البشرية الشيطانية اللاحقة . ليكونوا على بصيرة من أمرهم . ويحذروا من كيد عدوهم ومكرهم

﴿ فأقول ﴾ وانا ابرأ الى الله من القوة والحول وأستغفره من زلل العقل والقول . معلوم لكل من عنده أدنى مسكة من عقل ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)[1] وكما قال (أيحسب الانسان أن يترك سدى)[2] أى مهملا هملا لا يؤمر ولا ينهى كما قال الشافعى — أو لا يثاب ولا يعاقب كما قال غيره والقولان واحد لان الثواب والعقاب غاية الامر والنهى فهو سبحانه خلقهم للامر والنهى في الدنيا والثواب والعقاب في الآخرة — وكما قال تعالى (وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون)[3] ولا فرق بين إبقاء العبادة على ظاهر معناها أو تفسيرها بالمعرفة كما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فانهما متلازمان فالمعرفة لا تكون بدون عبادة والعبادة لا تكون بدون معرفة * وأما مايستدل به بعض من لا إلمام له بعلم الحديث مما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بى فعرفونى » فقد قال حفاظ الحديث ونقاده إنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف * إذا تمهد هذا فنقول ليعلم أن حاجة الناس

١ - المؤمنون ١١٥
٢ - القيامة ٣٦
١ - الذاريات ٥٦

إلى الشريعة ضرورية جداً فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب اليها . — ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بنى آدم فلا يحتاجون الى طبيب وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الادواء حتى ان كثيراً من أصول الطب انما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم *

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية . فمبناها على الوحي المحض . بخلاف الطب فمبناه على تعريف المنافع والمضار التى للبدن وعليه . مما قد لا تمس الحاجة اليه . وغاية ما يقدر فى عدمه موت البدن وتعطل الروح عنه ـ وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الابد * وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط الى شيء أحوج منهم الى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور إلى هذا الجسر * ثم لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فان هذا الشرع ليس لاحد من الخلق كائناً من كان الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر وبين الشرع الذى هو اقوال أئمة الفقه وآراؤهم التى أدى اليها اجتهادهم ووصلت اليها أفهامهم كأبى حنيفة ومالك بن أنس والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة المجتهدين رضى الله عنهم أجمعين فهؤلاء أقوالهم تعرض على الكتاب والسنة ويحتج لها بهما لما هو معلوم من حديث الحاكم والثابت من طرق في الصحيح أن المجتهد يصيب ويخطىء فان أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده

والله يغفر له خطأه لكنه لايتابع عليه . فما وافقهما أو كان أشبه بهما فهو الصواب وما خالفهما فهو خطأ لا يجوز لمن تبينه واطلع عليه متابعة من ذهب اليه . وإذا قلد المقلد أحدهم حيث يجوز له التقليد كان جائزاً وليس اتباع أحدهم بعينه واجبا على جميع الامة كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . ولايحرم تقليدأحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم * وأما ان اضاف أحد الى الشريعة ماليس منها من أحاديث مفتراة أو تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل *

ولايخفك هنا بقاعدة عظيمة . وفائدة جسيمة . تتعرف فيها حال كل قول يرد عليك ينسب الى الشرع وهي انه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون — والثاني إما أن يكون موافقا لشرع من قبله وإما ان لا يكون . وهذا الثالث إن كان لا عن شبهة دليل بل عن محض اتباع الهوى فهو المبدل كالاديان التى شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[١] وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون)[٢] وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)[٣] ـ وإن كان عن شبهة دليل فهو المؤول وفى هذا كان الصحابة رضى الله اذا قال أحدهم برأيه شيئا مما لم يجد فيه نص كتاب أو سنة عن النبي واضطر لمعرفة الحكم الذى يرضاه الله ورسوله يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبى بكر وعمر * وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب (١) والكليتين فان اتخاذ السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات

١ ـ الشورى ٢١
٢ ـ الأنعام ١٢١
٣ ـ الأنعام ١١٢

(١) الثرب وزان فلس شحم رقيق على الكرش والامعاء اه مصباح

قد كان شرعا ثم نسخ . فالاقسام ثلاثة اجمالا وأربعة تفصيلا فاحتفظ كل الاحتفاظ على هذه القاعدة تنفعك *

ثم دين الانبياء كلهم الاسلام كما قدأخبر الله بذلك عنهم فى غير موضع من القرآن ـ وكما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «انا معشر الانبياء ديننا واحد» . وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هى من دين الاسلام اذ ذاك فاستقبال صخرة بيت المقدس مثلا كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ *

وبالجملة فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)[١] عام في كل زمان ومكان * فنوح وابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له ظاهراً وباطنا وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك عنهم القرآن فدينهم كلهم واحد وان تنوعت شرائعهم كما قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[٢] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)[٣]

والله تبارك وتعالى قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة * ففي مسند احمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وفي البخاري ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الايمان والاسلام والاحسان فمن لم يقم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع ان يحصل له حقائق الايمان الباطنة ـ ومن حصلت

١ ـ آل عمران ٨٥
٢ ـ المائدة ٤٨
٣ ـ الجاثية ١٨-١٩

له حقائق الايمان الباطنة فلابد ان يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة فان القلب ملك والاعضاء جنوده فمتى استقام الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت . كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب » فاذا كان في القلب حقائق الايمان الباطنة فقد صلح فلا بد أن يكون سائر جسده صالحاً فان لم يكن جسده صالحا امتنع ان يكون في باطنه حقائق الايمان كاخلاص الدين لله وحبه وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه *

وأصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله . وجماع ذلك الايمان بخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله *

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به فان هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب الأكبر في الآخرة فان الله تعالى أخبر في كتابه انه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[١] وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا)[٢] وقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٣] وقال تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)[٤]

١ ـ الاسراء ١٥
٢ ـ القصص ٥٩
٣ ـ النساء ١٦٣ـ١٦٥
٤ ـ الزمر ٥٤ـ٥٩

وقال تعالى في أهل النار (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[١] وقال تعالى فيهم (كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا فى ضلال كبير)[٢] فاخبر انه كلما القى في النار فوج وسئلوا عن النذير اقروا بأنه جاءهم فكذبوه فدل ذلك على انه لا يلقى فيها الا من كذب النذير وقال تعالى في خطابه لابليس (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)[٣] فاخبر انه يملؤها بابليس ومن تبعه فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم انه لايدخل النار الا من تبع الشيطان وهذا يدل على انه لايدخلها من لاذنب له فان من لايتبع الشيطان لايكون مذنباً وماتقدم يدل على انه لايدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل ، وهذا المعنى في القرآن كثير ،

واذا أحطت علماً بهذه المقدمات التى مهدناها لك علمت علم اليقين أن الاعتياض عن القانون السماوي الذى جاء به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله بالقانون الارضى الانسانى الشيطانى الذى لايخلو مهما توافقت عليه الآراء . وتطابقت عليه الأملاء . من غلط وخطاء . لاسيما اذا كان ممن لاعلم عندهم بمعانى كتاب الله . وسنة نبيه الداعي على بصيرة الى الله . بل غاية احدهم أن يكون قد تعلم بعض العلوم الآلية . وفضول العلوم التى قد لايحتاج اليها في الدين بالكلية . هو من أعظم أسباب المقت والحرمان . واكبر موجبات العقوبة والخذلان . كيف لا وهو اتخاذ لدين الله هزواً ولهواً ولعباً وتبديل لنعمة الله بالنقمة والشكران بالكفران وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ولرسوله . وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض عنه — الى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التى لاتدخل تحت الحساب . ولاتضبطها أقلام الكتاب ، قال الله تعالى (وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا)[٤] وقال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار . جهنم يصلونها وبئس القرار)[٥]

١ ـ الزخرف ٧٦
٢ ـ الملك ٨ـ٩
٣ ـ ص ٨٥
٤ ـ الأنعام ٧٠
٥ ـ ابراهيم ٢٨ـ٢٩

وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)[١] وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)[٢] وقال تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)[٣] وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين)[٤] وقال تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم)[٥] وقال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[٦] فاذا كان هذا حكم الباغين المحاربين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عرباً وعجماً مؤمنهم وكافرهم الى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة رسوله وحاربهما وحادهما وشاقهما بمخالفة أمرهما أليس هو أولى بذلك . بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله الا العالمون . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)[٧] وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون)[٨] فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وأضله به انما كان بسبب اعراضه وعشوه عن ذلك الذي أنزله على رسوله فكان عقوبة هذا الاعراض أن قيض له شيطانا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى اذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاين هلاكه وافلاسه قال (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)[٩] وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلابد أن يقول هذا يوم القيامة *

(فان قيل) فهل لهذا عذر في ضلاله اذا كان يحسب أنه على هدى كما قال تعالى (ويحسبون أنهم مهتدون)[١٠] - (قيل) لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الاعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو ظن

١ - الشورى ٢١
٢ - النساء ١١٥
٣ - الأنفال ١٣
٤ - المجادلة ٢٠
٥ - التوبة ٦٣
٦ - المائدة ٣٣
٧ - الأنفال ٢٧
٨ - الزخرف ٣٦-٣٧
٩ - الزخرف ٣٨
١٠ - الأعراف ٣٠

انه مهتدفانه مفرط باعراضه عن اتباع داعي الهدى فاذا ضل أتي من تفريطه واعراضه وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول اليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن انما يتناول الاول المعرض. وأما الثاني فان الله لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه كما قدمنا *

وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا)[١] وقال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)[٢] وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكري) أي لم يتبع الذكر الذي أنزلته وهو القرآن وليس المعنى ومن أعرض عن أن يذكرني بل هذا لازم المعنى فالذكر هنا مضاف اضافة الاسماء لا اضافة المصادر الى معمولاتها (فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[٣] فأخبر سبحانه أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى فان له معيشة ضنكا عكس من حفظ عهده فانه قد تكفل له أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[٤] *

وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[٥] وقال تعالى(ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)[٦] وقال تعالى(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[٧] وقال تعالى(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)[٨] وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)[٩] وقال تعالى(ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)[١٠]

١ ـ طه ٩٩ـ١٠١
٢ ـ الجن ١٦ـ١٧
٣ ـ طه ١٢٤ـ١٢٦
٤ ـ النحل ٩٧
٥ ـ الطلاق ١
٦ ـ البقرة ٢٢٩
٧ ـ المائدة ٤٤
٨ ـ المائدة٤٥
٩ ـ المائدة ٤٧
١٠ ـ النساء ٦٠ـ٦١

قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله *

قال المحقق ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين بعد هذه العبارة فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله الى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الامة وهم الصحابة ومن تبعهم ولاقصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً اه ولقد صدق والله فيما نطق هذا حال جلنا ان لم يكن كلنا فلاحول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى من فساد قلوبنا ونياتنا وأحوالنا وأخلاقنا فقد بلغ الفساد بنا مبلغا لا يمكن ان ينهض بنا ناهض لشيء من معالي الامور الا من ساعدته يد التوفيق وما أقلهم بل ما أعزهم من الكبريت الاحمر *

ثم لو لم يكن في القرآن المجيد في الزجر عن اتباع القوانين البشرية غير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اللبيب الذي أوتي رشده وأهمه صلاح قلبه عن تطلب غيرها فكيف والقرآن كله يدعو الى تحكيم ما أنزل الله . وعدم تحكيم ما عداه . اما تصريحا وأما تلويحا وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم تقوم الساعة . وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتي أمر الله » ـــ وانه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . فعلمنا بذلك ان من الممتنع بالسمع ان يتمالأ العالم كلهم شرقا وغربا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على اتباع القوانين البشرية وعدم المبالاة بالقانون الالهي بل لا بد ان يكون فيهم ولو واحد ينكر على هؤلاء الكل إما بلسانه ان أمكنه ذلك ولم يفتكوا

به وإما بقلبه ان لم يمكنه وظن الفتك به كما قد كان أيام الاستبداد *

والغرض بيان أن طائفة الحق لا تزال تقاتل وتجاهد على تحكيم ما أنزل الله باللسان والبيان . والبدن والسنان . والمال وكل ممكن لنوع الانسان وان به يتم نظام العدل والملك والدين والدنيا وبه يستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل لهم الراحة والأمن والحرية التامة . والسياسة العامة لجميع الملل والرعايا المختلفة الاصناف والالسنة والامزجة . ومن شك في هذا فلينظر الفرق بين حال الاسلام في هذه القرون المتأخرة التي عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله في القرون المتقدمة التي ما كانت على شيء أحفظ منها على أحكام الشريعة وارعى لها يجد الفرق كما بين الثرى والثريا وكما بين الارض والسماء وكما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

ألا ترى ان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فتحوا ما فتحوا من الاقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان والقرآن . في مدة نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعددهم . وضيق ذات يدهم . ونحن مع كثرة عددنا . ووفرة عددنا . وهائل ثروتنا . وطائل قوتنا . لا نزداد الا ضعفاً وتقهقراً الى وراء . وذلا وحقارة في عيون الاعداء . وذلك لان من لا ينصر دين الله لا ينصره قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[1] فرتب نصره على نصره باقامة طاعته وطاعة رسوله فأفهم أنه لا ينصر من لا ينصره وهو كذلك كما جرت به عادته وسنته في عباده. والمفهوم المخالف وان كان في حجيته خلاف مبين في أصول الفقه ليس هذا موضع بسطه فهذا المفهوم لا خلاف في صحته واعتماده لاعتضاده بدلائل أخرى وشهادة الواقع له * وهذا كما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)[2] فأخبر تعالى بانه ينصر من ينصر دينه ــ ثم بين تعالى الذين ينصرون دينه بقوله (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)[3] فمن لم يكن موصوفا بهذه الصفات الأربع ممن مكنه الله تعالى

١ ـ محمد ٧
٢ ـ الحج ٤٠
٣ ـ الحج ٤١

في الارض فلا حظ له في نصرة الله تعالى — وقال تعالى لأهل بدر (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)[١] فعلق امداده لهم على شيئين هما عمادا النصر. الصبر وتقوى الله عزوجل ـ وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)[٢] فوعد ووعده حق بنصره الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة بالحجة والظفر والغلبة على مخالفيهم وأعاديهم.ـ وهذا كقوله الآخر (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون)[٣] فوعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة)[٤]— وقال تعالى (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) فأخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب وجعل الغلبة له ولرسله وأتباعهم ـ وقال تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور)[٦] فخص المؤمنين بدفاعه عنهم ونصره لهم وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم . فاذا كان قد كتبها له ولرسله وأتباعهم وأوليائهم وخصهم بالدفاع عنهم وعلل ذلك بأنه لا يحب الخوان والكفراء كان من المحال ان تكون الغلبة لاعدائه واعداء رسله وهم الخونة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله عليهم ويغمطونها *

ولا ينافي ذلك انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل في بعض المغازى فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها* وعن الحسن رضي الله عنه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة أمرهم واساسهم والغالب منه هو الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة لرفع درجاتهم . وزيادة اجورهم ومثوباتهم والحكم للغالب *

وبالجملة فقد ضمن الله تبارك وتعالى لكل من نصر دينه المبين . وأطاع رسوله الامين . ان ينصره في الدنيا والآخرة . فمن خذل دينه وخالف رسوله

١ ـ آل عمران ١٢٥
٢ ـ غافر ٥١
٣ ـ الصافات ١٧١ـ١٧٣
٤ ـ البقرة ٢١٢
٥ ـ المجادلة ٢١
٦ ـ الحج ٣٨

استحق أكبر العذاب وأشد النكال في الدارين ولم يغن عنه لا مال ولا أحد من الله فتيلا . ـ ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبتوا فى مكانهم عند الجبل ولا يزايلوه سواء كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعاً فلما فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة ونفر ينهبون أعقابهم كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صباً حتى هزموا وقتل من قتل . وذلك كله بشؤم مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له . وذلك معنى قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)[1] ـ وألا ترى ان أهل المدينة كانوا في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل أهل الدنيا والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تغيروا بعض التغير فقتل عثمان . وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم ـ ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصايب ما لم يجر عليهم قبل ذلك *

والذى فعل بهم ذلك وان كان ظالما متعدياً فليس هو أظلم ممن فعل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ما فعل وقد قال الله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)[2] وكذلك الشام كان أهله في أول الاسلام في سعادة الدنيا والدين ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذى كان عليه وجعلوه كنيسة ثم صلح دينهم فأعزهم

١ ـ آل عمران ١٥٢
٢ ـ آل عمران ١٥٦

الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم - وكذلك أهل الاندلس كانوا رقودا فى ظلال الأمن وخفض العيش والدعة فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فاشتغلوا بمعاصى الله تعالى وا كبوا على لهوهم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم مالا يحصره قلم كاتب . ولا يحصيه حساب حاسب. بتسليط عدوهم عليهم حتى مزقهم الله كل ممزق وفرقهم أيادى سبأ وارتد بعضهم على عقبه ركونا الى الدنيا الفانية والحظوظ العاجلة .

ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه · وما صاروا اليه . وفى التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر * دعك من هذا ولا أطول عليك المسافة ففى كتاب ربنا ما فيه غنية عن كل شىء يهم لمن تدبره وعقله وصرف فيه شطراً من عمره كما صرف في تلك العلوم التى لا طائل تحتها ولا محصل لها ولا تقوم على ساق * وسيرد عليك ان شاء الله . في هذا المعنى الذى نحن حوله جملة آيات متعددة فانتظر قليلا *

والغرض المقصود لنا الآن هنا بيان أن الصلاح والنجاح والفوز والفلاح وسعادة الدين والدنيا معاً منوط ومربوط بنصرة دين الله لا سبيل له غير ذلك أبداً ولذلك قال سيدنا مالك بن انس امام دار الهجرة رضى الله عنه لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها أو كما قال . والامر والله كما قال . وشاهد العيان . يغنى من له عينان . عن البيان (هذا) *

ثم لنذكر بعض الآيات الصريحة لمن له نظر . وفهم وتدبر · فى التحذير عن اتباع غير ما أنزل الله فنقول قال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل)[١] فجعل ما خالف حكم الكتاب ضلالة - وقال تعالى: (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون)[٢] - وقال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)[٣] - وقال تعالى (أفغير الله ابتغى حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)[٤] - وقال تعالى (أفمن

١ - النساء ٥١
٢ - آل عمران ٢٣
٣ - النساء ٥١
٤ - الأنعام ١١٤

يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب)[١] ـ وقال تعالى(ويرى الذين اوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)[٢] فجعل الله تعالى في الآيتين المنزل هو الحق واذا كان هو الحق لاغير كان ما عداه هو الباطل بلا مرية ـ وقال تعالى(فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدي القوم الظالمين)[٣] فقسم الله تعالى الامر الى شيئين لاثالث لهما. إما الاستجابة لله والرسول وماجاء به وإما اتباع الهوى. فكل مالم يأت به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الهوى ـ وقال تعالى(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[٤] فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس الى الحق وهو الوحي الذى أنزله على رسوله والى الهوى وهو ماخالفه ـ وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)[٥] قال الشافعي فى الام : وأهواءهم يحتمل سبيلهم في أحكامهم ويحتمل مايهوون. وأيهما كان فقد نهى عنه وأمر أن يحكم بينهم بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم اه ثم قال سبحانه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[٦] فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكم بين أهل الكتاب بما أنزله الله عليه ـ ونهاه عن اتباع أهوائهم لما فيه من مخالفة المنزل اليه ـ وحذره أن يفتنوه فيحولوا بينه وبين بعض ماأنزله اليه وأعلمه أنهم ان تولوا عن الحكم الذى أنزله الله اليه فانما يريد أن يصيبهم ويبتليهم بسبب بعض ذنوبهم. فعلم منه أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى حكم الاهواء سبب لاصابة الله بالمصايب . ـ وهذا كقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون)[٧] ـ وقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)[٨] وقوله

١ ـ الرعد ٩
٢ ـ سبأ ٦
٣ ـ القصص ٥٠
٤ ـ صٓ ٢٦
٥ ـ المائدة ٤٨
٦ ـ المائدة ٤٩ـ٥٠
٧ ـ الروم ٤١
٨ ـ الشورى ٣٠

تعالى (فأصابهم سيآت ما كسبوا . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا)[١] وقوله تعالى (وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)[٢] وقوله تعالى (فكلا أخذنا بذنبه فنهم من أرسلنا عليه حاصبا . ومنهم من أخذته الصيحة . ومنهم من خسفنا به الارض . ومنهم من اغرقنا . وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[٣] وقوله تعالى (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)[٤] وقوله تعالى (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)[٥] وقوله تعالى (مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)[٦] وقوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون)[٧] وقوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)[٨]

وأخرج الامام احمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم الى بعض فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك ياجبير ما أهون الخلق على الله عز وجل اذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى * وأخرج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة (١) واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » : ورواه أبو داود باسناد حسن ـ وفي سنن ابن ماجه فى باب العقوبات من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال « يا معشر

١ ـ الزمر ٥١
٢ ـ الزمر ٤٨
٣ ـ العنكبوت ٤٠
٤ ـ الأنفال ٥٤
٥ ـ النساء ١٥٣
٦ ـ نوح ٢٥
٧ ـ القصص ٥٨ـ٥٩
٨ ـ النحل ١١٢ـ١١٣

(١) هي ان يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه نقداً باقل من الثمن الذي باعها به اهـ

المهاجرين خمس اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن . لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الاسلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض مافي أيديهم . ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » ـ وفي شرح الموطأ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر .ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشافيهم الموت .ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين. ولامنعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » (قال) رواه ابن ماجه والطبراني وله شاهد (١) عن ابن عمر مرفوعا نحوه عند ابن اسحق اه

وفي نهج البلاغة من كلام سيدنا على كرم الله وجهه لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الافتح الله عليهم ما هو أضر منه ـ ومن كلام بعض السلف الصالح كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة ـ وفي المشهور على الالسنة الجاري مجرى المثل السائر قولهم لو استقمنا ما انتقمنا وقال القائل

بذا قضى الله بين الخلق مذ خلقوا إن المخاوف والاجرام في قرن

ولهذا المعنى الذى ألممنا الآن بساحل بحره العميق شواهد من القرآن والسنة وكلام السلف الصالح لا تحصى لو ذهبنا الى تتبعها واستقصائها لطال بنا الكلام *

والقصد هنا بيان أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله من أكبر الذنوب وانه سبب لانصباب المصايب . وتتابع النوائب فان الجزاء يكون من جنس العمل فمن تولى عن حكم الله وحكم رسوله تولى الله ورسوله عنه. ومن تولى الله ورسوله

(١) أقول لعله الذي نقلناه عن سنن ابن ماجه قبل اه مولفه

عنه فهيهات ان يفلح ويعز بل يتركه الله أذل وأحقر ما يكون قال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)[1] وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين)[2] وفى مسند احمد من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قلنا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت » فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه يوشك ان يتداعى عليكم من فرق الكفر وأمم الضلالة بعضهم بعضا ليقاتلوكم ويكسرون شوكتكم ويغلبوا على ماملكتموه من الديار والاموال كما تتداعى الفئة الآكلة بعضهم بعضا على قصعتهم التى يتناولونها من غير بأس ولامانع فيأكلونها عفوا صفوا فيستفرغون مافي صحفتكم من غير تعب ينالهم او ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم ـ ثم لما سألوه عن سبب ذلك هل هو من قلة عددهم أخبر بأنهم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل الذي هو ما يجيء فوق السيل مما يحتمله من البزورات والاوساخ لقلة نفعهم وغنائهم ودناءة أقدارهم. وخفة أحلامهم ـ ثم أخبر بان الله ينزع المهابة من قلوب عدوهم ويجعل في قلوبهم الوهن وبين لهم سببه بانه حبهم البقاء في الدنيا وكراهتهم الموت ـ يدعوهم ذلك الى اعطاء الدنية فى الدين واحتمال الذل عن العدو نسأل الله العافية فقد ابتلينا به وكنا نحن المعنيين بذلك *

﴿ حكاية لطيفة ﴾ ساقها الامام محمد بن قتيبة الدينورى في كتابه تأويل مختلف الحديث قال وحدثنى رجل من اصحاب الاخبار ان المنصور سمر ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصى الله عز وجل ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وأمنا من مكره تعالى فسلبهم الله تعالى الملك والعز ونقل عنهم النعمة

١ ـ آل عمران ١٦٠
٢ ـ المجادلة ٢٠

فقال له صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبيد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة ويسأله عن ذلك فأمر المنصور باحضاره وسأله عن القصة فقال يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لى فافترشته بها وأقمت ثلاثا فأتانى ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل على رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا فقال انى ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم أقبل علي فقال لى لم تشربون الخمور وهى محرمة عليكم في كتابكم . فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال فلم تطؤون الزرع بدوابكم . والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت يفعل ذلك جهالنا . قال فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت في الارض ثم قال ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله تعالى العز والبسكم الذل بذنوبكم ولله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم وانما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدي ففعلت ذلك اه وفي هذه الحكاية مقنع وكفاية لمن رزقه الله الهداية وجنبه طريق الغواية .وفيما رأيتم وسمعتم به مما جرى باولئك الظالمين المستبدين. الخاسرين الابعدين . أكبر عبرة لمن اعتبر . وتبصرة لمن تبصر قال الشاعر :

مامر يوم على حي ولا ابتكرا (١) * الا رأى عبرة فيه إن اعتبرا

---

(١) في القاموس بكر عليه واليه وفيه بكورا و بكر وابتكر وأبكر وباكره أتاه بكرة اه

ولنرجع الآن لذكر بقية الآيات التي نحن بصددها فنقول : وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)[١] فقسم سبحانه الامر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى اليه العمل بها وأمر الامة بها . وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون فأمر بالاول ونهى عن الثاني . وقال تعالى(المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)[٢]فأمر باتباع المنزل منه خاصة ونهى عن اتباع أولياء من دونه فدل على أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء . وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)[٣]فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بان طاعة الرسول تجب استقلالا من غير حاجة الى عرض ما أمر به على الكتاب بل اذا امر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فانه أوتي الكتاب ومثله معه * وقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٤]وقال تعالى(من يطع الرسول فقد أطاع الله)[٥]وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي رافع انه قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » —بخلاف أولى الامر فانهم اياً كانوا العلماء والامراء . أو العلماء فقط . أو الامراء فقط لاتجب طاعتهم الا تبعا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته— ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا طاعة المخلوق في معصية الخالق — وقال انما الطاعة فى المعروف . وهو ما وافق ما جاء به الرسول ولهذا لم يأمر بطاعة أولى الامر استقلالا

١ ـ الجاثية ١٨ـ١٩
٢ ـ الأعراف ١ـ٣
٣ ـ النساء ٥٩
٤ ـ الحشر ٧
٥ ـ النساء ٨٠

بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم انما يطاعون تبعا لطاعة الرسول . وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)[1] فأفاد ان آية محبة الله اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فمن لم تتحقق فيه هذه العلامة فهو ليس بمحب الله وهو كذلك فان دعوى المحبة مع المخالفة من الحماقات الظاهرة والا كاذيب التي لا تخفى على أحد . ولذلك يقول القائل وقد أجاد فيما أفاد *

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولايزيغ عنه * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده وأهله والناس اجمعين » * وفيهما « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله وان يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » . وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين)[2] فالواجب على كل أحد آمن بالله واليوم الآخر محبة الله ورسوله المحبة الصحيحة الصادقة التي تقتضى المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات

قال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبته تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال يحيى بن معاذ الرازى ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدود الله . فمن ادعى انه يحب الله ورسوله فيفترض عليه أن يبذل وسعه ويسعى جهده في إقامة حدود الله ونصرة دينه بالقول والفعل والمال وكل ممكن فان علامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوبات محبوبه ويبذل

١ ـ آل عمران ٣١
٢ ـ التوبة ٢٤

جهده وطاقته فيهاوالا فلو رأى محارم الله تنتهك وهو ساكت لايغار ولايغضب كالو تعدى على أدنى حقوقه فهو حينئذ كذاب كذاب لانصيب له من المحبة إلا مجرد الدعوى . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[١] أفادت الآية بطريق عكس النقيض الموافق المعلوم عند أرباب فن المنطق أن من لاأسوة له حسنة في رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ليس ممن يرجو الله واليوم الآخر . وكفى بهذا التهديد العظيم فى التحذير للعاقل

وقال تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)[٢] ولافرق فى الاستدلال بهذه الآية الكريمة على مانحن بصدده بين رجوع الضمير الى الله والى الرسول . وقال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمّل وعليكم ماحمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين)[٣] . وقال تعالى (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)[٤] فأقسم سبحانه بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ماشجر بينهم من الدقيق والجليل . ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه . ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً لحكمه فمابالك بمن حكم بغير ماأنزل الله فانه أولى بسلب الايمان عنه . وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)[٥] فأخبر سبحانه انه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله حيا او ميتا ومن تخير فقد عصى الله ورسوله . ومن عصاهما فقد ضل ضلالا مبينا

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم)[٦] روي عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها لاتقولوا

١ - الأحزاب ٢١
٢ - النور ٦٣
٣ - النور ٥٤
٤ - النساء ٦٥
٥ - الأحزاب ٣٦
٦ - الحجرات ١

خلاف الكتاب والسنة . وقال مجاهد لاتقدموا لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى الله على لسانه . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون)[١]

فلينظر فانه اذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عالمين على ماجاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لاعمالهم بلى وربك . فالله عز وجل لولا انه علم ان نظام العالم فى الدين والدنيا معاً لايقوم إلا بهذه الشريعة الجامعة المانعة العادلة تمام العدل لبعث رسولا ينسخ منها مالايوافق هذا الزمان بزعم المارقين كما قد كان يفعل قبل فلما جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين فلم يرسل بعده من رسول كان ذلك دليلا أي دليل على ان هذه الشريعة وافية كافية . كاملة شافية . كافلة بجميع المصالح ديناً ودنيا لانحتاج معها الى شىء من آراء الرجال وسياساتهم إلا فيما يكون استيضاحاً للحق الذي يرضاه الله ورسوله بعد معرفة مقاصد الشارع تمام المعرفة

ولذلك كان تقديم آراء الغير وعقولهم وأذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة المنابذة لسياسات الشريعة الحقة الصحيحة محبطاً للعمل ألبتة وربما كان ردة ومروقاً عن الامة الاسلامية والملة الحنيفية أعاذنا الله تعالى .. قال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)[٢] وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[٣] فليحذر السياسيون أن يسوسوا الناس بغير ما أنزل الله فانهم مع انه لايتم لهم أمر ولايستقيم لهم حال يخشى عليهم من الردة والمروق من الدين فيكونون ممن خسر الدنيا والآخرة .. وقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)[٤] فجعل من لوازم الايمان أن لايذهبوا مذهباً اذا كانوا

١ ـ الحجرات ٢
٢ ـ محمد ٩
٣ ـ محمد ٢٨
٤ ـ النور ٦٢

معه الا باستئذانه فما بالك بالذهاب في دين الله والحكم بين الناس فانه أولى أن يكون من لوازم الايمان ان لايذهبوا ذلك المذهب إلا بعد استئذانه بدلالة ماجاء به صلى الله عليه وآله وسلم على انه أذن فيه .. وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون)[١] ثم قال تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)[٢] فبين ان المؤمنين ليس لهم إلا السمع والطاعة لحكم الله ورسوله وانه ليس لهم الى المخالفة سبيل أبداً ..

وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[٣]. أخرج ابن ماجه في سننه عن الشعبي عن جابر بن عبدالله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية *وقال تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون)[٤]. فاذا كان قد أمرهم باتباع أحسن ما أنزل اليهم فيما يعترضهم فيه الأمران الوجوب والندب أو الندب والاباحة على ماقيل في التفسير وأنذرهم مفاجأتهم العذاب إن لم يفعلوا ذلك فما الشأن فيما سبيله القطع فيه بالافتراض والتحتيم قولا واحداً كالحكم بين الناس بما أنزل الله. وقال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)[٥]. وقال تعالى (وهذا كتاب مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون)[٦]. وقال تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين)[٧] فنبه على ان التولي عن حكم الله وحكم رسوله الى غيره كفر. وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً)[٨]. وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)[٩] وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها

١ ـ النور ٤٧ـ٤٨
٢ ـ النور ٥١
٣ ـ الأنعام ١٥٣
٤ ـ الزمر ٥٥
٥ ـ الأنعام ٥٠
٦ ـ الأنبياء ١٥٥
٧ ـ آل عمران ٣٢
٨ ـ النساء ٨٠
٩ ـ النساء ١٤

الانهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليما)[1] وقال تعالى (وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)[2] وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا)[3] وقال تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه)[4] وقال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها)[5] أي صد الناس وصرفهم عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)[6] وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)[7] فأمر بالائتمار والانتهاء ثم حذر عن المخالفة

(هذا) وكم من أمثال هذه الآيات الجليلة المحذرة عن مخالفة الكتاب والسنة وكفى بواحدة منها لمن أوتي رشده . ومن لا فلاتغنيه قراءة جميع الكتب الالهية عليه * ثم ليس العجب من قوم يدعون الاسلام يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . غلب عليهم هواهم . فأصمهم وأعماهم . حتى رفضوا العمل بقانون ربهم الذى انزله على نبيه وعملوا بقوانين اهل الكفر والصليب إقامة لرياساتهم وقضاء لشهواتهم . غفلة منهم عن اليوم الموعود الذى تجد فيه كل نفس ماعملت من خير أوشر محضراً بين يديها . وانما العجب العجاب ممن يتزيون بزى أهل القرآن . ويتسمون بأسماء اهل الايمان . يختلقون الافك والفشار . ولايخشون المسبة والعار . بلغوا من الجهل مبلغاً دونه جهل اليهود والنصارى فيزعمون ان الشريعة المحمدية مانعة لهم من ترقيهم . او معوقة عن مرامهم ومراميهم . فلاتصلح لاهل هذا الزمان . وانقطع حكمها ووقع في حيز خبر كان . فنسخوها بآرائهم الكاسدة . وأهوائهم الفاسدة . ومشتهيات اطباعهم الخبيثة العاطلة . ومقتضات أميالهم الخسيسة الباطلة . مسخهم الله تعالى ظاهراً كما قد مسخهم باطناً ليكونوا عبرة للغابرين ومثلة في الحاضرين . فهؤلاء المردة المارقون لادواء أنجع فيهم من تمكين الصوارم البواتر من رقابهم وقطع دابرهم حتى لايقوى حزبهم . ولايكثر جمعهم أبادهم الله ودمرهم وشتت شملهم ومزقهم كل ممزق *

١ - الفتح ١٧
٢ - التغابن ١٢
٣ - طه ٩٩-١٠١
٤ - الكهف ٥٧
٥ - الأنعام ١٥٧
٦ - الأنعام ١٥٧
٧ - الحشر ٧

وهؤلاء الاوغاد لم يقدروا الشريعة حق قدرها ولم يعلموا ان مبناها على الحكم ومصالح العباد . في المعاش والمعاد . وانها عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه . وظله في ارضه وهي نوره الذى به أبصر المبصرون . وهداه الذى به اهتدى المهتدون . وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل . وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل . فهى قرة العيون وحياة القلوب ولذة الارواح . فيها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها . وكل نقص في الوجود فسببه من اضاعتها . ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والارض أن تزولا . فاذا أراد الله تبارك وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع اليه مابقي من رسومها . فهى عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والعجب ايضا من قوم لايرون تمام الترقي إلا في التشبه بالكفار وعبدة الاصنام . لزعمهم انهم بلغوا من التمدن والترقي مبلغا لم يبلغه غيرهم من الانام فان هؤلاء أيضا قوم لاخلاق لهم قد قصروا نظرهم على النعيم الفاني العاجل . ونسوا النعيم المقيم الآجل . فهم أشبه بالانعام . بل هم أضل وان لبسوا ثياب الانام . دينهم وديدنهم تقليد أولئك والتزيي بزيهم والاحتذاء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم فلهم في اولئك الاسوة التامة لافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فهم ليسوا ممن يرجو الله واليوم الآخر . وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم الثابت من طرق في الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن » فانا لله وانا اليه راجعون

فاياكم إياكم عباد الله ومخالفة الشريعة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه قيد شبر فان المخالفة والله الذى لا إله غيره عين الهلاك والعمى والخسران المبين * واياكم اياكم أن تظنوا ان الكتاب والسنة اللذين هما الشريعة

لم يفيا بجميع أحكام الحوادث فان هذا خطأ جسيم وبهتان عظيم فقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[١] وقال تعالى (ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٢] وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[٣] وقال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)[٤] وقال تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شيء)[٥] وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ماالكتاب ولاالايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض)[٦] وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)[٧] وقال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتى هي أقوم)[٨] أى للحالة أوالملة أو للطريقة التى هى أقوم الحالات أو الملل أوالطرق وقال تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا)[٩] وقال تعالى (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)[١٠]

اذا تأمل المتأمل قوله (فصلناه على علم) وعرف عظم موقعه وبلاغته وعلم أن علوم العالمين أجمعين كلها تتلاشى وتضمحل في جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح ومايضر ويفسد لم يشك ان القرآن قد تكفل ببيان مافيه صلاح المعاش والمعاد ونظام الدين والدنيا معا على أكمل وجه وأبلغه حيث تولى تفصيله العليم الخبير الذى لايعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولافى الارض مما كان أو يكون وقال تعالى (قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور)[١١] وقال تعالى (ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما)[١٢] وقال

١ - المائدة ٣
٢ - يوسف ١١١
٣ - النحل ٨٩
٤ - العنكبوت ٥١
٥ - الأنعام ٣٨
٦ - الشورى ٥٢-٥٣
٧ - المائدة ١٥-١٦
٨ - الاسراء ٩
٩ - الأنعام ١١٤
١٠ - الأعراف ٥٢
١١ - الطلاق ١٠-١١
١٢ - النساء ١٧٤-١٧٥

تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[١] وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٢] وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب)[٣] وقال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)[٤] فبين سبحانه للعباد جميع ما يتقونه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[٥]

قال أهل التفسير عموما الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد اليه ذاته فى حياته والرد الى سنته وهى أقواله وأفعاله وتقريراته بعد وفاته . فأمر الله بالرد اليه والى الرسول ليس الا لأن كتاب الله ببيان الرسول فاصل للنزاع وقاطع للخلاف ولا بد . هذا فيما تنازع فيه المؤمنون . فما بالك بما اتفقوا عليه فالرد فيه أوجب وأوجب وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)[٦] وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)[٧] فأنتم ترون انه سبحانه أخبر فى هذه الآيات أنه أنزل الكتاب لبيان حكم ما يختلف فيه الناس وجعله هدى وجعله رحمة وجعله شفاء للقلوب والصدور من الظلمات وجعله مخرجا من الظلمات الى النور وجعله نوراً وجعل اليه التنازع والتحاكم الى غير ذلك من أوصافه التى لا تحصى فكيف يكون بهذه الاوصاف التى وصفه الله سبحانه بها وبالناس حاجة الى قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم فما دام بالناس حاجة ما فى آية جزئية إلى أى قانون ورأى لم يكن بتلك الأوصاف والله أصدق القائلين .فتبين بذلك أنه ما غادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا وما يتعلق بصلاح المعاش والمعاد الا وتكفل بها واحدة واحدة عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله قال الشرف البوصيرى فى آيات القرآن

١ - البقرة ٢١٣
٢ - النحل ٦٤
٣ - الشورى ١٠
٤ - التوبة ١١٥
٥ - النساء ٥٩
٦ - يونس ٥٧
٧ - الاسراء ٨٢

لها معان كموج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

ولكن الافهام والعقول متفاوتة فمن يصادف فهمه المحز ويطبق المفصل فهذا هو الذى له أجران — ومن يخطئه ولا يصيبه بعد بذل الوسع وهذا هو الذي له أجر واحد كما ثبت ذلك في الصحيح — ومن فاهم ومستنبط من آية حكما ومن فاهم ومستنبط حكمين ومن فاهم ومستنبط أكثر ففضل الله تعالى ليس بمحظور عن أحد يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطي »*

وبالجملة فالقرآن متكفل بنظام المعاد والمعاش في التفرق والاجتماع على أكمل وجه وأجمله لمن كحل بنور التوفيق بصيرته . وطهر بماء الايمان سريرته . ووجه اليه همته . وصرف فيه مدته * قال الامام الشافعي في سورة العصر لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم — وفي لفظ عنه لو لم ينزل الله على خلقه حجة الا هذه السورة لكفتهم . وقد بين معناه وأوضح مغزاه الامام ابن القيم في مفتاح دار السعادة بأبلغ وجه وأعلاه فقال ما نصه : وبيان ذلك أن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق . الثانية عمله به الثالثة تعليمه من لا يحسنه . الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فذكر تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه فى هذه السورة بالعصر ان كل أحد فى خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى. وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة. وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره . وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية . فصلاح القوة العلمية بالايمان

وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره . والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ماسواه شافيا من كل داء هاديا الى كل خير اه

واخرج الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل . من تركه تجبرا (وفي رواية من جبار) قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهوحبل الله المتين . ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا تمله الاتقياء . من علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم » * وفي مراسيل أبى داود السجستانى عن يحيي بن جعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بكتاب في كتف قال « كفى بقوم ضلالة ان يبتغوا كتابا غير كتابهم الى نبي غير نبيهم فأنزل الله عز وجل أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » * وعن أبي قلابة ان عمر مر بقوم من اليهود فسمعهم يذكرون دعاء من التوراة فانتسخه ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرؤه ووجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير فقال رجل يا ابن الخطاب ألا ترى ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عمر الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل بعثنى خاتما وأعطيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لى الحديث اختصارا فلا يلهينكم المتهوكون » فقلت لابي قلابة ما المتهوكون قال المتحيرون اه *

وأخرج البخارى في كتاب الاعتصام في باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء » عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى انزل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث(١) تقرؤنه محضا لم يشب(٢) وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . ألا ينها كم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي انزل عليكم *

وأخرج البخارى فيه ومسلم فى الوصايا عنه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال وفيهم عمر بن الخطاب قال «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله تعالى واختلف أهل البيت واختصموا فنهم من يقول قربوا يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ماقال عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني * قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم *

فتأمل هذه الاحاديث وأعطها حقها من التأمل الصادق تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يحوجنا معشر أهل القرآن الى كتاب آخر من الكتب السماوية بل اشتمل كتابنا على جميع مافيها من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لاتوجد فيها فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها يقرر مافيها من الحق ويبطل ماحرف منها وينسخ ما نسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذى نسخ منها *

وأما قول ابن عباس رضى الله عنهما ان الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم فقد قال المتكلمون في شرح هذا الحديث ان عمر رضى الله عنه كان أفقه من ابن عباس وأدق نظراً لاكتفائه بالقرآن وعلمه أن الله تعالى أكمل دينه بقوله

(١) أي أقرب نزولا اليكم من عند الله (٢) أى لم يخلط به غيره اهم

تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء)[١] وقوله (اليوم اكملت لكم دينكم)[٢] وأمنه الضلال على الامة . ـــ ولا يقال ان عمر رضى الله عنه لم يرتض أمره صلى الله عليه وسلم بكتابة الكتاب فخالفه وعصاه لانه رضى الله عنه فهم أن هذا الكتاب الذى أراد ان يكتبه لا يخرج عن كتاب الله لعلمه أنه معصوم في تبليغه عن ربه وتثبيت الله له لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى)[٣] وعلمه أنه لم يترك بيان شيء مما أنزله اليه ربه فخرج ذلك الامر منه في حال اشتداد الوجع به صلى الله عليه وسلم مخرج كلام النصوح الحريص على هداية شخص فهو لا يزال ينصحه بالعبارات المختلفة والاساليب المتعددة حتى يرسخ في فؤاده ما يريده منه فلذلك رأى عدم التثقيل عليه صلى الله عليه وسلم في كتابة ذلك الكتاب مع الاستغناء عنه بالقرآن فافهم هذا المعنى فلعله أحسن شيء يندفع به الاعتراض على سيدنا عمر فيما صورته صورة المخالفة *

وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دلالة على حسن فهم عمر وتيقظه لمراده صلى الله عليه وسلم الذى هو الاخذ بكتاب الله بعده حتى لا يضلوا والا فلو كان مراده صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم ما لا يستغنون عنه مما لم يبينه لهم من قبل لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)[٤] كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه كما أمرهم في تلك الحال بثلاث كما أخرجه مسلم عن سعيد بن جبير أمرهم باخراج المشركين من جزيرة العرب واجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة أو ذكرها ونسيها سعيد الراوي قالوا الثالثة هى تجهيز جيش اسامة رضى الله عنه ويحتمل أنها قوله « لا تتخذوا قبرى وثنا يعبد » فانظر فانه لم يرجعه تنازعهم واختلافهم ولغطهم عنده عن بيان هذه الثلاث التى ما كان بينها لهم قبل فلو كان مضمون الكتاب الذى أراد أن يكتبه لهم مما لم يسبق بيانه ما كان ليسكت عن بيانه بحال فرضى الله عن عمر ما أدق نظره وألطف فهمه وأصوب فكره *

١ ـ الأنعام ٣٨
٢ ـ المائدة ٣
٣ ـ النجم ٣-٤
٤ ـ المائدة ٦٧

والقصد هنا ان الله لم يحوجنا بمنه وكرمه الى شيء آخر من الكتب السالفة كما كان أحوج أهل الانجيل لفهم التوراة واتباعها لكون المسيح عليه السلام كان متبعاً في الاكثر لشريعة التوراة : ولذا قال (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم)[١] فكيف يحوجنا الى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم حاشا لله ومعاذ الله * ومن ظن ذلك فان كان جاهلا بين له وفهم والا فهو كافر حلال الدم والمال في جميع مذاهب علماء المسلمين قولا واحدا فان من ظن ان هذه الشريعة الكاملة التى ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج الى سياسة خارجة عنها تكملها فهو كمن ظن أن بالناس حاجة الى رسول آخر غير رسولهم الذى يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث — وكذلك من ظن أن شيئاً من أحكام الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة بخلاف السياسة والمصلحة التى يقتضيها نظام الدنيا فهو كافر قطعا . ولا يظن ذلك الا من بلغ به الجهل بمرتبة الشريعة الغراء وأحكامها الحقة النقية البيضاء اى أسفل سافلين * واما فرد ظن ذلك أو تخالج الشك في صدره في حكم من أحكامها فليعرض ذلك على أهل العلم بالكتاب والسنة حقيقة دون أهل الفلسفة وفضول العلوم حتى تتبين له حقيقة الحال . وتنقشع عن سماء قلبه سحائب الاوهام والضلال *

قال الحافظ ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة مانصه: وتأمل حكمته تبارك وتعالى فى ارسال الرسل في الامم واحدا بعد واحد كلما مات واحد خلفه آخر لحاجتها الى تتابع الرسل والانبياء لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة الى سيدنا محمد بن عبدالله رسول الله ونبيه أرسله الى أكمل الامم عقولا ومعارف وأصحها أذهانا وأغزرها علوما وبعثه بأكمل شريعة ظهرت في الارض منذ قامت الدنيا الى حين مبعثه فأغنى الله الامة بكمال رسولها وكمال شريعته وكمال عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتى بعده أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته ووكلهم بها حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم فلم يحتاجوا معه الى رسول آخر ولا نبي ولا محدث

١ ـ آل عمران ٥٠

« أى ملهم » ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « انه قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر » فجزم بوجود المحدثين فى الامم وعلق وجودهم فى أمته بحرف الشرط وليس هذا بنقصان في الامة عمن قبلهم بل هذا من كمال أمته على من قبلها فانها لكمالها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج الى محدث بل ان وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لانها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو الهام أو تحديث : وأما من قبلها فللحاجة الى ذلك جعل فيهم المحدثون اه *

واذا ثبت أن الله تعالى قد أغنانا أهل الايمان والقرآن . بكتابه وسنة نبيه عن جميع الشرائع وقوانين أهل الافك والبهتان . فما وافقها فهو العدل كما قال تعالى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين)[١] قال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)[٢] فأمره ان يحكم بينهم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ولذلك قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[٣]. وما خالفها فهو عين الظلم والبغى والعدوان وإن ظن انه عدل ومصلحة قال الله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون)[٤] وقال تعالى (تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[٥] وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون)[٦] *

ولله در البوصيرى حيث قال في آيات القرآن *

وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

ثم الشرع الذي أنزل الله ويجب على حكام المسلمين العمل به كما انه عدل كله رحمة كله ومصلحة كله وحكمة كله فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشرع وان أدخلت فيه بشبهة * فليس في الشرع ظلم أو قسوة أو عبث أصلا بل

١ - المائدة ٤٢
٢ - المائدة ٤٨
٣ - الحديد ٢٥
٤ - البقرة ٢٢٩
٥ - الطلاق ١
٦ - المائدة ٤٥

حكم الله أحسن الاحكام كما قال تعالى (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)[١] فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل وكل من حكم بغيره فقد ظلم : ومن لم يعتقد وجوب الحكم بما انزل الله على رسوله واستحل ان يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فانه لا عبرة بمايراه عدلا من غير ان يكون موافقا لما انزل الله إذ مامن أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل لكن قد يكون العدل في دينها مارآه اكابرهم بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم الجارية بينهم التي لم ينزلها الله كسوالف البادية وكاوامر المطاعين فيهم ويرون ان هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر . فهؤلاء اذا عرفوا انه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار والا كانوا جهالا ضلالا يعلمون *

والحاصل ان الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد ولكل احد : والحكم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ومن اعتقد ان يحكم بين الناس بقول اي احد كان ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر وظالم لنفسه ولغيره من المحكوم له وعليه ولله حسن الختام *

وجملة القول أنا معشر أهل الايمان والقرآن لا يجوز لنا أن نتبع قانونا سوى قانون ربنا تبارك وتعالى ولا نرضاه ولا نقبله بل هو رد على ما جاء به محكم الله ورسوله *

هذا ما وجب علينا كتابته شرعا بحكم وجوب أداء الامانة التي ائتمننا الله عليها معشر أهل العلم وما علينا إلا البلاغ . ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب * وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً آمين والحمد لله رب العالمين *

(تمت الرسالة)

١ ـ المائدة ٥٠

رسالة

في اثبات الاستواء والفوقية

— ومسألة —

الحرف والصوت في القرآن المجيد

وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية

للشيخ العالم العلامة أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني
والد امام الحرمين توفي سنة ٤٣٨ هـ(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

الحمد لله الذى كان . ولا مكان . ولا انس . ولا جان . ولا طائر . ولا حيوان . المنفرد بوحدانيته في قدم ازليته والدايم في فردانيته في قدس صمدانيته ٠

---

(١) اقول ترجمه العلامة تاج الدين السبكى في طبقاته وأختصر منها مايهم القراء فأقول هو الشيخ ابو محمد الجويني والد امام الحرمين أوحد زمانه علماً وزهداً وتقشفاً زائدا وتحريا في العبادات كان يلقب بركن الاسلام له المعرفة التامة بالفقه والاصول والنحو والتفسير والادب وكان لفرط الديانة لايجري بين يديه الا الجد والكلام اما في علم أو زهد وتحريض على التحصيل : قال الامام القشيري كان المتأخرون في عصره والمحققون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال والفضل والخصال الحميدة انه لو جاز ان يبعث الله نبياً في عصره لما كان الا هو من حسن طريقته وزهده وكمال فضله : وقال شيخ الاسلام الصابوني في حقه لو كان الجويني من بني اسرائيل لنقل الينا شمائله ولافتخروا به : وقد شرع في كتاب سماه المحيط عزم فيه على عدم التقيد بالمذهب وان يقف على مورد الاحاديث لا يتعداها ويتجنب جانب العصبية للمذاهب : وقد صنف تفسيراً كبيرا يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية : وهذه النسخة وجدت في رواق الشام بدون تاريخ نسخها

ليس له سمي ولا وزير. ولا شبيه ولا نظير. المتفرد بالخلق والتصوير. المتصرف بالمشيئة والتقدير. (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[١] له الرفعة والعلاء. والحمد والثناء والعلو والاستواء. لاتحصره الاجسام. ولا تصوره الاوهام ولاتقله الحوادث ولا الاجرام ولا تحيط به العقول ولا الافهام. له الاسماء الحسنى والشرف الاتم الاسنى والدوام الذى لا يبيد ولا يفنى. نصفه بما وصف به نفسه من الصفات التى توجب عظمته وقدسه. مما أنزله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه. ونؤمن بأنه الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير العليم القدير الرحمن الرحيم الملك القدوس العظيم لطيف خبير قريب مجيب متكلم شاء مريد فعال لما يريد يقبض ويبسط ويرضى ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والامتنان لم يزل كذلك ولا يزال. استوى على عرشه فبان من خلقه لايخفى عليه منهم خافية. علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ وهو في ذاته وصفاته لايشبهه شيء من مخلوقاته ولايمثل بشيء من جوارح مبتدعاته. هي صفات لائقة بجلاله وعظمته لاتتخيل كيفيتها الظنون ولا تراها في الدنيا العيون بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها وننفى عنها تأويل المتأولين وتعطيل الجاحدين وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته الى اله ليست له هذه الصفات فانما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك باله فكفرانه لاغفرانه.

ونشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله اصطفاه لرسالته واختاره لبريته وأنزل عليه كتابه المبين الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد

وبعد فهذه نصيحة كتبتها الى اخواني في الله أهل الصدق والصفاء والاخلاص الوفاء لماتعين علي من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل

[١] ـ الشورى ١١

فان المرء لايكمل ايمانه حتى يحب لاخيه مايحبه لنفسه وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وعن تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «الدين النصيحة ثلاثا قال لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» أعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده ووفقهم لطاعته ومزيده انى كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل مسئلة الصفات ومسئلة الفوقية ومسئلة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيراً في الاقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو امرارها والوقوف فيها أو اثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات وكذلك في اثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزل الامر ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم

وممن ذهب الى هذه الاقوال وبعضها قوم لهم فى صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لاني على مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه عرفت فرائض دينى وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم انى مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها واجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره

وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها وأعلم بالاضطرار انه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكى والبليد والاعرابي والجافي ثم لا اجد شيئاً يعقب تلك النصوص التى كان يصف ربه بها لا نصاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الامر للنزول وغير ذلك ولم اجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه فى صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات معانى اخر باطنة غير مايظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة (١) ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول (الرحمن على العرش استوى)[١] (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش)[٢] (يخافون ربهم من فوقهم)[٣] (اليه يصعد الكلم الطيب)[٤] (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم أن يرسل عليكم حاصبا)[٥] (قل نزله روح القدس من ربك)[٦] (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذبا)[٧] وهذا يدل على ان موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال واني لاظنه كاذبا وقوله تعالى (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)[٨] الآية : ثم اجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخصه بقربه عرج به من سماء الى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية « أين الله فقالت فى السماء » فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا (٢) يتوهموا ان الامر على خلاف ماهو عليه بل أقرها وقال اعتقها فانها مؤمنة : وفي حديث جبير بن مطعم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله فوق عرشه فوق سمواته وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي صلى الله عليه

١ - طه ٥
٢ - الحديد ٤
٣ - النحل ٥٠
٤ - فاطر ١٠
٥ - الملك ١٦-١٧
٦ - النحل ١٠٢
٧ - غافر ٣٦-٣٧
٨ - المعارج ٣-٤

(١) لعله القهرية (٢) علة النفي قبله

وسلم بيده مثل القبة » وقوله صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم من فى السماء » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وعن معاوية بن الحكم السلمى قلت يارسول الله « أفلاأعتقها قال ادعها فدعوتها قال فقال لها اين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » (١) رواه مسلم ومالك في موطئه . وعن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اشتكى منكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والارض كما رحمتك في السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيبرأ » اخرجه ابوداود: وعن ابى سعيد الخدرى قال بعث على من اليمن بذهيبة في اديم مقروظ (٢) لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة زيد الخير والاقرع بن حابس . وعيينة ابن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض اصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تأمنونى وانا أمين من في السماء يأتينى خبر من في السماء صباحا ومساء » اخرجه البخارى ومسلم وعن ابن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى

---

(١) ولفظ الحديث هكذا « كانت لي غنم بين احد والجوانية فيها جارية لي فأطلعتها ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا رجل من بنى آدم فأسفت فصككتها فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فعظم ذلك علي فقلت يارسول الله أفلا اعتقها قال ادعها فدعوتها فقال لها أين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » خرجه مسلم وأبو داود والنسائي

(٢) قوله «بذهيبة» تصغير ذهبة وفي رواية مسلم بذهبة بغير تصغير : وقوله مقروظ أي مدبوغ بالقرظ : وقوله لم تحصل أي لم تخلص من تراب المعدن فكأنها كانت تبراً وتخليصها بالسبك .

تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقولون مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلايزال يقال ذلك حتى تنتهي الى السماء التي فيها الله عز وجل» الحديث (١) :— وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذى نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذى في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» أخرجه البخاري ومسلم: ابو داود حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد ابن ابي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لاندرى قال ان بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة ثم السماء فوق ذلك حتى عدّ سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك(٢)» قال الامام الحافظ عبد الغنى في عقيدته لما ذكر حديث الاوعال قال رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال حديث الروح رواه احمد والدارقطنى: وعن ابي هريرة قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش » أخرجه البخاري ومسلم: محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت حكما حكم الله به من فوق

(١) رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط البخارى ومسلم: (٢) الحديث حسنه الترمذي وهو ضعيف واعل بجهالة عبدالله بن عميرة

سبع أرقعة (١) » وحديث المعراج عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به وساق الحديث الى ان قال «ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك فرجعت الى ربي فوضع عني عشراً خمس مرات في كلها يقول فرجعت الى موسى ثم رجعت الى ربي» اخرجه البخاري ومسلم: وحديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي» متفق عليه : وعن ابن عمر قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً وقال من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت» (٢)

علواً وتسفلنا هو فوقنا فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة الى الاجسام لكننا نعلمها من جهة الاجمال والثبوت لا من جهة التمثيل والتكييف والله الموفق للصواب ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وأنه ليس له الا جهتا العلو والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفل الا المركز وهو الوسط

---

(١) قال الحافظ الذهبي في كتابه العلو بعد ما اورد هذا الحديث هذا مرسل

(٢) هنا سقط في الاصل لم نهتد اليه من نسخ أخرى فمن عثر على نسخة اخرى فيها النقص فليثبته وله الفضل :

فصل

اذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح فى ذلك والصدور تنشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعي مع كون ان الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه فى تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ماوصف به نفسه لنا ولانقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفقه الله تعالى للاثبات بلا تحريف ولاتكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى

فصل

والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الامر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم مافهموا في صفات الرب تعالى الا مايليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به ولانزولا يليق به ولايدين تليق بعظمته بلاتكييف ولاتشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ماوصف الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى

لاريب انا نحن واياهم متفقون على اثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والارادة والكلام لله ونحن قطعاً لانعقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لانعقل من السمع والبصر الا أعراضا تقوم بجوارحنا فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره

كذلك هى صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة وليست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك اعراضا بل هو كما يليق به

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ففوقيته معلومة اعنى ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فانهما معلومان ولايكيفان كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أوانتقال يليق بالمخلوق بل كما يليق بعظمته وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه أعمى من وجه مبصراً من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكييف والتحديد وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه به ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه ولا نعطلها بالتحريف والتأويل ولافرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر الكل ورد في النص

فان قالوا لنـا فى الاستواء شبهتم نقول لهم في السمع شبهتم ووصفتم ربكم بالعرض فان قالوا لاعرض بل كما يليق به قلنا فى الاستواء والفوقية لاحصر بل كما يليق به فجميع مايلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع البصر والعلم فكما لايجعلونها هم اعراضا كذلك نحن لانجعلها جوارح ولا مايوصف به المخلوق وليس من الانصاف أن يفهموا فى الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا الى التأويل والتحريف

فان فهموا فى هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا فى الصفات السبع صفات المخلوقين من الاعراض فمايلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية ومايتزهوا ربهم به فى الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التى ينسبونا فيها الى

التشبيه سواء بسواء ومن انصف عرف ماقلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان لله باثبات جميع صفـاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لان هذه الصفات وتلك جاءت فى موضع واحد وهو الكتاب والسنة فاذا اثبتنـا تلك بلا تأويل وحرفنا هذه وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاغ وكفاية ان شاء الله تعالى

فصل

واذا ظهر هذا وبان انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهى مسألة الصفات من النزول واليد والوجه وأمثالها ومسئلة العلو والاستواء ومسئلة الحرف والصوت: أما مسألة العلو فقد قيل فيها مافتحه الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ولا نفهم منها مانفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته فتنزل كما يليق بجلاله وبعظمته ويداه كما تليق بجلاله وعظمته ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف ننكر الوجه الكريم ونحرف وقد قال صلى الله عليه وسلم في دعائه « أسألك لذة النظر الى وجهك» واذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص فكذلك صفة اليدين والضحك والتعجب ولا يفهم من جميع ذلك الا مايليق بالله عز وجل وبعظمته لا مايليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

واذا ثبت هذا الحكم في الوجه فكذلك فى اليدين والقبضتين والقدم والضحك والتعجب كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيحصل بذلك اثبات ماوصف الله تعالى نفسه به فى كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحصل أيضا نفي التشبيه والتكييف في صفاته ويحصل أيضا ترك التأويل والتحريف المؤدى الى التعطيل ويحصل أيضا بذلك عدم الوقوف باثبات الصفات

وحقائقها على مايليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على مانعقله نحن من صفات المخلوقين

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق والقرآن المجيد) وكذلك جاء في الحديث « فينادى يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » وفي الحديث « لا اقول الم حرف ولكن الف حرف لام حرف ميم حرف » فهؤلاء مافهموا من كلام الله تعالى الا مافهموه من كلام المخلوقين فقالوا ان قلنا بالحروف فان ذلك يؤدى الى القول بالجوارح واللهوات(١) وكذلك اذا قلنا بالصوت أدى ذلك الى الحلق والحنجرة عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات

والتحقيق هو ان الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه قادر والقادر لايحتاج الى جوارح ولا الى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة كلام الله تعالى كما يليق به وصوته كما يليق به ولاننفى الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا الى الجوارح واللهوات فانهما من جناب الحق تعالى لايفتقران الى ذلك وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف بقوله هذا عبارة عن ذلك

فان قيل فهذا الذى يقرأه القارىء هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو ؟ قلنا لا بل القارىء يؤدى كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله مبتدياً لا الى من قاله مؤديا مبلغا ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق وفي القرآن لايتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرآن مخلوق لانه لايتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق فان لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى القول بخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق

(١) اللهوات جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم : ويجمع ايضاً على لهى ولهات :

فصل

العبد اذا أيقن ان الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلاحصر ولا كيفية وانه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه ومن لايعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه فانه يبقى ضائعا لايعرف وجهة معبوده لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه وتلك بلاهذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف ان إلهه الذي يعبده فوق الاشياء فاذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه الى جهة العرش منزها ربه تعالى عن الحصر مفرداً له كما افرده في قدمه وأزليته عالما ان هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ولايمكننا الاشارة الى ربنا فى قدمه وأزليته الا بها لأنا محدثون والمحدث لابدله في اشارته الى جهة فتقع تلك الاشارة الى ربه كما يليق بعظمته لا كما يتوهمه هو من نفسه ويعتقد انه في علوه قريب من خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته ومشيئته وذاته فوق الاشياء فوق العرش ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه فانشرح لذلك صدره وقوى ايمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول وذاق حينئذ شيئا من اذواق السابقين المقربين بخلاف من لايعرف وجهة معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فانها قالت فى السماء عرفته بأنه على السماء فان في تأتي بمعنى على كقوله تعالى (يتيهون في الارض) أي على الارض : وقوله (لاصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل فمن تكون الراعية اعلم بالله منه لكونه لايعرف وجهة معبوده فانه لايزال مظلم القلب لايستنير بأنوار المعرفة والايمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب ولينظر الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه اعمى من وجه كما سبق مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق أعمى من جهة التحديد والحصر والتكييف فانه اذا عمل ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ووجد نوره وبركته عاجلا وآجلا (ولاينبؤك مثل خبير) والله سبحانه الموفق والمعين

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الافهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه: لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح لانه ببرهان لا يكابر الحس فيه بأن الارض في جوف العالم العلوى وأن كرة الارض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة والسماء محيطة بها من جميع جوانبها وان سفل العالم هو جوف كرة الارض وهو المركز ونحن نقول جوف الارض السابعة وهم لا يذكرون السابعة لان الله تعالى أخبرنا عن ذلك وهم لا يعرفون ذلك وهذه القاعدة عندهم هى ضرورية لا يكابر الحس فيها ان المركز هو جوف كرة الارض وهو منتهى السفل والتحت وما دونه لا يسمى تحتاً بل لا يكون تحتاً ويكون فوقا بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم الى تلك الجهة لكان الخرق الى جهة فوق ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الاخرى لصعد الى جهة فوق

وبرهان ذلك انا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الارض من جهة المشرق الى جهة المغرب وامتد مسافر المشي على الكرة الى حيث ابتدأ بالمسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو في سفره هذا لم تبرح الارض تحته والسماء فوقه فالسماء التى يشهدها الحس تحت الارض هى فوق الارض لا تحتها لان السماء فوق الارض بالذات فكيف كانت السماء كانت فوق الارض من أى جهة فرضتها ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الارض النصف الاعلا منها ثقله على المركز والنصف الاسفل منها ثقله على النصف الاعلا أيضا الى جهة المركز والنصف الاسفل هو أيضا فوق النصف الاعلا كما أن النصف الاعلا فوق النصف الاسفل ولفظ الاسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل للناظر وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الارض إلا سدسها والعمران على ذلك السدس والماء فوق الارض كيف كان وان كنا نرى الارض مدحية على الماء فان الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهى فوقها واذا كان الامر كذلك فالسماء التى تحت النصف الاسفل

من كرة الارض هي فوقه لا تحته لان السماء على الارض كيف كانت فعلوها على الارض بالذات فقط لا تكون تحت الارض بوجه من الوجوه واذا كان هذا جسم وهو السماء علوها على الارض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلا) وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (وهو القاهر فوق عباده) لان فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتى له فهو العلى بالذات والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتى الاكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه علىّ بالذات وهو كما كان قبل خلق الاكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العليّ على عرشه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الامر اليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويعز هذا ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله عبداً وصلت اليه هذه الرسالة ولم يعاجلها بالانكار وافتقر الى ربه فى كشف الحق آناء الليل والنهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله فى نزولها وفى المعنى الذى نزلت له وما الذى أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب تعالى بها والتوجه اليه منها واثباتها له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جمود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن تدبر وكفاية لمن استبصر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم والله سبحانه أعلم

(تمت الرسالة)

رسالة

نور اللمعة

في خصائص الجمعة

تأليف

العلامة المحدث الشيخ جلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص هذه الامة المحمدية * بما ادخرلها من الفضائل السنية * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية (وبعد) فقد ذكر الاستاذ شمس الدين ابن القيم في كتاب الهدى ليوم الجمعة خصوصيات بضعاً وعشرين خصوصية وفاته اضعاف ما ذكر : وقد رأيت استيعابها في هذه الكراسة منبهاً على أدلتها على سبيل الايجاز وتتبعتها فتحصلت منها على مائة خصوصية والله الموفق *

﴿ الخصوصية الأولى انه عيد هذه الأمة ﴾

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الى الجمعة فليغتسل وان كان عنده طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جمعة من الجمع « معاشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك »

﴿ الخصوصية الثانية انه يكره صومه منفرداً ﴾

لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا ان يصوم قبله أو بعده» وأخرجا عن جابر قال « نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة» وأخرج البخاري عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال اصمت أمس قالت لا قال آترين ان تصومي غداً قالت لا قال فافطري » وأخرج الحاكم عن جنادة بن أبى امية الازدي قال « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الازد يوم الجمعة فدعانا الى طعام بين يديه فقلنا إنا صيام قال اصمتم أمس قلنا لا قال أتصومون غداً قلنا لا قال فافطروا لا تصوموا يوم الجمعة منفرداً» وأخرج مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام إلا ان يكون في صوم يصومه أحدكم » قال النووي الصحيح من مذهبنا وبه قطع الجمهور كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً: وفي وجه انه لا يكره إلا لمن لو صامه منعه من العبادة وأضعفه لحديث احمد والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قلما كان يفطر يوم الجمعة» وأجاب الاول عنه بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الخميس فوصل الجمعة به* واختلف في الحكمة التى كره صومه لاجلها والصحيح كما قال النووى انه كره لانه يوم شرع فيه عبادات كثيرة من الذكر والدعاء والقراءة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فاستحب فطره ليكون اعون على أداء هذه الوظائف بنشاط من غير ملل ولا سآمة وهو نظير الحاج بعرفات فان الاولى له الفطر لهذه الحكمة: قال فان قيل لو كان كذلك لم تزل الكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى المذكور فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذى قبله أو بعده ما يجبر به ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه : وقيل الحكمة خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن قوم بالسبت. قال وهذا باطل منتقض بصلاة الجمعة وسائر ما شرع فيه من أنواع الشعائر والتعظيم مما ليس في غيره: وقيل الحكمة خوف

اعتقاد وجوبه قيل وهذا منتقض بغيره من الايام التى ندب صومها. وهذا ماذكره النووي وحكي غيره قولا آخر ان علته كونه عيداً والعيد لا يصام واختاره ابن حجر وأيده بحديث الحاكم عن أبى هريرة مرفوعاً « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » وروى ابن أبي شيبة عن علي قال « من كان منكم متطوعا من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصوم يوم الجمعة فانه يوم طعام وشراب وذكر » وقال آخرون بل الحكمة مخالفة اليهود فانهم يصومون يوم عيدهم أى يفردونه بالصوم فنهى عن التشبه بهم كما خولفوا في يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو بعده وهذا القول هو المختار عندى لانه لا ينتقض بشيء.

﴿ الخصوصية الثالثة انه يكره تخصيص ليلته بالقيام ﴾

للحديث السابق لكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك من طريق اسمعيل بن ابي أويس عن زوجته بنت مالك بن انس ان أباها مالكا كان يحيي ليلة الجمعة»

﴿ الخصوصية الرابعة قراءة الم تنزيل وهل أتى على الانسان في صبحها ﴾

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الٓمٓ تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان» وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود وعلي وغيرهم ولفظ ابن مسعود عند الطبرانى يديم ذلك قيل والحكمة فى قراءتها الاشارة الى ما فيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية وقال غيره بل قصد السجود الزائد(١) وأخرج ابن أبي شيبة عن ابراهيم النخعى انه قال يستحب ان يقرأ في

---

(١) قال ابن القيم في الهدي ويظن كثير ممن لا علم عنده ان المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة واذا لم يقرأ احدهم هذه السورة استحب قراءة سورة اخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الائمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر يوم الجمعة دفعاً لتوهم الجاهلين: وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انما كان النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لانهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها فانهما اشتملتا على خلق آدم وعلى ذكر المعاد وحشر العباد وذلك يكون يوم الجمعة وكان في هذا اليوم تذكير للامة بما كان فيه ويكون والسجدة جاءت تبعاً ليست مقصودة حتى يقصد المصلي قراءتها حيث اتفقت:

صبح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة* وأخرج أيضاً عنه انه قرأ سورة مريم* وأخرج ابن عون قال كانوا يقرؤون في الصبح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة*

﴿ الخصوصية الخامسة ان صلاة صبحها أفضل الصلوات عند الله ﴾

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عمر انه فقد جهان في صلاة الصبح فلما جاء قال ماشغلك عن هذه الصلاة أما علمت ان أوجه الصلاة عند الله غداة الجمعة من يوم الجمعة في جماعة المسلمين* وأخرجه البيهقي في الشعب مصرحاً برفعه بلفظ «ان أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة» وأخرج البزار والطبراني عن أبي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما احسب من شهدها منكم إلا مغفوراً له

﴿ الخصوصية السادسة صلاة الجمعة ﴾

واختصاصها بركعتين وهى في سائر الايام اربع

﴿ الخصوصية السابعة أنها تعدل حجة ﴾

أخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال والحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج للمساكين» * وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال «الجمعة أحب الي من حجة تطوع» *

﴿ الخصوصية الثامنة الجهر فيها: وصلوات النهار سرية ﴾

﴿ الخصوصيه التاسعة قراءة الجمعة والمنافقين فيها ﴾

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة واذا جاءك المنافقون» وأخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ «بالجمعة يحرض بها المؤمنين» وفي الثانية «بسورة المنافقين يفزع بها المنافقين»

﴿ الخصوصية العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ﴾

اختصاصها بالجماعة وبأربعين وبمكان واحد من البلد وبأذن السلطان ندباً واشتراطاً لما هو مقرر في كتب الفقه :

وأقوى ما رأيته للاختصاص بأربعين ما أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال «مضت السنة ان في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة»[١]

﴿ الخصوصية الرابعة عشرة اختصاصها بارادة تحريق من تخلف عنها ﴾

أخرج الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم احرق على قوم يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»

﴿ الخصوصية الخامسة عشرة الطبع على قلب من تركها ﴾

أخرج مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي الجعد الضمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» وأخرج الحاكم وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه» وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال «من ترك ثلاث جمع من غير علة طبع الله على قلبه وهو منافق» وأخرج عن ابن عمر «قال من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق» وأخرج الاصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجمعة من غير عذر لم يكن لها كفارة دون يوم القيامة» وأخرج عن سمرة «قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا الجمعة وادنوا من الامام فان الرجل يتخلف عن الجمعة فيتخلف عن الجنة وانه لمن أهلها»

---

(١) أقول اخرجه ايضاً البيهقي وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن قال الامام احمد اضرب على حديثه فانها كذب اوموضوعة : وقال النسائي ليس بثقة وقال الدار قطني منكر الحديث : وقال ابن حبان لايجوز ان يحتج به : وقال البيهقي هذا الحديث لايحتج بمثله : واما ماذكره من المكان الواحد وأذن السلطان ندباً او أشد اما ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة وانما هو اجتهاد الفقهاء في ذلك وليس هنا محل بسطه :

(الخصوصية السادسة عشرة مشروعية الكفارة لمن تركها)

أخرج احمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن ماجه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار » وأخرج أبو داود عن قدامة بن وبرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته الجمعة من غير عذر فليتصدق بدرهم أو نصف درهم أو صاع حنطة أو نصف صاع »

(الخصوصية السابعة عشرة الخطبة)*(الخصوصية الثامنة عشرة الانصات)

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت» وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له مابينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » وأخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته ان كان لها ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينهما ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » وأخرج ابن ماجه وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة سورة برآءة وهو قائم يذكر بأيام الله وابو الدرداء وأبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة انى لم أسمعها الا الآن فأشار اليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال أبي ليس من صلاتك اليوم الا ما لغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وأخبره بالذى قال أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبي» وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال «لا تقل سبحان الله والامام يخطب يوم الجمعة»* وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة»

﴿الخصوصية التاسعة عشرة تحريم الصلاة عند جلوس الامام على المنبر﴾

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * وأخرج عن ثعلبة بن ابى مالك قال كنا على عهد عمر بن الخطاب يوم الجمعة نصلى فاذا خرج عمر تحدثنا فاذا تكلم سكتنا* قال النووى في شرح المهذب فاذا جلس الامام على المنبر حرم ابتداء صلاة النافلة وان كان في صلاة خففها بالاجماع نقله الماوردي وغيره* قال البغوي سواء كان صلى السنة أم لا * قال النووى ويمتنع بمجرد جلوس الامام على المنبر ولا يتوقف على الأذان نص عليه الشافعي والاصحاب

﴿فائدة﴾ قال سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأني أبو معشر عن محمد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر سليكا أن يصلى ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ منها

﴿الخصوصية العشرون * النهي عن الاحتباء وقت الخطبة﴾

روى أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن معاذ ابن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب * وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر * وقال أبو داود كان ابن عمر يحتبي والامام يخطب وكذلك أنس وجل الصحابة والتابعين قالوا لا بأس بها ولم يبلغني أن أحداً كرهه الا عبادة بن نسى* وقال الترمذى كره قوم الحبوة وقت الخطبة ورخص فيها آخرون وقال النووى فى شرح المهذب لا تكره عند الشافعي ومالك واحمد والاوزاعى وأصحاب الرأى وغيرهم وكرهها بعض أهل الحديث للحديث المذكور وقال الخطابى والمعنى أنها تجلب النوم فيعرض طهارته للنقض وتمنع من استماع الخطبة

﴿ الخصوصية الحادية والعشرون * نفي كراهة النافلة وقت الاستواء ﴾

أخرج أبو داود عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة

﴿ الخصوصية الثانية والعشرون * لا تسجر جهنم في يومها ﴾ للحديث المذكور

﴿ الخصوصية الثالثة والعشرون استحباب الغسل لها ﴾

روى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جاء منكم الجمعة فليغتسل» وأخرجا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» وأخرج الحاكم عن أبي قتادة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة الى الجمعة الأخرى» وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فاذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف من الصلاة أجيز بعمل مائتي سنة» وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول الشعر استلالا»

﴿ الخصوصية الرابعة والعشرون ان للجماع فيه أجرين ﴾

أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيعجز أحدكم ان يجامع أهله في كل جمعة فان له أجرين اثنين أجر غسله وأجر غسل امرأته» وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مكحول انه سئل عن الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران .

﴿ الخصوصية الخامسة والعشرون الى التاسعة والعشرين ﴾

(استحباب السواك والطيب والدهن وازالة الظفر والشعر)

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدرى قال اشهد على رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان يستن وان يمس طيباً ان وجد * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن رجل من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ويمس من طيب ان كان » وأخرج البخارى عن سلمان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويتدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينها وبين الجمعة الاخرى » وأخرج الحاكم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة « أيها الناس اذا كان هذا اليوم فاغتسلوا وليمس أحدكم أطيب ما يجد من طيبه أو دهنه » وأخرج البزار والطبرانى في الاوسط والبيهقي في الشعب « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يخرج الى الصلاة » وأخرج في الاوسط عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلم أظفاره يوم الجمعة وقى من السوء الى مثلها » وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن راشد ابن سعد قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من اغتسل يوم الجمعة واستاك وقلم أظفاره فقد اوجب وأخرج عن مكحول قال من قص أظفاره وشاربه يوم الجمعة لم يمت من الماء الأصفر * وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة عن حميد بن عبد الرحمن الحميدي قال كان يقال من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء

﴿ الخصوصية الثلاثون استحباب لبس أحسن الثياب ﴾

أخرج احمد وأبو داود والحاكم عن أبى سعيد وأبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد ولم يتخط رقاب الناس ثم ركع ماشاء الله ان يركع وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها » وأخرج احمد عن ابي أيوب الانصارى وابى الدرداء والحاكم نحوه عن

أبي ذر » وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال« كان النبي صلى الله عليه وسلم برد يلبسه في العيدين والجمعة » وأخرج أبو داود عن ابن سلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما على أحدكم ان وجد ان يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » وأخرج ابن ماجه مثله من حديث عائشة والبيهقي في الشعب مثله من حديث أنس » وأخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما في جمعته فاذا انصرف طويناهما الى مثله » وأخرج في الكبير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة »

﴿ الخصوصية الحادية والثلاثون تبخير المسجد ﴾

أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة من مرسل حسن بن علي بن حسين ابن حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باجمار المسجد يوم الجمعة وأخرج ابن ماجه من مرسل مكحول عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم ورفع أصواتكم وسلاحكم وجمروها في كل جمعة » وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمر المسجد فى كل جمعة

﴿ الخصوصية الثانية والثلاثون التبكير ﴾

روى الشيخان عن أنس قال كنا نبكر بالجمعة ونقيل بعد الجمعة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من

أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر * وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود انه أتى الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم الى الجمعات الاول والثاني والثالث » قال البيهقي قوله من الله أى من عرشه وكرامته * وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال باكروا في الغداة بالدنيا الى الجمعات فان الله يبرز لاهل الجنة يوم الجمعة على كثيب من كافور أبيض فيكون الناس عنده فى الدنو كغدوهم في الدنيا الى الجمعة * وأخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الاعمال عن القاسم بن مخيمرة قال اذا راح الرجل الى المسجد كانت خطاه بخطوة درجة وبخطوة كفارة وكتب له بكل انسان جاء بعد قيراط قيراط

(الخصوصية الثالثة والثلاثون) الايستحب الابراد بها في شدة الحر بخلاف سائر الايام

أخرج البخارى عن أنس « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الحر ابرد بالصلاة بغير الجمعة »

(الخصوصية الرابعة والثلاثون تأخير الغداء والقيلولة عنها)

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة وأخرج البخارى عنه قال كنا نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم تكون القائلة * وأخرج سعيد بن منصور عن محمد بن سيرين قال كان يكره النوم قبل الجمعة ويقال فيه قولا شديداً وكانوا يقولون مثله مثل سرية اخفقوا وتدرى ما اخفقوا لم يصيبوا شيئاً

(الخصوصية الخامسة والثلاثون)

تضعيف أجر الذاهب اليها بكل خطوة أجر سنة

أخرج احمد والاربعة والحاكم عن اوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» وأخرج احمد بسند صحيح نحوه عن ابن عمر وأخرج احمد ابن زنجويه في فضائل الاعمال عن يحيى بن يحيى الغساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مشيك الى المسجد وانصرافك الى أهلك في الاجر سواء» وأخرج سعيد ابن منصور نحوه من مرسل الزهري ومكحول والطبراني فى الاوسط من حديث أبي بكر الصديق في حديث « واذا أخذ في المشي الى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة» وسنده ضعيف

(الخصوصية السادسة والثلاثون)

لها أذانان وليس ذلك لصلاة غيرها إلا الصبح

أخرج البخاري عن السائب عن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء فثبت الامر على ذلك

(الخصوصية السابعة والثلاثون الاشتغال بالعبادة حتى يخرج الخطيب)

تقدم فيه أثر ثعلبة بن مالك

(الخصوصية الثامنة والثلاثون قراءة الكهف)

أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» وأخرجه سعيد بن منصور موقوفا بلفظ «أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق»

وأخرج عن خالد بن معدان قال من قرأ سورة الكهف قبل ان يخرج الامام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة وبلغ نورها البيت العتيق * وأخرج مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين» وأخرج الضياء في المختارة عن علي قال قال رسول الله عليه وسلم « من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية أيام وان خرج الدجال عصم منه »

﴿ الخصوصية التاسعة والثلاثون قراءة الكهف ليلتها ﴾

أخرج الدارمي في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق »

﴿ الخصوصية الاربعون قراءة الاخلاص والمعوذتين والفاتحه بعدها ﴾

أخرج أبو عبيد وابن الضريس في فضائل القرآن عن أسماء بنت أبي بكر قالت « من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها قل هو الله أحد والمعوذتين والحمد سبعاً سبعاً حفظ من مجلسه ذلك الى مثله » وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال « من قرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد سبع مرات يوم الجمعة قبل ان يتكلم كفر عنه ما بين الجمعتين وكان معصوما » وأخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الاعمال عن ابن شهاب قال «من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل أن يتكلم سبعاً سبعاً كان مضموناً هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة »

الخصوصية الحادية والاربعون قراءة الكافرين والاخلاص من مغرب ليلتها

أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين »

«الخصوصية الثانيةوالاربعون قراءةسورةالجمعةوالمنافقين في عشاء ليلتها»

للحديث المذكور

« الخصوصية الثالثة والأربعون منع التحلق قبل الصلاة »

أخرج ابو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة قال البيهقي يكره التحلق في المسجد اذا كانت الجماعة كثيرة والمسجد صغيراً وكان فيه منع المصلين عن الصلاة . (١)

« الخصوصية الرابعة والاربعون تحريم السفر فيه قبل الصلاة »

أخرج ابن ابى شيبة عن حسان بن عطية قال من سافر يوم الجمعة دعى عليه ان لايصاحب ولا يعان على سفره * وأخرج الخطيب في رواية مالك بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا « من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه ان لا يصاحب في سفره ولا تقضى له حاجة » وأخرج الدينورى في المجالسة عن سعيد بن المسيب ان رجلا أتاه يوم الجمعة يودعه لسفر فقال له لا تعجل حتى تصلى فقال أخاف ان تفوتنى أصحابى ثم عجل فكان سعيد يسأل عنه حتى قدم قوم فأخبروه ان رجله انكسرت فقال سعيد انى كنت أظن ان سيصيبهُ ذلك * وأخرج عن الاوزاعي قال كان عندنا صياد فكان يخرج في الجمعة لايمنعه اداء الجمعة من الخروج فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الارض فلم يبق منها إلا اذناها وذنبها * وأخرج ابن أبى شيبة عن مجاهد ان قوماً خرجوا في سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خباؤهم ناراً من غير نار يرونها

---

(١) وقال العراقي وحمله اصحابنا والجمهور على بابه لانه ربما قطع الصفوف مع كونهم مامورين يوم الجمعة بالتبكير والتراص في الصفوف الاول فالاول : وقد اختلف الائمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب والله اعلم

« الخصوصية الخامسة والاربعون فيه تكفير الآثام »

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما مالم تغش الكبائر » وأخرج عن سلمان قال « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قال الله ورسوله اعلم. قال هو اليوم الذى جمع الله فيه بين أبويكم لايتوضأ عبد فيحسن الوضوء ثم يأتي المسجد لجمعة الا كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى ما اجتنب الكبائر .

الخصوصية السادسة والاربعون الامان من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها

أخرج ابو يعلي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة وقي عذاب القبر » * وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد المخزومي قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم له بخاتم الايمان ووقي عذاب القبر *

(الخصوصية السابعة والاربعون)

(الامان من فتنة القبر لمن مات يومها او ليلتها فلايسأل في قبره)

أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وابن أبى الدنيا وغيرهم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » وفي لفظ « إلا برىء من فتنة القبر » وفى لفظ « إلا وقي الفتان » قال الحكيم الترمذي وحكمته انه انكشف الغطاء عما له عند الله لان جهنم لاتسجر في هذا اليوم وتغلق فيه أبوابها ولايعمل فيه سلطانها مايعمل في سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبداً كان دليلا لسعادته وحسن مآبه وانه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لان سببها إنما هو تميز المنافق من المؤمن

(الخصوصية الثامنة والاربعون رفع العذاب عن أهل البرزخ فيه)

قال اليافعي في روض الرياحين بلغنا ان الموتى لم يعذبوا ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت قال ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المؤمنين دون الكفار

﴿ الخصوصية التاسعه والاربعون اجتماع الارواح فيه ﴾

أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقي فى الشعب عن رجل من آل عاصم الجحدرى انه رأى عاصما الجحدري في النوم فقال له أنا فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخباركم قلت هل تعلمون بزيارتنا قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه

« الخصوصية الخمسون انه سيد الايام »

روى مسلم عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولاتقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » وأخرجه الحاكم بلفظ « سيد الايام يوم الجمعة الى آخره » ولابي داود نحوه وزاد « وفيه تيب عليه وفيه مات ومامن دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والانس » * وأخرج ابن أبى شيبة وابن ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي لبابة بن عبدالمنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عندالله وهوأعظم عندالله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه ساعة لايسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه مالم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة مامن ملك مقرب ولاسماء ولاأرض ولارياح ولاجبال ولابحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة »

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مجاهد قال اذا كان يوم الجمعة فزع البر والبحر وماخلق الله من شيء الا الانسان * وأخرج عبدالله بن احمد في فوائد الزهد عن أبي عمران الجونى قال بلغنا انه لم تأت ليلة الجمعة قط الا أحدثت لاهل السماء فزعة

﴿ فائدة ﴾ في بعض كتب الحنابلة: اختلف أصحابنا هل ليلة الجمعة أفضل أو ليلة القدر فاختار ابن بطة وجماعة ان ليلة الجمعة أفضل وقال به أبو الحسن التميمي فيما عدا الليلة التى أنزل فيها القرآن وأكثر العلماء على ان ليلة القدر أفضل واستدل الاولون بحديث الليلة الغراء والغرة من الشيء خياره وبأنه جاء في فضل يومها مالم يجيء ليوم ليلة القدر وأجابوا عن قوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) فان التقدير خير من الف شهر ليس فيها ليلة الجمعة كما ان تقديرها عند الاكثرين خير من الف شهر ليس فيها ليلة القدر وأيضاً فان ليلة الجمعة باقية في الجنة لان في يومها تقع الزيارة الى الله تعالى وهى معلومة فى الدنيا بعينها على القطع وليلة القدر مظنون عينها انتهى ملخصاً *

« الخصوصية الحادية والخمسون انه يوم المزيد »

أخرج الشافعي في الام عن أنس بن مالك قال « اتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فان الناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لايوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل وما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيحا فيه كثب مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله فيه ناسا من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم

ولكم عليّ ماتمنيتم ولدى مزيد » فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير : وله طرق عن أنس وفي بعضها « انهم يمكثون في جلوسهم هذا الى مقدار منصرف الناس من الجمعة ثم يرجعون الى غرفهم » أخرجه الآجرى في كتاب الرؤية * وأخرج الآجري في كتاب الرؤية عن أبى هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون فيبرز الله لهم عرشه ويتبدىء لهم في رياضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم ومافيهم أدنى على كثبان المسك والكافور ومايرون أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا الحديث وفيه الرؤية وسماع الكلام وذكر سوق الجنة * وأخرج أيضا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة يزورون ربهم عز وجل فى كل يوم الجمعة في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً » وعن أبى هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما قالا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة ليقومون يوم الجمعة يكتبون الانسان الاول والثاني والثالث حتى اذا خرج الامام طويت الصحف »

(الخصوصية الثانية والخمسون * انه مذكور في القرآن دون سائر أيام الاسبوع)

قال تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة)

(الخصوصية الثالثة والخمسون * انه الشاهد والمشهود في الآية وقد أقسم الله به)

أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب فى قوله تعالى (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال

الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة * وأخرج عن ابن الزبير وابن عمر قالا يوم الذبح ويوم الجمعة * وأخرج عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة»

(الخصوصية الرابعة والخمسون * انه المدخر لهذه الامة)

روى الشيخان عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» * ولمسلم عن أبى هريرة وحذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والخمسون * انه يوم المغفرة »

أخرج ابن عدي والطبرانى فى الأوسط بسند عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحداً من المسلمين يوم الجمعة الا غفر له »*

«الخصوصية السادسة والخمسون * أنه يوم العتق »

أخرج البخارى في تاريخه وأبو يعلى عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة الا ولله فيها ستمائة عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار » وأخرجه ابن عدى والبيهقي في الشعب بلفظ « ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق»

« الخصوصية السابعة والخمسون * فيه ساعة الاجابة »

روى الشيخان عن أبى هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً الا

أعطاه اياه وأشار بيده يقللها » ولمسلم عنه ان في الجمعة لساعة لايوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً الا أعطاه اياه هي ساعة خفية *

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فى هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولا فقيل انها رفعت أخرج عبد الرزاق عن عبد الله مولى معاوية قال قلت لابى هريرة أنهم زعموا ان الساعة التى فى يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء رفعت فقال كذب من قال ذلك * قلت فهي في كل جمعة قال نعم وقيل انها في جمعة واحدة من كل سنة قاله كعب الاحبار لابى هريرة فرده عليه فرجع اليه أخرجه مالك وأصحاب السنن وقيل انها مخفية في جميع اليوم كما أخفيت ليلة القدر فى العشر * أخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبى سلمة قال سألت أباسعيد الخدرى عن ساعة الجمعة فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قد أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر » * وأخرج عبد الرزاق عن كعب قال لو أن انسانا قسم جمعته في جمع لاتى على تلك الساعة قال ابن المنذر معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من أول النهار الى وقت معلوم ثم في جمعة يبتدىء من ذلك الوقت الى وقت آخر حتى يأتى على آخر النهار *

والحكمة في اخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة وقيل انها تنتقل في يوم الجمعة ولا تلزم ساعة بعينها ذكره بعضهم احتمالا وجزم به ابن عساكر وغيره ورجحه الغزالى والمحب الطبرى وقيل هي عند أذان المؤذن لصلاة الغداة أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة : وقيل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس رواه ابن عساكر عن ابى هريرة : وقيل عند طلوع الشمس حكاه الغزالى وقيل أول ساعة بعد طلوع الشمس حكاه الجيلى والمحب الطبرى شارحا التنبيه : وقيل في آخر الساعة الثالثة من النهار لحديث أبى هريرة مرفوعا «وفي آخر ثلاث ساعات منه ساعة من دعا الله فيها استجيب له» أخرجه احمد وقيل اذا زالت الشمس حكاه ابن المنذر عن أبى العالية ورواه عبد الرزاق عن الحسن وروى ابن عساكر عن قتادة قال كانوا يرون الساعة المستجاب فيها

الدعاء اذا زالت الشمس: قال ابن حجر وكأن مأخذهم فى ذلك أنها وقت اجتماع الملائكة وابتداء دخول الجمعة والأذان ونحو ذلك: وقيل اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة * أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت يوم الجمعة مثل يوم عرفة فيه تفتح أبواب السماء وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً الا أعطاه قيل أية ساعة قالت اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة: وقيل من الزوال الى مصير الظل ذراعاً أخرجه ابن المنذر عن أبي ذر: وقيل الى أن يخرج الامام حكاه القاضي ابو الطيب: وقيل الى ان يدخل في الصلاة حكاه ابن المنذر عن ابى السو ر العدوى: وقيل من الزوال الى غروب الشمس حكاه الدمارى فى نكت التنبيه: وقيل عند خروج الامام رواه ابن زنجويه عن الحسن: وقيل مابين خروج الامام الى أن تقام الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن والمروزى فى كتاب الجمعة عن عوف بن حصره: وقيل مابين خروجه الى انقضاء الصلاة رواه ابن جرير عن موسى وابن عمر وقوفاوعن الشعبي: وقيل مابين أن يحرم البيع الى أن يحل رواه ابن أبى شيبة وابن المنذر عن الشعبي: وقيل ما بين الاذان الى انقضاء الصلاة رواه ابن زنجويه عن ابن عباس: وقيل ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضي الصلاة روى مسلم وأبو داود من حديث أبي موسى الاشعرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضى الصلاة: قال ابن حجر وهذا القول يمكن ان يتخذ مع الذين قبله: وقيل من حين يفتتح الخطبة حتى يفرغها رواه ابن عبد البر بسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعا: وقيل عند الجلوس بين الخطبتين حكاه الطيبي: وقيل عند نزول الامام من المنبر رواه ابن المنذر عن أبي بردة: وقيل عند اقامة الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن: وروى الطبرانى بسند ضعيف عن ميمونة بنت سعد أنها قالت « يارسول الله افتنا عن صلاة الجمعة قال فيها ساعة لا يدعو العبد فيها ربه إلا استجاب له قلت أية ساعة هي يارسول الله قال ذلك حين يقوم الامام » وقيل من بين اقامة الصلاة الى تمام الصلاة لحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه عن عمرو بن عوف «قالوا أية ساعة

يارسول الله قال حين تقوم الصلاة الى الانصراف منها » ورواه البيهقى في الشعب بلفظ « ما بين ان ينزل الامام من المنبر الى ان تنقضى الصلاة » وقيل هي الساعة التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فيها الجمعة رواه ابن عساكر عن ابن سيرين : وقيل من صلاة العصر الى غروب الشمس رواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفا والترمذى بسند ضعيف عن أنس بن مالك مرفوعا « التمسوا الساعة التى ترجى في يوم الجمعة بعد العصر الى غيبوبة الشمس » ولابن منده عن أبي سعيد مرفوعا « فالتمسوها بعد العصر أغفل ما يكون الناس» وقيل في صلاة العصر رواه عبد الرزاق عن يحيى بن اسحاق بن ابي طلحة مرفوعا مرسلا : وقيل بعد العصر الى آخر وقت الاختيار حكاه الغزالي : وقيل من حين تصفر الشمس الى ان تغيب رواه عبد الرزاق عن طاوس : وقيل آخر ساعة بعد العصر أخرجه ابو داود والحاكم عن جابر مرفوعاً ولفظه « فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » وأخرج اصحاب السنن عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه » فقال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته فقال قد علمت أية ساعة هى آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت بلى قال فهو ذاك» وفي الترغيب للاصفهاني من حديث أبي سعيد الخدرى مرفوعاً « الساعة التى يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفل مايكون عنه الناس » : وقيل اذا تدلى نصف الشمس للغروب اخرجه الطبرانى في الاوسط والبيهقي في الشعب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم « انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اية ساعة هي قال اذا تدلى نصف الشمس للغروب »

فهذه جملة الاقوال في ذلك قال المحب الطبرى أصح الاحاديث فيها حديث أبى مومى في مسلم واشهر الاقوال فيها قول عبد الله بن سلام قال ابن حجر وماعداهما اما موافق لهما أو لاحدهما أو ضعيف الاسناد أو موقوف استند قائله الى اجتهاد دون توقيف ثم اختلف السلف أى القولين المذكورين ارجح فرجح كلا مرجحون فرجح حديث أبى موسى البيهقي وابن العربي والقرطبي وقال النووى انه الصحيح أو الصواب ورجح قول ابن سلام احمد بن حنبل وابن راهويه وابن عبد البر وابن الزملكانى من الشافعية

قلت وههنا أمر وذلك ان ماأورده ابو هريرة على ابن سلام من انها ليست ساعة صلاة وارد على حديث أبى موسى ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة صلاة ويتميز ما بعد العصر بانها ساعة دعاء وقد قال في الحديث يسأل الله شيئا وليس حال الخطبة ساعة دعاء لانه مأمور فيها بالانصات وكذلك غالب الصلاة ووقت الدعاء منها أما عند الاقامة او في السجود أو التشهد فان حمل الحديث على هذه الاوقات اتضح ويحمل قوله وهو قائم يصلى على حقيقته في هذين الموضعين وعلى مجازه في الاقامة اى يريد الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله به وبه يظهر ترجيح رواية أبى موسى على قول ابن سلام لابقاء الحديث على ظاهره من قوله « يصلى ويسأل » فانه أولى من حمله على انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد وموهم ان انتظار الصلاة يشترط في الاجابة ولانه لا يقال في منتظر الصلاة قائم يصلي وان صدق انه في صلاة لان لفظ قائم يشعر بملابسة الفعل والذى استخير الله وأقول به من هذه الاقوال انها عند اقامة الصلاة وغالب الاحاديث المرفوعة تشهد له اما حديث ميمونة فصريح فيه وكذا حديث عمرو بن عوف ولا ينافيه حديث ابى موسى لانه ذكر انها فيما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضى الصلاة وذلك صادق بالاقامة بل منحصر فيها لان وقت الخطبة ليس وقت صلاة ولا دعاء ووقت الصلاة ليس وقت دعاء فى غالبها ولا يظن انه أراد استغراق هذا الوقت قطعا لانها خفيفة بالنصوص والاجماع ووقت الخطبة

والصلاة متسع وغالب الاقوال المذكورة بعد الزوال أوعند الاذان تحمل على هذا فترجع اليه ولا تتنافى وقد أخرج الطبرانى عن عوف بن مالك الصحابى قال انى لارجو ان تكون ساعة الاجابة فى احدى الساعات الثلاث اذا اذن المؤذن وما دام الامام على المنبر وعند الاقامة وأقوى شاهد له حديث الصحيحين وهو قائم يصلى فاحمل وهو قائم على القيام للصلاة عند الاقامة ويصلي على الحال المقدرة وتكون هذه الجملة الحالية شرطا في الاجابة فانها مختصة بمن شهد الجمعة ليخرج من تخلف عنها هذا ما ظهر لى في هذا المحل من التقدير والله أعلم بالصواب :

وقال ابن سعد في طبقاته أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا على بن زيد بن جدعان أن عبد الله بن نوفل والمغيرة بن نوفل كانوا من قراء قريش وكانوا يبكرون الى الجمعة اذا طلعت الشمس يريدون بذلك الساعة التى ترجى فنام عبيد الله بن نوفل فدح في ظهره دحة فقيل هذه الساعة التى تريد فرفع رأسه فاذا مثل غمامة تصعد الى السماء وذاك حين زالت الشمس

(فائدة) احتج من قال بتفضيل الليل على النهار بأن فى كل ليلة ساعة اجابة كما ثبت في الاحاديث الصحيحة وليس ذلك في النهار سوى فى يوم الجمعة

«الخصوصية الثامنة والخمسون الصدقة فيه تضاعف على غيرها من الايام»

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن كعب قال «الصدقة تضاعف يوم الجمعة»

«الخصوصية التاسعة والخمسون الحسنة والسيئة فيه تضاعف»

أخرج ابن أبى شيبة عن كعب قال يوم الجمعة تضاعف فيه الحسنة والسيئة وأخرج الطبرانى في الاوسط من حديث أبي هريرة مرفوعا «تضاعف الحسنات يوم الجمعة» * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال من طريق الهيثم بن حميد قال أخبرنى أبو سعيد قال بلغنى ان الحسنة تضاعف يوم الجمعة والسيئة تضاعف يوم الجمعة * وأخرج عن المسيب بن رافع قال من عمل خيراً في يوم الجمعة ضعف بعشرة أضعافه فى سائر الايام ومن عمل شراً فمثل ذلك *

« الخصوصية الستون قراءة حم الدخان يومها وليلتها »

أخرج الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له » وأخرج الطبرانى والاصبهانى عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة » * واخرج الدارمي عن أبى رافع قال « من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين » *

﴿ الخصوصية الحادية والستون * قراءة يس ليلتها ﴾

أخرج البيهقى في الشعب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ليلة الجمعة حم الدخان ويس أصبح مغفوراً له » وأخرجه الاصفهانى بلفظ « من قرأ يس فى ليلة الجمعة غفر له »

﴿ الخصوصية الثانية والستون قراءة آل عمران فيه ﴾

أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس »

﴿ الخصوصية الثالثة والستون * قراءة سورة هود فيه ﴾

أخرج الدارمى في مسنده والبيهقي في الشعب وأبو الشيخ وأبن مردويه في تفسيرهما عن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا سورة هود يوم الجمعة » *

« الخصوصية الرابعة والستون * قراءة البقرة وآل عمران ليلتها »

أخرج الاصفهانى في الترغيب بسنده عن عبد الواحد بن أيمن تابعي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البقرة وآل عمران في ليلة الجمعة كان له من الاجر ما بين لبيداء وعروباء » فلبيداء الارض السابعة وعروباء السماء السابعة * واخرج حميد بن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة

الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نوراً ما بين عربيا.وعجبيا.فعربياء العرش.وعجبياء أسفل الارضين».

« الخصوصية الخامسة والستون. جلب الذاكر وللمغفرة قبل صبح يومها »

أخرج الطبراني في الاوسط عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال قبل صلاة الغداة يوم الجمعة ثلاث مرات استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من زبد البحر » .

« الخصوصية السادسة والستون . ما يقال ليلة الجمعة »

اخرج البزار عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا شهر رمضان واذا كان ليلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم ازهر »

﴿الخصوصية السابعة والستون﴾

الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها

اخرج ابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه عن اوس بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة عليّ فيه فان صلاتكم معروضة عليّ » . واخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال « قال رسول الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي » . واخرج البيهقي في الشعب عن ابي امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة » . واخرج عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت شهيداً اوشافعاً له يوم القيامة » . واخرج عن انس

مرفوعا « من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا » * واخرج عن علي « قال من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور » واخرج الاصبهاني في ترغيبه عن انس قال « قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة الف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة » * واخرج ابو نعيم في الحلية عن زيد بن وهب قال « قال لي ابن مسعود لا تدع اذا كان يوم الجمعة ان تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي » *

﴿ الخصوصية الثامنة والتاسعة والستون والسبعون ﴾

(عيادة المريض وشهود الجنازة وشهود النكاح والعتق فيه)

اخرج الطبراني عن ابي أمامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى الجمعة وصام يومه وعاد مريضا وشهد جنازة وشهد نكاحا وجبت له الجنة » * واخرجه ابو يعلى من حديث ابي سعيد وزاد « وتصدق واعتق » ولم يذكر شهود النكاح: واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب » * واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضاً واطعم مسكيناً وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة » قال البيهقي هذا يؤكد حديث ابي هريرة وكلاهما ضعيف *

﴿ الخصوصية الحادية والسبعون ﴾

أخرج البيهقي في الشعب عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال هذه الكلمات سبع مرات في ليلة الجمعة فمات في تلك الليلة دخل الجنة ومن قالها يوم الجمعة فمات في ذلك اليوم دخل الجنة من قال اللهم انت ربي

لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وابن امتك وفى قبضتك وناصيتى بيدك أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شرما صنعت ابوء بنعمتك وابوء بذنبي فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت »

« الخصوصية الثانية والسبعون »

اخرج ايضا عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهر في الصيف استحب أن يظهر ليلة الجمعة واذا دخل البيت فى الشتاء استحب أن يدخل البيت ليلة الجمعة » وأخرج مثله عن ابن عباس

« الخصوصية الثالثة والسبعون »

اخرج الطبراني عن عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه كان اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فقيل له لم تفعل هذا فقال رأيت سيد المرسلين يفعله » قلت كأن حكمته امتثال قوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)

« الخصوصية الرابعة والسبعون انتظار العصر بعدها يعدل عمرة »

أخرج البيهقي في الشعب عن سهل بن سعد الساعدي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكم في كل جمعة حجة وعمرة فالحجة الهجيرة الى الجمعة والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والسبعون صلاة حفظ القرآن في ليلتها »

أخرج الترمذى والحاكم والبيهقي في الدعوات عن ابن عباس ان علياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدني اقدر عليه فقال الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ماتعلمت في صدرك اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم في ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهورة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخي يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع

فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان وقل في آخر ذلك اللهم ارحمنى بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنى وارحمنى ان اتكلف مالا يعنيني وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك ان تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى ان اتلوه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لساني وان تفرج به عن قلبي وتشرح به صدرى وان تعمل به بدنى فانه لا يعيننى على الحق إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً باذن الله تعالى والذى بعثنى بالحق ما اخطأ مؤمن قط قال ابن عباس فوالله مالبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله اني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فاذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فاذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم انس منها حرفاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة »

« الخصوصية السادسة والسبعون زيارة القبور يومها وليلتها »

أخرج الحكيم الترمذي فى نوادر الاصول والطبرانى فى الاوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو احدهما فى كل جمعة غفر له وكتب براً »

« الخصوصية السابعة والسبعون علم الموتى بزيارة الاحياء فيه »

أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقي في الشعب عن محمد بن واسع قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوماً بعده: وأخرجا عن الضحاك قال من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

(الخصوصية الثامنة والسبعون عرض اعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى فيه)

أخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً واشراقاً» *وأخرج احمد بسند جيد عن أبي هريرة قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن اعمال بنى ادم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم »

﴿ الخصوصية التاسعة والسبعون يقول الطير فيه سلام سلام يوم صالح ﴾

اخرجه ابن ابى الدنيا والبيهقى عن مطرف انه سمعه من الموتى يقولون ذلك كرامة له وهو بين النائم واليقظان * وأخرج الدينوري فى المجالسة عن بكر بن عبد الله المزنى قال ان الطير لتلقى الطير بعضها بعضاً ليلة الجمعة فتقول لها اشعرت ان الجمعة غداً

« الخصوصية الثمانون »

اخرج الطبرانى فى الاوسط عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا سبعون رجلا الى الجمعة كانوا كسبعين موسى الذين وفدوا الى ربهم او افضل »

« الخصوصية الحادية والثمانون »

اخرج الطبرانى والبيهقي فى الشعب والاصبهانى في الترغيب عن ابن عمر قال

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صام يوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم تصدق يوم الجمعة بما قل من ماله او كثر غفر له كل عمله حتى يصير كيوم ولدته امه » واخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس انه كان يحب ان يصوم الاربعاء والخميس والجمعة ويخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بصومهن وان يتصدق بما قل او كثر فان فيه الفضل الكثير * واخرج البيهقى وضعفه عن انس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس والجمعة بنى له قصراً في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب الله له براءة من النار » واخرج البيهقي عن ابى قتادة العدوى قال ما من يوم اكره إلي ان اصومه من يوم الجمعة ولا احب ان اصومه من يوم الجمعة قيل وكيف ذلك قال يعجبنى فى ايام متتابعات لما اعلم من فضيلته واكره ان اخصه من بين الايام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان نخصه من بين الايام * وقال سعيد بن منصور فى سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم قال اخبرنى رجل من جشم عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة ايام غرا من ايام الآخرة لا يشاكلها ايام الدنيا »

﴿ الخصوصية الثانية والثمانون ﴾

اخرج البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان واذا كان ليلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم أزهر »

« الخصوصية الثالثة والثمانون »

اخرج الاصبهانى عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين فى ليلة الجمعة يقرأ في كل واحدة منها بفاتحة الكتاب مرة واذا زلزلت خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت واعاذه من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة »

« الخصوصية الرابعة والثمانون »

أخرج ابو نعيم في الحلية عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت يوم الجمعة سلمت الايام » *

« الخصوصية السادسة والثمانون »

أخرج ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتى الباب ثم قال اللهم اجعلنى أوجه من توجه اليك وأقرب من تقرب اليك وأفضل من سألك ورغب اليك » قال النووي في الاذكار يستحب لنا نحن أن نقول من أوجه ومن أقرب ومن أفضل بزيادة من *

« الخصوصية السادسة والثمانون كراهة الحجامة فيه »

أخرج ابو يعلى عن الحسين بن على قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الجمعة لساعة لايحتجم فيها أحد إلا مات » وقد ورد النهي عن الحجامة يوم الجمعة من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم وابن ماجه وفي نسخة نبيط بن شريط من حديثه مرفوعاً « لايحتجم أحدكم يوم الجمعة ففيها ساعة من احتجم فيها فأصابه وجع فلايلومن إلا نفسه » *

« الخصوصية السابعة والثمانون حصول الشهادة لمن مات فيه »

أخرج حميد بن زنجويه من مرسل إياس بن بكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر » * وأخرج من مرسل عطاء قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « مامن مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الا وقى عذاب القبر وفتنة القبر ولقى الله لاحساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له »

« الخصوصية الثامنة والثمانون »

أخرج الاصبهانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من صلى الضحى اربع ركعات في يوم الجمعة في دهره مرة واحدة يقرأ بفاتحة الكتاب عشر مرات وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وقل أعوذ برب الناس عشر مرات وقل هو الله أحد عشر مرات وقل يا أيها الكافرون عشر مرات وا ية الكرسى عشر مرات في كل ركعة فاذا تشهد وسلم واستغفر سبعين مرة وسبح سبعين مرة قائلا سبحان الله والحمد لله ولاإله إلاالله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم رفع الله عنه شر أهل السموات وأهل الارض وشر الانس والجن »

« الخصوصية التاسعة والثمانون »

وقفة الجمعة تفضل غيرها من خمسة أوجه فيما ذكره القاضى بدر الدين ابن جماعة (أحدها) موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فان وقفته كانت يوم الجمعة وانما يختار له الافضل (الثانى) ان فيها ساعة إجابة (الثالث) انالاعمال تشرف بشرف الازمنة كما تشرف بشرف الامكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع فوجب أن يكونالعمل فيهأفضل(الرابع)ان فيالحديثأفضلالايام يوم عرفة اذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة أخرجه رزين (الخامس) اذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف قيل له قد جاء ان الله يغفر لجميع اهل الموقف مطلقاً فما وجه تخصيص ذلك بيوم الجمعة في هذا الحديث فأجاب بأن الله يحتمل أن يغفر لهمفيه بغير واسطة وفي غيره يهب قوماً لقوم *

« الخصوصية التسعون »

أخرج الاصبهانى فى الترغيب عن عبدالله بن عمرو رضى عنهما قال من كانت له حاجة الى الله فليصم الاربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تطهر وراح الى الجمعة فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فاذا صلى الجمعة قال اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لاإله إلا هو عالم الغيب

والشهادة الرحمن الرحيم واسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لااله إلا هو الحي القيوم الذى لاتأخذه سـنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والارض الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت القلوب من خشيته ان تصلى على محمد وان تعطيني حاجتي وهي كذا وكذا فانه يستجاب له * واخرج ابن السني فى عمل يوم وليلة عن عمرو بن قيس المزنى قال بلغنى ان من صام الاربعاء والجمعة ثم شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت بتسليم الامام وقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد عشر مرات ثم مد يده الى الله عز وجل ثم قال اللهم انى اسألك باسمك العلى الاعلى الاعلى الاعلى الاعز الاعز الاعز الاكرم الاكرم الاكرم لااله إلا الله الاجل العظيم الاعظم لم يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه عاجلا وآجلا ولكنكم تعجلون

« الخصوصية الحادية والتسعون »

(لاتفتح فيه أبواب جهنم وهذه غير الخصلة السابقة انها لاتسجر فيه)

اخرج ابونعيم عن ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان جهنم تسعر كل يوم وتفتح ابوابها الا يوم الجمعة فانها لاتفتح ابوابها ولا تسعر »

« الخصوصية الثانية والتسعون يستحب السفر ليلتها »

اخرج الطبرانى عن ام سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يسافر يوم الخميس » * واخرج في الاوسط عن كعب بن سعد قال « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر ويبعث بعثاً إلا يوم الخميس » وأصله في الصحيح ومن الاوسط أيضاً عن بريدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفراً خرج يوم الخميس »

« الخصوصية الثالثة والتسعون »

أخرج عبد الله بن احمد فى زوائد الزهد عن ثابت البنانى قال بلغنا « أن لله ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يطوفون ويكتبون من صلى ليلة

الجمعةويوم الجمعةفي جماعة»

« الخصوصية الرابعه والتسعون »

أخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق محمد بن عكاشة عن محمود بن معاوية ابن حماد الكرماني عن الزهرى قال « من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما قل هو الله أحد الف مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه»

(الخصوصية الخامسة والتسعون زيارة الاخوان في الله)

اخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنهقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولهتعالى(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض)الآيةقال ليس لطلب دنيا ولكن لعيادةمريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

(الخصوصية السادسة والتسعون)

(لاتكره فيه الصلاة بعد الصبح ولا بعد العصر عند طائفة)

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن طاوس قال يوم الجمعة صلاة كله وان صح ذلك كان فيه تأييد لكون ساعة الاجابة قبل الغروب ولا يرد انها ليست بساعة صلاة *

(الخصوصية السابعة والتسعون)

أخرج الدارقطنى في الغرائب والخطيب فى رواة مالك عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم«من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة فذلك مائتا مرة فى أربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله في الجنة أو يرى له » *

« الخصوصية الثامنة والتسعون »

أخرج الديلمي عن عائشة مرفوعا« لايفقه الرجل كل الفقه حتى يترك مجلس قومه عشية الجمعة »*

« الخصوصية التاسعة والتسعون »

أخرج ابن سعد في طبقاته عن الحسن بن على رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة يقول عبادي جاؤنى سعياً يتعرضون لرحمتى فاشهدكم أنى غفرت لمحسنهم وشفعت محسنهم في مسيئهم واذا كان يوم الجمعة فمثل ذلك »

« الخصوصية الموفية للمائة »

قال الخطيب فى تاريخه أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم الضبي حدثنى ابو على الحسين بن على الحافظ حدثنا ابو جعفر احمد بن حمدان العابد حدثنا اسحاق بن ابراهيم القفصي حدثنا خالد بن يزيد العمري ابو الوليد حدثنا ابن ابى ذئب حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبدالله يقول عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعي به على شيء من المشرق الى المغرب فى ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا اله الا انت ياحنان يامنان يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام

« الخصوصية الحادية بعد المائة »

أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهرة منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد الا المؤذنون المحتسبون * هذا آخر خصائص الجمعة والله أعلم *

(تمت الرسالة)

تفسير

سورة الكوثر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

« المتوفى سنة ٧٢٨ هـ »

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربك وانحر * إنّ شانئك هو الأبتر *

قال شيخ الاسلام أبو العباس احمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رحمه الله

سورة الكوثر ما أجلها من سورة وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة معناها تعلم من آخرها فانه سبحانه تعالى يبتر شانىء رسوله من كل خير فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده فيبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والايمان برسله ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة ويبتره من الانصار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً ويبتر جميع القرب والاعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة وان باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ورده لاجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره كمن شنأ آيات الصفات وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله منها وحملها على ما يوافق

مذهبه ومذهب طائفته أو تمنى أن لا تكون آيات الصفات أنزلت ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن أقوى علامات شنأته لها وكراهته لها انه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على مادلت عليه من الحق اشمأز من ذلك وحاد عن ذلك لما في قلبه من البغض لها فأي شنأ للرسول أعظم من هذا وكذلك اهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد والدفوف والشبابات واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ في مجالسهم استطالوا ذلك واستثقلوه فأي شيء اعظم من هذا وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب

وكذا من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا انه شانيء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى أن بعضهم لينسى القرآن بعد ان حفظه ويشتغل بقول فلان وفلان ولكن من أعظم شنأه ورده من كفر به وجحده وجعله أساطير الاولين وسحراً يؤثر فهذا أعظم وأطم انبتاراً وكل من شنأه له نصيب من الانبتار على قدر شنيئه له فهؤلاء شنؤه وعادوه جازاهم الله بأن يجعل الخير كله معادياً لهم فبترهم منه وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذى آتاه الله فى الدنيا والآخرة فما أعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرة العين والنفس وانشراح الصدر ونعم قلبه بذكره وحبه بحيث لايشبه نعيمه نعيم فى الدنيا البتة وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود وجعله أول من يفتح له ولامته باب الجنة وأعطاه فى الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة الى غير ذلك وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم وهذا ضد حال الابتر الذي يشنأه ويشنأ ماجاء به .

وقوله (شانئك) أي مبغضك والابتر المقطوع النسل الذى لا يولد له خير ولاعمل صالح فلايتولد عنه خير ولاعمل صالح * قيل لابى بكر بن عياش ان بالمسجد قوماً يجلسون ويجلس اليهم فقال من جلس للناس جلس الناس اليه ولكن

أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم لان أهل السنة أحيوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البدعة أماتوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكان لهم نصيب من قوله (إن شانئك هو الابتر) فالحذر الحذر أيها الرجل أن تكره شيئا مما جاء به الرسول أوترده لاجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك أو لاجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فان الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والاخذ بما جاء به بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله عن مخالفة أحدما فكان من اطيع أو يطاع تبعا للرسول ولو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما اطيع

فاعلم ذلك واسمع وأطع واتبع ولاتبتـدع تـكن أبتر مردوداً عملك بل لاخير في عمل أبتر من الاتباع ولاخير فى عامله : وقوله (إنا أعطيناك الـكوثر) تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معط كبير غنى واسع وانه تعالى وملائكته وجنده معه: صدر الآية بان الدالة على التأكيد وتحقيق الخبر وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيـق وانه أمر ثابت واقع ولايدفعه مافيه من الايذان بأن اعطاء الكوثر سابق بالقـدر الاول حين قدرت مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين الف سنة وحذف موصوف الكوثر ليكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعيين وأتى بالصـفة أي انه سبحانه وتعالى قال (إنا أعطيناك الـكوثر) والـكوثر المعروف انما هو نهر في الجنـة كما قد وردت به الاحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس الكوثر هو الخير الـكثير الذى أعطاه الله إياه واذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشرمرات فماالظن بما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أعده الله له فيها فالـكوثر علامة وامارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزيادتها وسمو المنزلة وارتفاعها وانذلك النهر وهو الـكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء وأعذبها وأعلاها

وكذلك انه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى وتمامه كقوله زيد العالم زيد الشجاع أي لاأعلم منه ولاأشجع وكذلك قوله (إنا أعطيناك الـكوثر)

دل على انه أعطاه الخير كله كاملا موفراً وان نال منه بعض أمته شيئا كان ذلك ناله ببركة اتباعه والاقتداء به مع ان له صلى الله عليه وآله وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء ففيه الاشارة الى ان الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينتقص من أجورهم فانه هو السبب فى هدايتهم ونجاتهم فينبغي بل يجب على العبد اتباعه والاقتداء به وأن يمتثل ما أمره به ويكثر من العمل الصالح صوما وصلاة وصدقة وطهارة ليكون له مثل أجره فانه اذا فعل المحظور مع ترك المأمور قوى وزره وصعبت نجاته لارتكابه المحظور وتركه المأمور وان فعل المأمور وارتكب المحظور دخل فيمن يشفع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه ناله مثل أجر مافعله من المأمور والى الله إياب الخلق وعليه حسابهم وهو أعلم بحالهم أي بأحوال عباده فان شفاعته لاهل الكبائر من أمته والمحسن انما أحسن بتوفيق الله له والمسيء لاحجة له ولاعذر

والمقصود ان الكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذى أعطاه الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة وهذا غير مايعطيه الله من الاجر الذى هو مثل أجور أمته الى يوم القيامة فكل من قرأ أو علم أو عمل صالحا أو علم غيره أو تصدق أو حج أو جاهد أو رابط اوتاب اوصبر او توكل او نال مقاما من المقامات القلبية من خشية وخوف ومعرفة وغير ذلك فله مثل أجره من غير أن ينقص من اجور ذلك العامل والله اعلم

وقوله (فصل لربك وانحر) أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب الى الله والى عدته وأمره وفضله وخلفه عكس حال أهل الكبر والتنفر وأهل الغنى عن الله الذين لاحاجة فى صلاتهم الى ربهم يسألونه إياها والذين لاينحرون له خوفا من الفقر وتركا لاعانة الفقراء واعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى (قل ان صلاتى ونسكي ومحياي ومماتى لله رب العالمين)

والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه والمقصود ان الصلاة والنسك وهوالنحر مما أجل مايتقرب به الى الله فانه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لان فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما اعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان بل الصلاة أفضل نهايات العبادة وغاية الغايات كأنه يقول (إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لاجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكراً لانعامنا عليك وهما السبب لانعامنا عليك بذلك فقم لنا بهما فان الصلاة والنحر محفوفان بانعام قبلهما وانعام بعدهما وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنيّة الصلاة ومايجتمع للعبد فى الصلاة لايجتمع له في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية ومايجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما فى يدالله أمر عجيب اذا قارن ذلك الايمان والاخلاص وقد امتثل النبى صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها

وفي قوله (انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر)[1] اشارة الى انك لاتأسف على شيء من الدنيا كما ذكر ذلك فى آخر طه والحجرات وغيرذلك وفيها الاشارة الى ترك الالتفات الى الناس ومايناللك منهم بل صل لربك وانحر : وفيها التعريض بحال الابتر الشانيء الذي صلاته ونسكه لغير الله

وفي قوله (ان شانئك هو الابتر) أنواع من التأكيد : أحدها تصدير الجملة بأن * الثانى الاتيان بضمير الفصل الدال على قوة الاسناد والاختصاص * الثالث مجيء الخير على افعل التفضيل دون اسم المفعول * الرابع تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه وانه أحق به من غيره ونظير هذا في التأكيد قوله (لاتخف انك أنت الاعلى)[2]

ومن فوائدها اللطيفة الالتفات في قوله (فصل لربك وانحر) الدالة على ان ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له والله أعلم

(تمت الرسالة)

١ ـ الكوثر ١ ـ ٣
٢ ـ سورة طه ٦٨

رسالة

في علم الباطن والظاهر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسألة) في طائفة من المتفقرة يدعون أن للقرآن باطناً وان لذلك الباطن باطناً الى سبعة أبطن ويروون في ذلك حديثاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «للقرآن باطن وللباطن باطن الى سبعة أبطن» ويفسرون القرآن بغير المعروف عن الصحابة والتابعين والائمة من الفقهاء ويزعمون أن علياً قال لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب كذا وكذا حمل جمل ويقولون انما هو من علمنا إذ هو اللدنى ويقولون كلاماً معناه أن رسول صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم فانه امر قوماً بالامساك وقوما بالانفاق وقوما بالكسب وقوما بترك الكسب ويقولون ان هذا ذكرته أشياخنا في العوارف وغيره من كتب المحققين وربما ذكروا أن حذيفة كان يعلم أسماء المنافقين خصه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحديث أبي هريرة «حفظت جرابين من علم» ويروون كلاما عن أبي سعيد الخراز أنه قال: للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة يتكلمون فيها بلسان الابدية يخبرون عنها بلسان الازلية ويقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل

الغرة بالله» فهل ما ادعوه صحيحا أم لا . فسيدي يبين لنا مقالاتهم فان المملوك وقف على كلام لبعض العلماء ذكر فيه أن الواحدي قال: ألف أبو عبد الرحمن السلمي كتابا سماه حقائق التفسير ان صح عنه فقد كفر ووقفت على هذا الكتاب فوجدت كلام هذه الطائفة منه وما شابهه فما رأى سيدي في ذلك وهل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «للقرآن باطن» الحديث يفسرونه على ما يرونه من أذواقهم ومواجيدهم المردودة شرعا أفتونا مأجورين

أجاب الشيخ رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين . أما الحديث المذكور فمن الاحاديث المختلقة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفا أو مرسلا «أن لكل آية ظهراً وبطنا وحداً ومطلعا» وقد شاع في كلام كثير من الناس: علم الظاهر وعلم الباطن وأهل الظاهر وأهل الباطن ودخل في هذه العبارات حق وباطل وقد بسط هذا في غير هذا الموضع لكن نذكر هنا جملا من ذلك فنقول: قول الرجل: الباطن اما أن يريد علم الامور الباطنة مثل العلم بما في القلوب من المعارف والاحوال والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل واما أن يريد العلم الباطن الذي يبطن عن فهم أكثر الناس أوعن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك فاما الاول فلا ريب ان العلم منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب ومنه ماهو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن احساسهم وأصل الايمان هو الايمان بالغيب كما قال تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب)[1] والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الامور العامة ويدخل في ذلك الايمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار فالايمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الايمان بالغيب فان وصف الرسالة هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر كما ذكر الله تعالى في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين)[2] وقال

١ - البقرة ٢-٣

٢ - البقرة ١٧٧

(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)[١]
والعلم بأصول القلوب كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة والارادات الصحيحة والفاسدة والعلم بمعرفة الله ومحبته والاخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء له والحب فيه والبغض والرضا بحكمه والانابة اليه والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر والخيلاء وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمور باطلة في القلوب ونحوه قد يقال له علم الباطن أى علم بالامر الباطن فالمعلوم هو الباطن وأما العلم الظاهر فهو ظاهر يتكلم به ويكتب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام السلف وأتباعهم بل غالبه أى القرآن هو من هذا العلم فان الله أنزل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين بل هذا العلم هو العلم بأصول الدين فان اعتقاد القلب أصل لقول اللسان وعمل القلب أصل لعمل الجوارح والقلب هو ملك البدن كما قال ابو هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده * وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ألا وأن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب» ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالايمان ودفع النفاق كان منافقا ان ظهر الاسلام فان الاسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية ولكن الايمان في القلب كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وكلام الصحابة والتابعين والاحاديث والآثار في هذا أكثر منها في الاجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير كثير ولكن هذا العلم ظاهر موجود مقول باللسان مكتوب في الكتب ولكن من كان بأمور القلب اعلم كان أعلم به وأعلم بمعاني القرآن والحديث* وعامة الناس يجدون هذه الامور في أنفسهم ذوقا ووجداً فتكون محسوسة لهم بالحس الباطن لكن الناس في حقائق الايمان متفاضلون تفاضلا عظيما فأهل الطبقة العليا يعلمون أهل السفلى من غير

[١] ـ النساء ١٣٦

عكس كما ان أهل الجنة في الجنة ينزل الاعلى الى الاسفل ولا يصعد الاسفل الى الاعلى والعالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لايعرف العالم لانه لم يكن عالماً فلهذا كان في حقائق الايمان الباطنة وحقائق أبناء الغيب التى اخبرت بها الرسل مالا يعرفه الا خواص الناس فيكون هذا العلم باطناً من جهتين من جهة المعلوم باطناً ومن جهة كون العلم باطناً لايعرفه أكثر الناس ثم ان هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل مالا يدخل في غيره فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة

فصل

وأما اذا أريد بالعلم الباطن العلم الذى يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر والثاني لايخالف فأما الاول فباطل فمن ادعى علماً باطناً أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً أما ملحدا زنديقاً وإما جاهلا ضالا وأما الثاني فهو بمنزلة العلم الظاهر قد يكون حقاً وقد يكون باطلا فأن الباطن اذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم فان علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيلية والنصيرية وأمثالهم وممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين وشر هؤلاء القرامطة فانهم يدعون ان للقرآن والاسلام باطناً يخالف

فيقولون الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة أو هذه الصلاة انما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج السفر الى زيارة شيوخنا المقدسين ويقولون أن الجنة للخاصة هي التمتع في الدنيا باللذات والنار هي التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها ويقولون ان الدابة التى يخرجها الله هى العالم الناطق بالعلم في كل وقت وان اسرافيل الذى ينفخ في الصور هو العالم الذى ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا وجبريل هو العقل الفعال

الذى تفيض منه الموجودات والقلم هو العقل الاول الذى تزعم الفلاسفة أنه المبدع الاول وأن الكواكب والقمر والشمس التى رآها ابراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود وأن الانهار الاربعة التى رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الاربعة وأن الاشياء التى رآها في السماء هي الكواكب فآدم هو القمر ويوسف هو الزهرة وادريس هو الشمس وامثال هذه الامور فقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين المتصوفين لكن اؤلئك القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفرونهم ولكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون عليًا على أبي بكر وفيهم من يفضل عليًا في العلم الباطن كطريقة الحربي وأمثاله ويدعون أن عليًا كان أعلم بالباطن وأن هذا العلم أفضل من جهة: وأبو بكر كان أعلم بالظاهر وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم فانهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ان أبا بكر أعلم الامة بالباطن والظاهر وحكى الاجماع على ذلك غير واحد وهؤلاء الباطنية قد يفسرون (وكل شيء أحصيناه في امام مبين)[1] أنه على ويفسرون قوله تعالى (تبت يدا ابى لهب وتب)[2] بأنهما ابوبكر وعمر وقوله (فقاتلوا أئمة الكفر)[3] أنهم طلحة والزبير و(الشجرة الملعونة)[4] في القرآن بأنها بنو أمية

وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى (اذهب الى فرعون)[5] أنه القلب و (إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة)[6] أنها النفس ويقول (اولئك) هي عائشة ويفسرون هم والفلاسفة تكليم موسى بما يفيض عليه من العقل الفعال أو غيره ويجعلون (خلع النعلين) ترك الدنيا والآخرة ويفسرون الشجرة التى كلم منها موسى والوادي المقدس ونحو ذلك بأحوال تعرض للقلب عند حصول المعارف له وممن سلك ذلك صاحب مشكاة الانوار وأمثاله وهي مما أعظم المسلمون انكاره عليه وقالوا أمرضه الشفاء وقالوا دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر . ومن الناس من يطعن في هذه الكتب ويقول انها

١ - يس ١٢
٢ - المسد ١
٣ - التوبة ١٢
٤ - الاسراء ٦٠
٥ - طه ٢٤
٦ - البقرة ٦٧

مكذوبة عليه وآخرون يقولون بل رجع عنها وهذا أقرب الاقوال فانه قد صرح بكفر الفلاسفة في مسائل وتضليلهم في مسائل أكثر منها وصرح بأن طريقتهم لا توصل الى المطلوب

وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة أو الشياطين بقوى النفس وما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والالم لا باثبات حقائق منفصلة يتنعم بها ويتألم بها وقد وقع في هذا الباب من كلام كثير من متأخرى الصوفية مالم يوجد مثله من أئمتهم ومتقدميهم كما وقع في كلام كثير من متأخرى أهل الكلام والنظر من ذلك مالا يوجد من أئمتهم ومتقدميهم: وهؤلاء المتأخرون مع ضلالهم وجهلهم يدعون أنهم أعلم وأعرف من سلف الامة ومتقدميها حتى آل الامر بهم الى أن جعلوا الوجود واحداً كما فعل ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله كأنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين وهم يدعون مع ذلك ان الشيوخ المتقدمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التسترى وابراهيم الخواص وغيرهم ماتوا وما عرفوا التوحيد وينكرون على الجنيد وأمثاله اذا ميزوا بين الرب والعبد كقوله التوحيد أفراد الحدوث عن القوم ولعمرى ان توحيدهم الذى جعلوا فيه وجود المخلوق وجود الخالق هو من أعظم الالحاد الذى انكره المشايخ المهتدون وهم عرفوا أنه باطل وأنكروه وحذروا الناس منه وأمروهم بالتمييز بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والقديم والمحدث وأن التوحيد ان يعلم مباينة الرب لمخلوقاته وامتيازه عنها وأنه ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته ثم انهم يدعون انهم أعلم بالله من المرسلين وان الرسل انما تستفيد معرفة الله من مشكاتهم ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل كقولهم (مما خطيئتهم)[1] فهي التى خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وقولهم ان العذاب مشتق من العذوبة ويقولون ان كلام نوح في حق قومه ثناء عليهم بلسان الذم ويفسرون قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون)[2] بعلم

١ ـ نوح ٢٥
٢ ـ البقرة ٦

الظاهر بل ختم الله على قلوبهم فلا يعلمون غيره وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره فانه لا غير له فلا يرون غيره أو يقولون في قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)[١] ان معناه قدر ذلك انه ليس موجود سواه فلا يتصور ان يعبد غيره فكل من عبد الاصنام والعجل ماعبد غيره لانه ماثم غير وأمثال هذه التأويلات والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً انها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين : وجماع القول في ذلك ان هذا الباب نوعان أحدهما ان يكون المعنى المذكور باطلا لكونه مخالفاً لما علم فهذا هو في نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه إلا باطلا لان الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي انه حق: والثاني ما كان في نفسه حقاً لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذي يسمونه اشارات : وحقائق التفسير لابى عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير * وأما النوع الاول فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين فى اصول دينهم فان من علم ان السابقين الاولين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه علم ان كل ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل ومن أقر بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم ان من تأول نصاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد افترى : ومن علم ان الخمر والفواحش محرمة على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم ان من تأول نصاً يقتضي تحليل ذلك لبعض الناس انه مفتر:

وأما النوع الثانى فهو الذى يشتبه كثيراً على بعض الناس فان المعنى يكون صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه ولكن الشأن في كون اللفظ الذى يذكرونه دل عليه وهذا قسمان احدهما ان يقال ان ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله فمن قال المراد بقوله (تذبحوا بقرة)[٢] هي النفس وبقوله (اذهب الى فرعون)[٣] هو القلب (والذين معه)[٤] أبو بكر (أشداء على الكفار)[٤] عمر (رحماء بينهم)[٤] عثمان (ركعاً سجداً)[٤] على فقد كذب على الله أما متعمداً واما مخطئاً

والقسم الثانى أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة

١ ـ الاسراء ٢٣
٢ ـ البقرة ٦٧
٣ ـ طه ٢٤
٤ ـ الفتح ٢٩

اللفظ فهو من نوع القياس فالذى تسميه الفقهاء قياساً هو الذى تسميه الصوفية أشارة وهذا ينقسم الى صحيح و باطل كانقسام القياس الى ذلك فمن سمع قول الله تعالى (لايمسه إلا المطهرون)[1] وقال انه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذى كتب فيه حروف القرا ن لايمسه إلا بدن طاهر فمعانى القرآن لايدريها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً: ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف قال تعالى(الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين)[2] وقال (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)[3] وقال(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[4] وأمثال ذلك : وكذا من قال لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)[5] وقال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا)[6] وأمثال ذلك

وكتاب حقائق التفسير لابي عبد الرحمن السلمي يتضمن ثلاثة أنواع : أحدها نقول ضعيفة عمن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق فان أكثره باطل عنه والائمة فيه من موقوف ابن عبد الرحمن وقد تكلم أهل المعرفة في نفس رواية أبي عبد الرحمن حتى كان البيهقى اذا حدث عنه يقول حدثنا من أصل سماعه : والثاني أن يكون المنقول صحيحاً لكن لعل الناقل أخطأ فيما قال *والثالث منقول صحيح عن قائل مصيب فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره اذا فسر به الخطاب فهو خطأ وان ذكر على سبيل الاشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلا : وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد فى آيات الله محرف الكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والالحاد وهو معلوم

١ ـ الواقعة ٧٩
٢ ـ البقرة ١-٢
٣ ـ آل عمران ١٣٨
٤ ـ المائدة ١٦
٥ ـ المائدة ٤١
٦ ـ الأعراف ١٤٦

البطلان بالاضطرار من دين الاسلام

وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ فهذا اذا صح عمن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقاً وقد يكون باطلا ولكن ينبغي أن يعرف أنه كذب على علي واهل بيته لا سيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة حتى أن الاسماعيلية والنصيرية يضيفون مذهبهم اليه وكذلك المعتزلة وكذلك خرقة التصوف يقولون ان الحسن البصرى صحبه وانه دخل المسجد فرأى الحسن يقص مع القصاص فقال ما صلاح الدين قال الورع قال فما فساده قال الطمع فأقره واخرج غيره: وقد اتفق اهل المعرفة بالمنقولات ان الحسن لم يصحب علياً ولم يأخذ عنه شيئا وانما اخذ عن اصحابه كالأحنف بن قيس وقيس بن سعد ابن عبادة وامثالهما ولم يقص الحسن في زمن علي بل ولا في زمن معاوية وانما قص بعد ذلك وقد كان في زمن علي يكذبون عليه حتى كان الناس يسألونه كما ثبت فى الصحيحين «انه قيل له هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يقرءونه فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا هذه الصحيفة وفيها اسنان الابل وفكاك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر» وفي لفظ «هل عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا لم يعهده الى الناس فقال لا» وفي لفظ «الا فهما يؤتيه الله لعبد فى كتابه»

واما العلم اللدني فلا ريب ان الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم بما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال عليّ والا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه: وفي الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتا واذاً لآتيناهم من لدنا

اجراً عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)[١] فقد اخبر انه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطا مستقيما وقال تعالى (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[٢] وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)[٣] وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)[٤] وقال تعالى (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين)[٥] وقال تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)[٦] وقال تعالى (هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة لقومٍ يؤمنون)[٧] واخبر ان اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)[٨] وقوله (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عندالله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)[٩] اى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وتقلب افئدتهم أى يتركون الايمان ونحن نقلب افئدتهم لكونهم لم يؤمنوا اول مرة اى ما يدريكم انه لا يكون هذا وهذا حينئذ

ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال ان بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ أنها احسن من قراءة الكسر وهذا باب واسع والناس في هذا الباب على ثلاثة اقسام طرفان ووسط فقوم يزعمون ان مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر * وقوم يقولون لا أثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالادلة الشرعية او العقلية واما الوسط فهو ان ذلك من اعظم الاسباب معاونة على نيل العلم بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافياً بل لابد من امر آخر اما العلم بالدليل فيما لا يعلم الا به واما التصور الصحيح لطرفي القضية بالعلوم الضرورية : واما العلم النافع الذى تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل الا باتباع الكتب التى جاءت بها الرسل قال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل

١ ـ النساء ٦٦ ـ ٦٨
٢ ـ المائدة ١٦
٣ ـ محمد ١٧
٤ ـ الكهف ١٣
٥ ـ البقرة ٢
٦ ـ الجاثية ٢٠
٧ ـ الأعراف ٢٠٣
٨ ـ الصف ٥
٩ ـ الأنعام ١٠٩ ـ ١١٠

ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن)[١] الخ وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين)[٢] فمن ظن ان الهدى والايمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل : واضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق اهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا العمل بموجب العلم او سلك في العمل والزهد طريق اهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا اعتبار العمل بالعلم فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع واعرض اولئك عن العمل والشرع فضل كل منهما من هذين الوجهين وتباينوا تبايناً عظيماً حتى اشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم واشبه هؤلاء النصارى الضالين بل صار كل منهما شراً من اليهود والنصارى كالقرامطة والاتحادية وامثالهم من الملاحدة الفلاسفة ٠

فصل

واما قول القائل ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم الخ فهذا الكلام له وجهان ان اراد به ان الاعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف احوالهم فهذا لاريب فيه فانه ليس مايؤمر به الفقير كما يؤمر به الغنى ولا مايؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح ولا مايؤمر به عند المصائب هو مايؤمر به عند النعم ولا ماتؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة ولا ماتؤمر به الائمة كالذى تؤمر به الرعية فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع احوالهم كما قد يشتركون في اصل الايمان بالله وتوحيده والايمان بكتبه ورسله : وان اراد به ان الشريعة في نفسها تختلف وان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب زيداً بخطاب يناقض ما خاطب به عمراً او اظهر لهذا شيئاً يناقض ما اظهره لهذا كما يرويه الكذابون ان عائشة

١ ـ طه ١٢٣-١٢٧
٢ ـ الزخرف ٣٦

سألته هل رأيت ربك فقال لا وسأله أبو بكر فقال نعم وانه أجاب عن مسألة واحدة بجوابين متناقضين لاختلاف حال السائلين فهذا من كلام الكذابين المفترين بل من كلام الملاحدة المنافقين فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ماينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين » والحديث فى سنن أبى داود وغيره وكان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم ابن أبي سرح فجاء به عثمان ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ثم قال أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أعرضت عن هذا فيقتله فقال بعضهم هلا أومضت إلي يارسول الله فقال « ماينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين» وهذا مثاله فى استواء ظاهره وباطنه وسره وعلانيته وانه لايبطن خلاف مايظهر على عادة المكارين المنافقين ولاريب ان القرامطة وأمثالهم من الفلاسفة يقولون انه أظهر خلاف ما أبطن وانه خاطب العامة بأمور أراد بها خلاف ماأفهمهم لاجل مصلحتهم اذ كان لايمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق: وقد زعم ذلك ابن سينا وأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم من الفلاسفة والقرامطة الباطنية فان ابن سينا كان هو وأهل بيته من أتباع الحاكم القرمطي العبيدى الذي كان بمصر * وقول هؤلاء كما انه من أكفر الاقوال فجهلهم من أعظم الجهل وذلك انه اذا كان الامر كذلك فلابد أن يعلمه أهل العقل والذكاء من الناس واذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمانه كما يمتنع تواطؤهم على الكذب فانه كما يمتنع في العادة تواطؤ الجميع على الكذب يمتنع تواطؤهم على كتمان ماتتوفر الهمم والدواعي على بيانه ألا ترى الباطنية ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس وسعوا في ذلك بكل طريق وتواطؤا عليه ماشاء الله حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم ثم انهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع اذكياء الناس من موافقيهم ومخالفيهم وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم ورفع أستارهم ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم ولاثقة بما يخبرون به ولاالتزام طاعة ما يأمرون * وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر

به وبما يأمر به وحينئذ فينتقض عليه جميع ماخاطب به الناس فانه مامن خطاب يخاطبهم به الا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلايثقون بأخباره وأوامره فيختل عليـه الامر كله فيكون مقصوده صلاحهم فيعود ذلك بالفساد العظيم بل كل من وافقه فلابد أن يظهر خلاف ماأبطن كأتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم لاتجـد أحداً من موافقيهم الا ولابد أن يبين ان ظاهره خلاف باطنـه ويحصل لهم بذلك من كشف الاسرار وهتك الاستار مايصيرون به من شرار الكفار واذا كانت الرسل تبطن خلاف ماتظهر فاما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكنـــاً لغيرهم واما أن لايكون فان لم يكن ممكنـــاً كان مدعي ذلك كذاباً مفترياً فبطل قول هؤلاء الملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم وان كان العلم بذلك ممكناً علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر وليس لمن يعلم ذلك حد محدود بل اذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر . ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وامره لايعتقدون باطن ما أخبر به ولا ماأمر بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره مايظهر لكل أحد ولاتجد في أهل الايمان من يحسن بهم الظن بل يظهر فسقهم ونفاقهم لعوام المؤمنين فضلا عن خواصهم وأيضاً فمن كانت هذه حاله كان خواصه اعلم الناس بباطنه والعلم بذلك يوجب الانحلال في البـاطن ومن علم حال خاصة النبي صلى الله عليه وسلم كابى بكر وعمر وغيرهما من السابقين الاولين علم أنهم كانوا اعظم الناس تصديقاً لبـاطن امر خبره وظاهره وطاعتهم له في سرهم وعلانيتهم ولم يكن احد منهم يعتقد فى خبره وامره ماينافض ظاهر مابينه لهم ودلهم عليه وارشدهم اليه ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف مادل عليه لا فيما اخبر به الله عن اسمائه وصفاته ولافيما اخبر به عما بعد الموت وان ماظهر من هذا ماظهر الا ممن هو عنـد الأمة من اهل النفاق والاتحاد كالقرامطة والفلاسفة والجهمية نفاة حقائق الاسماء والصفات ومن تمام

هذا ان تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص احداً من اصحابه بخطاب في علم الدين قصد كتمانه عن غيره ولكن كان قد يسأل الرجل عن المسألة التى لايمكن جوابها فيجيب بما ينفعه كالاعرابي الذى سأله عن الساعة والساعة لايعلم متى هى فقال «ما اعددت لها ؟ فقال مااعددت لها من كثير عمل ولكنى أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب» فأجابه بالمقصود من علمه بالساعة ولم يكن يخاطب اصحابه بخطاب لايفهمونه بل كان بعضهم اكمل فهماً لكلامه من بعض كما في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله قال « ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ماعند الله فبكى ابو بكر وقال بل نفديك بأنفسنا واموالنا يارسول الله فجعل الناس يعجبون أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وابو بكر أعلمنا به » فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبداً مطلقاً لم يعينه ولا في لفظه مايدل عليه لكن ابو بكر لكمال معرفته بمقاصد الرسول علم انه هو ذلك العبد فلم يخص عنهم بباطن يخالف الظاهر بل يوافقه ولا يخفي مفهوم لفظه ومعناه:

وأما ما يرويه بعض الكذابين عن عمر أنه قال« كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما» فهذا من أظهر الاكاذيب المختلقة لم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من كتب أهل العلم وهو من أظهر الكذب فان عمر أفضل الامة بعد أبي بكر وهو المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو أفضل المخاطبين المحدثين من هذه الامة فاذا كان هو حاضراً يسمع الالفاظ ولم يفهم الكلام كالزنجي فهل يتصور ان يكون غيره افهم منه لذلك فكيف من لم يسمع ألفاظ الرسول بل يزعم ان ما يدعيه من المعاني هى تلك المعاني بمجرد الدعوى التى لو كانت مجردة لم تقبل فكيف اذا قامت البينة على كذب مدعيها

وأماحديث حذيفة فقد ثبت في الصحيح ان حذيفة كان يعلم السر الذي

لايعلمه غيره وكان ذلك ما أسره اليه النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك من أعيان المنافقين فانه روى أن جماعة من المنافقين أرادوا أن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط عن بعيره فيموت وانه أوحى اليه بذلك وكان حذيفة قريباً منه فأسر اليه أسماءهم : ويقال ان عمر لم يكن يصلي على أحد حتى يصلي عليه حذيفة وهذا ليس فيه شيء من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر فان الله قد ذكر في كتابه من صفات المنافقين وأخبارهم ماذكره حتى ان سورة «براءة» سميت الفاضحة لكونها فضحت المنافقين وسميت المبعثرة وغير ذلك من الاسماء لكن القرآن لم يذكر فلاناً وفلاناً فاذا عرف بعض الناس ان فلاناً وفلاناً من هؤلاء المنافقين الموصوفين كان ذلك بمنزلة تعريفه ان فلانا وفلاناً من المؤمنين الموعودين بالجنة فاخباره صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة كاخباره ان اؤلئك منافقون وهذا اذا كان من العلم الباطن فهو من الباطن الموافق للظاهر المحقق له المطابق له ونظيره في الامر ما يسمى تحقيق المناط وهو ان يكون الشارع قد علق الحكم بوصف فنعلم ثبوته في حق المعين كأمره باستشهاد ذوى عدل ولم يعين فلاناً وفلاناً فاذا علمنا ان هذا ذوعدل كنا قدعلمنا ان هذا المعين موصوف بالعدل المذكور في القرآن وكذلك ما حرم الله الخمر والميسر فاذا علمنا ان هذا الشراب المصنوع من الذرة والعسل خمراً علمنا انه داخل في هذا النص فعلمنا بأعيان المؤمنين وأعيان المنافقين هو من هذا الباب وهذا هو من تأويل القرآن وهذا على الاطلاق لا يعلمه إلا الله فان الله يعلم كل مؤمن وكل منافق ومقادير ايمانهم ونفاقهم وما يختم لهم وأما الرسول فقد قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) والله يطلع رسوله ومن شاء من عباده على مايشاء من ذلك

وأما حديث أبي هريرة فهو صحيح قال «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين فأما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم»

ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء بل ولا فيه من حقائق الدين وانما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار والفتن ما يكون بين المسلمين ولهذا قال عبد الله بن عمر لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة واظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك وأعوانهم لما فيه من الاخبار بتغير دولهم: ومما يبين هذا انأبا هريرة انما أسلم عام خيبر فليس هو من السابقين الاولين ولا من أهل بيعة الرضوان وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم ولكن أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ذات يوم حديثه «أيكم يبسط ثوبه فلا ينسى شيئاً سمعه ففعل ذلك أبو هريرة» وقد روى انه كان يجزىء الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً يصلي وثلثا ينام وثلثا يدرس الحديث ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثاً يوافق الباطنية ولا حديثا يخالف الظاهر المعلوم من الدين ومن المعلوم انه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه احد شيئاً منه بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين وقد روى من احاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق اصول أهل الايمان ويخالف قول أهل البهتان .

وأما ما يروى عن أبي سعيد الخراز وأمثاله في هذا الباب ما يذكره أبو طالب في كتابه وغيره وكلام بعض المشايخ الذي يظن انه يقول بباطن يخالف الظاهر وما يوجد من ذلك في كلام أبي حامد الغزالي أو غيره فالجواب عن هذا كله ان يقال ما علم من جهة الرسول فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وما عارض ذلك فاما ان يكون نقلا عن غير صدق أو قولا لغير معصوم فان كثيراً مما ينقل عن هؤلاء كذب عليهم والصدق من ذلك فيه ما أصابوا فيه تارة وأخطأوا فيه اخرى وأكثر عباراتهم الثابتة ألفاظ مجملة متشابهة لو كانت من الفاظ المعصوم

لم تعارض الحكم المعلوم فكيف اذا كانت من قول غير المعصوم — وقد جمع أبو الفضل السهلكي كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه النور من كلام طيفور فيه شيء لاريب انه كذب على أبي يزيد البسطامي وفيه اشياء من غلط أبي يزيد رحمة الله عليه وفيه اشياء حسنة من كلام ابي يزيد وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فانا منكم برىء فعارضه الآخر[1] وقال قلت لمريدى ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فأنا منكم برىء فصدق هذا النقل عنه ثم جعل هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه ان كان قد علم ما اخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبائر وان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان تطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح وابراهيم وموسى وعيسى فيمتنعون ويعتذرون ثم صدق ان مريدى أبي يزيد أو غيره يمنعون أحداً من الامة من دخول النار أو يخرجون هم كل من دخلها كان ذلك كفراً منه بما اخبر به الصادق المصدوق بحكاية منقولة كذب ناقلها او اخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لايعلم ما أخبر به الرسول كان من اجهل الناس بأصول الايمان — فعلى المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجتهد في ان يعرف ما اخبر به الرسول وامر به علما يقيناً وحينئذ فلا يدع الحكم المعلوم للمشتبه المجهول فان مثال ذلك مثل من كان سائراً الى مكة في طريق معروفة لاشك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لايعرفها ولا يعرف منتهاها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لايدرى هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك: واما من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق المعروفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذا حال من ترك

(١) هكذا الاصل فليراجع فان المعارضة غير ظاهرة

المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمر و كائن من كان فان كل احد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في هـذا الباب من عجائب الامور مالا يحصيه إلا العليم بذات الصدور

وأما الحديث المأثور «ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» فهذا قد رواه أبو اسماعيل الانصاري شيخ الاسلام في كتابه الذي سماه الفاروق بين المثبتة والمعطلة وذكر فيه احاديث الصفات صحيحها وغريبها ومسندها ومرسلها وموقوفها وذكره أيضاً أبو حامد الغزالي في كتبه : ثم هذا يفسره بما يناسب أقواله التى يميل فيها الى مايشبه أقوال نفاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم

وذكر شيخ الاسلام عن شيخه يحيى بن عمار انه كان يقول المراد بذلك أحاديث الصفات فكان يفسر ذلك بما يناقض قول ابى حامد من اقوال اهل الاثبات: والحديث ليس اسناده ثابتاً باتفاق أهل المعرفة ولم يرو فى أمهات كتب الحديث المعتمدة فلا يحتاج الى الكلام في تفسيره واذا قدر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كلام مجمل ليس فيه تعيين لقول معين فحينئذ فما من مدع يدعي ان المراد قوله الا كان لخصمه أن يقول نظير ذلك : ولا ريب ان قول يحيى ابن عمار وأبى اسماعيل الانصاري ونحوهما أقرب من قول النفاة ان هذا العلم هو من علم النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق وعلم الصحابة: ومن المعلوم ان قول النفاة لا ينقله أحد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه لا باسناد صحيح ولا ضعيف بخلاف مذهب المثبتة فان القرآن والحديث والآثار عن الصحابة مملوءة به فكيف يحمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم على علم لم ينقله عنه احد ويترك حمله على العلم المنقول عنه وعن اصحابه وكذلك ماذكره البخاري عن علي رضى الله عنه انه قال «حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا مايكرهون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف وأمثاله

على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات وهذا تحريف ظاهر فان قول على أتحبون أن يكذب الله ورسوله دليل على ان ذلك ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لاصحيحاً ولاضعيفاً فكيف يكذب الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله بخلاف مارواه أهل الاثبات من أحاديث صفات الرب وملائكته وجنته وناره فان هذا كثير مشهور قد لاتحتمله عقول بعض الناس فاذا حدث به خيف أن يكذب الله ورسوله: ومن هذا الباب قول عبدالله بن مسعود «مامن رجل يحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم» وابن مسعود فيما يقول ذاكراً أو آمراً من أعظم الناس اثباتاً للصفات وأرواهم لاحاديثها واصحابه من اجل التابعين وابلغهم في هذا الباب وكذلك اصحاب ابن عباس فكل من كان من الصحابة اعلم كان اثباته واثبات اصحابه ابلغ: فعلم ان الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف مايظهرون ولا يظهرون الاثبات ويبطنون النفي ولا يظهرون الامر ويبطنون امتناعه بل هم اقوم الناس في تصديق الرسول فيما اخبر وطاعته فيما امره وهذا باب واسع دخل فيه من الامور مالايتسع الموضع لتفصيله ولكن نعلم جماع الامر ان كل قول وعمل فلابد له من ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه مايقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان وظاهر العمل حركات الابدان وباطنه مايقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الانسان

فالمنافق لما اتى بظاهر الاسلام دون حقائق الايمان لم ينفعه ذلك وكان من اهل الخسران بل كان في الدرك الاسفل من النار قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون)[1] الآيات فان الله انزل في اول سورة البقرة اربع آيات في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين وقال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك

[1] البقرة ٨-٩

لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)[1] وقال تعالى(لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)[2] الآية: والملاحدة يظهرون موافقة المسلمين ويبطنون خلاف ذلك وهم شر من المنافقين فان المنافقين نوعان نوع يظهر الايمان ويبطن الكفر ولا يدعى ان الباطن الذى يبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان والملاحدة تدعى ان ما تبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان وان الانبياء والاولياء هم من جنسهم يبطنون ما يبطنون مما هو كفر وتعطيل فهم يجمعون بين ابطان الكفر وبين دعواهم ان ذلك الباطن هو الايمان عند اهل العرفان فلا يظهرون للمستجيب لهم ان باطنه طعن في الرسول والمؤمنين وتكذيب له بل يجعلون ذلك من كمال الرسول وتمام حاله وان الذى فعله هو الغاية في الكمال وانه لا يفعله إلا اكمل الرجال من سياسته الناس على السيرة العادلة وعمارة العالم على الطريقة الفاضلة وهذا قد يظنه طوائف حقاً باطنا وظاهراً فيؤول امرهم الى ان يكون النفاق عندهم هو حقيقة الايمان: وقد علم بالاضطرار ان النفاق ضد الايمان ولهذا كان اعظم الابواب التى يدخلون منها باب التشيع والرفض لان الرافضة اجهل الطوائف واكذبها وابعدها عن معرفة المنقول والمعقول وهم يجعلون التقية من اصول دينهم ويكذبون على اهل البيت كذبا لا يحصيه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق انه قال: التقية ديني ودين آبائي. والتقية هى شعار النفاق فان حقيقتها عندهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق ثم اذا كان هذا من اصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون عن علي أو غيره من أهل البيت مما فيه موافقة أهل السنة والجماعة يقولون هذا قالوه على سبيل التقية ثم فتحوا باب النفاق للقرامطة الباطنية الفلاسفة من الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم فجعلوا ما يقوله الرسول هو من هذا الباب أظهر به خلاف ما أبطن وأسر به خلاف ما أعلن فكأن حقيقة قولهم ان الرسول هو امام المنافقين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه للمخاطب لهم بلسان عربى مبين قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان

١ ـ المنافقون ١
٢ ـ آل عمران ١٧٦

قومه ليبين لهم)[1] وقال تعالى (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)[2] وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[3] وقال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً)[4] وقال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين)[5] وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم)[6] وقال تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه)[7] وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب)[8] وقال تعالى (أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[9] وقال تعالى (فهل على الرسل الا البلاغ المبين)[10] وقالت الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وماعلينا الا البلاغ المبين)[11] وقال (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحُمّل وعليكم ماحُمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين)[12] وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)[13] وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته)[14] فهذا ونحوه مما يبين ان الرسل عليهم أن يبلغوا البلاغ المبين — يقال بان الشيء وأبان واستبان وتبين وبين كلها أفعال لازمة : وقد يقال أبان غيره وبينه وتبينه واستبانه —

ومعلوم ان الرسل فعلوا ماعليهم بل أخذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولايكتموه وذم كاتميه فقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه)[15] وقال تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله)[16] وقال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[17] فقد لعن كاتمه وأخبر انه بينه للناس في الكتاب فكيف يكون قد بينه للناس وهو قد كتم الحق وأخفاه وأظهر خلاف ما أبطن فلو سكت عن بيان الحق كان كاتماً ومن نسب الانبياء الى الكذب والكتمان مع كونه يقول أنبياء فهو من أشر المنافقين وأخبثهم وأبينهم تناقضاً وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر

١ - ابراهيم ٤
٢ - الزخرف ٣
٣ - القمر ١٧
٤ - مريم ٩٧
٥ - النحل ١٠٣
٦ - النحل ٤٤
٧ - القيامة ١٧ - ١٩
٨ - صٓ ٢٩
٩ - محمد ٢٤
١٠ - النحل ٣٥
١١ - يس ١٦-١٧
١٢ - النور ٥٤
١٣ - التغابن ١٢
١٤ - للائدة ٦٧
١٥ - ال عمران ١٨٧
١٦ - البقرة ١٤٠
١٧ - البقرة ١٥٩

ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك مسلك الباطنية في بعض الامور لافي جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص أو حل الخمر وغيرها من المحرمات لهم أو ان لبعضهم طريقاً الى الله عز وجل غير متابعة الرسول وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر ويظنون ان الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الاولياء ماجاز له من الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين : أحدهما ان الخضر لم يخرج عن الشريعة بل الذى فعله كان جائزاً في شريعة موسى ولهذا لما بين له الاسباب أقره على ذلك ولو لم يكن جائزاً لما أقره ولكن لم يكن موسى يعلم الاسباب التى بها أبيحت تلك كالملك الظالم فذكر ذلك له الخضر. والثانى ان الخضر لم يكن من أمة موسى ولا كان يجب متابعته بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه وذلك ان دعوة موسى لم تكن عامة فان النبي كان يبعث الى قومه خاصة ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل بعث الى الانس والجن باطناً وظاهراً فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته لافي الباطن ولافي الظاهر لامن الخواص ولامن العوام ومن هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد يجعلون الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل الطريق المقتدى بهم دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب ختم الاولياء بكلام ذكر انه يكون في اخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة وربما لوح بشيء من ذكر الانبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ولاريب انه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لاريب فيه ومن هناك ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعة يدعي كل واحد انه خاتم الاولياء كابن عربي صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما وصار بعض الناس يدعي ان في المتأخرين من يكون افضل في العلم بالله من أبي بكر وعمر والمهاجرين والانصار الى امثال هذه المقالات التى يطول وصفها مما هو

باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرون آل الامر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا ان من شهدها سقط عنه الامر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ماأشركنا ولا آباءنا ولاحرمنا من شيء)[١] وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالقدر فان اولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالانبياء والشرائع فهم من شر الناس: وقد بسط الكلام على هذه الامور في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه فكما ان الانسان لابد له من روح وبدن وهما متفقان فلابد لدين الانسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبوهريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وقد قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأمدهم بروح منه)[٢] وقال تعالى (هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم)[٣] وقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء)[٤] وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)[٥] وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون)[٦] وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن

١ ـ الأنعام ١٤٨
٢ ـ المجادلة ٢٢
٣ ـ الفتح ٤
٤ ـ الأنعام ١٢٥
٥ ـ الزمر ٢٣
٦ ـ الأنفال ٢

قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[١] وأمثال هذا كثير في القرآن وقال في حق الكفار (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)[٢] وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[٣] وأمثال ذلك فنسأل الله العظيم أن يصلح بواطننا وظواهرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

﴿ تمت الرسالة ﴾

١ ـ الرعد ٢٨
٢ ـ المائدة ٤١
٣ ـ البقرة ٧

وقد طبعت هذه الرسالة على نسخة بخط الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة بعد مراجعتها على نسخة موجودة في الكتبخانة الاهلية المصرية نمرتها ٢٤٣٦ فن التصوف .

رسالة

في رفع اليدين في الصلاة

« للشيخ الامام »

تقي الدين السبكي * المتوفى سنة ٧٥٦هـ(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الاحاديث الواردة في رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ملخصة لخصها الشيخ الامام العالم مفتي المسلمين قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي الشافعي أحسن الله توفيقه آمين

عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك» رواه البخاري ومسلم * وفي رواية البيهقي «فما زالت تلك صلاته حتى لقي الله تعالى» * عن أبي قلابة أنه رأى مالك بن الحويرث «إذا صلى كبر ورفع يديه إذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا أراد رفع رأسه من الركوع رفع يديه وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع هكذا» رواه البخاري ومسلم * وفيه في سنن أبي داود عن مالك بن الحويرث قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا ركع وذا رفع رأسه من الركوع» * عن وائل بن حجر رضي الله عنه وهو من أولاد الملوك «أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه حين دخل في الصلاة كبر وصفهما حيال أذنيه ثم

(١) أعد هذه الرسالة من مصنفات والده تاج الدين السبكي في طبقات الشفعية

التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه » رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري في كتاب رفع اليدين * وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم قتادة وأبو أسيد وسهل بن سعد ومحمد بن مسلمة « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه » رواه جماعة منهم أبو داود والبخارى في كتاب رفع اليدين وغيرهما بأسانيد صحيحة وأصله فى البخارى * عن أنس رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا دخل في الصلاة وإذا ركع واذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه مرفوعا والبخارى في كتاب رفع اليدين موقوفا والبيهقي مرفوعا بعضهم يزيد على بعض وسنده صحيح * عن أبي هريرة رضى الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الصلاة حذو منكبيه حين يفتتح الصلاة وحين يركع وإذا رفع للسجود » رواه أبو داود والبخارى في كتاب رفع اليدين * عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فى صلاة الظهر يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه والبيهقى واللفظ له * عن أبي موسى رضى الله عنه « قال هل أريكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ورفع يديه للركوع ثم قال سمع الله لمن حمده ورفع يديه ثم قال هكذا فاصنعوا » رواه الدارمى * عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما « أنه صلى بهم يشير بكفيه حين يقوم وحين يركع وحين يسجد وحين ينهض قال ميمون فانطلقت الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال ان أحببت أن تنظر الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدوا بصلاة ابن الزبير » رواه أبو داود * عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يصلى هكذا « يرفع يديه اذا افتتح الصلاة وإذا رفع رأسه من الركوع وقال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان يفعل مثل ذلك »

رواه البيهقي وقال رواته ثقات *عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه اذا كبر واذا رفع رأسه من الركوع» رواه الدارقطني *عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه «انه كان إذا قام الى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك اذا قضى قراءته وأراد أن يركع ويصنعه اذا رفع من الركوع» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدار قطني والطحاوي والبخاري في كتاب رفع اليدين وقال الترمذي حسن صحيح * وسئل احمد عنه فقال صحيح *عن عمر الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة» رواه ابن ماجه * عن البراء بن عازب رضي الله عنه «قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا افتتح الصلاة رفع يديه وإذا أراد أن يركع واذا رفع رأسه من الركوع» رواه الحاكم ثم البيهقي * عن النضر بن كثير «قال صلى الى جنبي ابن طاووس فكان اذا سجد السجدة الأولى فرفع رأسه منه رفع يديه تلقاء وجهه فقال ابن طاووس رأيت أبي يصنعه وقال اني رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يصنعه ولا أعلم الا أنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يصنعه» رواه أبو داود والنسائي * عن حميد بن هلال قال حدثني من سمع العرابي يقول «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يصلي يرفع» رواه أبو نعيم الفضل بن دكين * حديث مرسل * عن قتادة «أن رسول الله صلى عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع» رواه عبد الرزاق في جامعه * حديث آخر مرسل عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يكبر رفع يديه لا تجاوز أذنيه واذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه لا يجاوز أذنيه» رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة: حديث عن سليمان «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه في الصلاة» رواه مالك في الموطأ

عدة الصحابة الذين نقل عنهم رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن

ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومالك بن الحويرث وريد بن ثابت وابيّ بن كعب وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس والحسين بن على والبراء بن عارب وزياد بن الحارث وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وأبو قتادة وسليمان وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر وبريرة وأبو هريرة وعمار بن ياسر وعدى ابن عجلان وعمير الليثي وأبو مسعود الانصارى وعائشة وأبو الدرداء وابن عمر وابن الزبير وأنس ووائل بن حجر وأبو حميد وأبو أسيد ومحمد بن سلمة وجابر وعبد الله بن جابر البياضى واعرابى صحابى فهؤلاء ثلثة وأربعون صحابيا رضى الله عنهم رواه منهم الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة: العلماء القائلون برفع اليدين الصحابة لم يستثن منهم واحد ولم يصح عن أحد منهم تركه : ومن التابعين فمن بعدهم علماء أهل مكة والمدينة والحجاز واليمن والشام واكثر أهل العراق والبصرة واكثر أهل خراسان منهم سعيد بن جبير وعطاء ابن رياح ومجاهد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد العزيز والنعمان بن أبى عباس والحسن البصرى وابن سيرين وطاوس ومكحول وعبد الله بن دينار ونافع والحسن بن مسلم وقيس بن سعد وابن المبارك وعامة أصحابه : ومحدثو أهل بخارى منهم عيسى بن موسى وكعب بن سعيد ومحمد بن سلام وعبد الله ابن محمد المسندى والاوزاعى ومالك بن أنس في مشهور قوله والشافعي واحمد واسحق ويعقوب والحميدى وابن المدينى وابن معين وأهل الظاهر : وذهب الاوزاعي والحميدى وجماعة غيرهما الى أنه واجب وأنه يفسد الصلاة بتركه ومن الدليل لوجوبه أن مالك بن الحويرث رضى الله عنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفعله فى الصلاة وقال له ولاصحابه «صلوا كما رأيتمونى أصلى» والامر للوجوب وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا رأى رجلا لا يرفع يديه رماه بالحصى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والماب

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

رسالة

فى الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

تأليف

« شيخ الاسلام »

الحافظ ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلانى

المتوفى سنة ٨٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الذنوب وان عظمت كاشف الكروب ولو استحكمت احمده والحمد له من أوثق عرى الايمان واشكره واشكر له سبب مزيد الامتنان وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله الى الناس رحمة شاملة وبركة كاملة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هاجروا معه والذين نصروه والذين اتبعوا ما أنزل اليه من ربه فوازروه ووافدوه وعلى الذين اتبعوهم باحسان والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان صلاة وسلاما دائمين ما تعاقب الملوان وتجدد الجديدان:

وبعد فهذه أحاديث نبوية تتبعتها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة تحت معنى واحد رائق وهو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ماتقدم من الذنوب وما تأخر على لسان المصدوق الصادق وقد رتبتها على الابواب ليسهل كشفها

على الطلاب وسميتها بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة: وقبل الشروع في ايراد الاحاديث فقد أردت ان أذكر شيئاً من كلام الائمة هنالك في جواز وقوع ذلك

فمن ذلك ان الأئمة رضى الله عنهم تكلموا على قوله صلى الله عليه وسلم في أهل بدر « ان الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » بالجزم والرواية الأخرى « لعل الله » وقوله اعملوا للتكريم والمراد ان كل عمل عمله البدري لا يؤاخذ به وقيل ان اعمالهم السيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع وقيل أنهم حفظوا فلا تقع منهم سيئة : ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد في صوم يوم عرفة وانه يكفر ذنوب سنتين الماضية والمستقبلة وهو دال على وجود التكفير قبل وقوع الذنب

ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس فقلت يارسول الله ادع الله لى فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت » الحديث * وقال لعمر رضي الله عنه « غفر الله لك ماقدمت وماأخرت وما هو كائن الى يوم القيامة » فدعاء المعصوم بذلك لبعض امته دل على جواز وقوع ذلك واذا علم انه تعالى مالك كل شيء له ما في السموات ومافي الارض وما بينهما وما تحت الثرى لم يمتنع ان يعطى من شاء ما شاء (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فلنشرع في ايراد ما وعدنا به والله سبحانه أسأل ان ينفع به انه قريب مجيب لا إله الا هو عليه توكلت واليه أنيب

﴿ من كتاب الطهارة ﴾ قال ابو بكر بن ابى شيبة في مصنفه ومسنده معا من رواية حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان قال « دعا عثمان رضى الله عنه بوضوء في ليلة باردة وهو يريد الخروج الى الصلاة فجئته بماء فاكثر تردد الماء على وجهه ويديه فقلت له حسبك قد أسبغت الوضوء والليلة شديدة البرد فقال صب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ الوضوء عبد إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه ايضاً ابو بكر احمد بن على

المروزي شيخ النسائي والبزار في مسنده وأصل الحديث في الصحيحين لكن ليس فيهما « وما تأخر »

﴿ من كتاب الصلاة ﴾ قال أبو عوانة الاسفرائيني في مستخرجه الصحيح على مسلم من رواية سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال » وفي رواية محمد بن عامر « من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد ان لا اله الا الله قال أشهد أن لا إلٰه إلا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا » وفي رواية محمد بن عامر « رسولا غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل ياسعد ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذا الحديث أخرجه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى وليس عندهم « وما تأخر »

﴿ حديث صلاة التسبيح ﴾ قال ابو داود من رواية ابن عباس رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ياعماه ألا أعطيك الا امنحك الا احبوك الا افعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته ان تصلى اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وانت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وانت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عمرك » هكذا اورده ابو داود والترمذى وأورده ابن خزيمة وله شواهد أخر

(حديث في التأمين في الصلاة) قال ابن وهب في مصنفه ان أباهريرة رضى الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أمن الامام فأمنوا فان الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا رويناه في المجلس الثاني من أمالى عبدالله الجرجاني وهذا الحديث أخرجه مسلم وابن ماجه وليس فيه « ماتأخر »

(حديث في فضل الضحى) قال آدم بن اياس في كتاب الثواب عن على كرم الله وجهه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانًا واحتسابًا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ورفع له مائتى درجة وغفر له ذنوبه كلها ماتقدم منها وماتأخر الا القصاص » لكن اسناده ضعيف جداً

(حديث في فضل القراءة بعد الجمعة) قال أبو عبدالرحمن السلمى عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا سلم الامام من صلاة الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعًا سبعًا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأعطي من الاجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر » هكذا رواه أبو الاسعد القشيري وفى اسناده ضعف شديد جداً ٭ وفي مصنف ابن أبى شيبة عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما « من قرأ بعد صلاة الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الاخرى » وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر فاتحة الكتاب وقال « حفظ وكفي من مجلسه ذلك الى مثله »

(حديث في فضل الصيام) قال الامام احمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقيام رمضان من غير أن يأمرنا فيه بعزيمة ويقول من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا أخرجه الامام احمد في مسنده : ورواه مسلم وغيره من طرق كثيرة من غير « وماتأخر » : وقال النسائي فى السنن الكبرى له عن أبي هريرة

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وفي رواية أبي قتيبة « غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وفي حديث قتيبة « وماتأخر » كذا رواه النسائي عن قتيبة وتابعه حامد بن يحيى رضى الله عنه

(حديث في فضل قيام ليلة القدر) قال الامام احمد في مسنده عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أوثالثة أو آخر ليلة » هذاحديث رجاله ثقات : وفي طريق أخرى عن عبادة رضى الله عنه أيضاً « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو فى آخر ليلة فمن قامها إيمانا واحتسابا ثم وقعت له غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وذكر الطبراني في المعجم نحوه

(حديث في صيام يوم عرفة) قال ابوسعيد النقاش الحافظ في أماليه عن ابن عمر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وقد ثبت في صحيح مسلم انه يكفر ذنوب السنة الماضية والمستقبلة فلعل ذلك المراد من قوله « ماتقدم من ذنبه وماتأخر »

(من كتاب الحج : حديث في فضل الاهلال من المسجد الاقصى) قال ابوداود في كتاب السنن له عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحجة أوعمرة من المسجد الاقصا الى المسجد الحرام غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر أو وجبت له الجنة » شك عبدالله ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال « فيه غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ووجبت له الجنة » هكذا نسخته بواو وليس قبلها الف : ورواه البخاري

في تاريخه الكبير ولم يذكر فيه « وماتأخر »

(حديث في فضل الحج الخالص) قال ابو نعيم فى الحلية من رواية عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في من دعا له » : (حديث فى ذلك) قال ابوعبدالله بن مندة فى أماليه عن عائشة رضى الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله وان بقى حتى يقضى نسكه غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وانفاق درهم في ذلك الوجه يعدل الف الف في ماسواه فى سبيل الله » ورويناه في الجزء السابع من كتاب الترغيب لابى حفص عمر بن شاهين *(حديث آخر فى ذلك) أخرج احمد بن منيع في مسنده عن جابر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه أبو يعلى فى مسنده الكبير * كذلك حديث آخر ذكر القاضى عياض فى الشفا « ان من صلى خلف مقام ابراهيم ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين »

(حديث في فضل قراءة آخر سورة الحشر) قال أبو اسحق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

(حديث في فضل تعليم الولد القرآن) قال أبو بكر بن لال في كتاب مكارم الاخلاق عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علم ابنه قرآنا فكلما قرأ آية رفع الله بها للاب درجة حتى ينتهى الى آخر ما معه من القرآن »

(حديث في فضل التسبيح والتهليل والتكبير) قال أبو عبد الله محمد بن حيان في فوائد الاصفهانيين «عن أم هانىء رضي الله عنها وكانت تكثر الصيام

والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ضعفها فقال سأخبرك بما هو عوض عن ذلك تسبحين الله مائة مرة فتلك مائة رقبة تعتقينها متقبلة وتحمدين الله مائة مرة فذلك مائة بدنة تهدينها متقبلة وتكبرين الله مائة مرة وهناك يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « من عد في البحر أربعين موجة وهو يكبر الله غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وان الامواج لتحت الذنوب حتاً »

(من كتاب الجهاد: حديث في فضل الرباط بعكاء) قال أبو الحسن الربعي في كتاب فضائل الشام عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين يقال لها عكاء من دخلها رغبة فيها غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نوراً ومن أفاض منها كان طاهراً الى يوم القيامة » اسناده مجهول

(حديث في فضل قود الاعمى) خرج أبو عبد الله بن مندة في أماليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » قال عبد الله هو غريب وقال الامام احمد وابن معين وأبو داوود واته ثقات

(حديث في فضل السعي في حاجة المسلم) أخرج أبو احمد عبد الله بن محمد والمفسر الناصح عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجته قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق »

(حديث في فضل المصافحة) قال الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ما من عبدين متحابين في الله» وفي رواية «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وماتأخر» أخرجه ابن حبان

(حديث في فضل الحمد عقيب الاكل) قال أبو داود في السنن عن سهل ابن معاذبن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » اسناده حسن وسهل بن معاذ بن أنس هوالجهنى المصرى تابعى مشهور بالصدق

(حديث في فضل التعمير في الاسلام) وقع لنا من حديث عبد الله بن ابى بكر الصديق ومن حديث عثمان بن عفان ومن حديث شداد بن أوس ومن حديث أبى هريرة ومن حديث ابن عباس ومن حديث عبد الله بن عمر ومن حديث أنس رضي الله عنهم أجمعين أما حديث عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فقال أبو القاسم البغوى في معجم الصحابة عن عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجزام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا أبلغ سبعين سنة أحبته الملائكة » وفي رواية « أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع لاهل بيته » وفي رواية غير البغوى « شفعه الله في أهل بيته يوم القيامة » وأما حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنه فروى الترمذى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله جل ذكره اذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا أبلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيراً فاذا بلغ ستين سنة حببت اليه الانابة فاذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة فاذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته والقيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة أسير الله فى أرضه وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في أهل بيته » وأما حديث شداد بن أوس رضى الله عنه فقد أخرجه ابن حبان من طريق زيد بن

الحباب فذكر نحو ماتقدم : وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فقال الترمذى الحكيم في نوادر الاصول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا بلغ أربعين سنة وهو العمر أمنه الله من الخصال الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة وهو الدهر خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة وهو في ادبار من قوته رزقه الله الانابة اليه فيما يحبه فاذا بلغ سبعين سنة وهو الحقب أحبه أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة وهو الخرف أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة وهو الفقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في أهل بيته وسماه أهل السماء أسير الله فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض وحق على الله أن لايعذب حبيبه » وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فقال الحاكم فى تاريخ نيسابور عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال يثغر الغلام لتسع سنين ويحتلم فى أربع عشرة سنة ويتم طوله لاحدى وعشرين سنة ويجتمع له عقله لثمان وعشرين سنة ثم لايزداد بعد ذلك عقلا إلا بالتجارب فاذا بلغ أربعين سنة عافاه الله من أنواع البلاء من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ ستين سنة حببه الله الى أهل سمائه وأهل أرضه فاذا بلغ سبعين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ ثمانين سنة استحيي الله تعالى منه أن يعذبه فاذا بلغ تسعين سنة كان أسير الله في أرضه فلم يخط عليه القلم بحرف » وأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فله طرق كثيرة فمن أصحها ماذكره البيهقي في كتاب الزهد له عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وسمي أسير الله فى الارض وشفع في أهل بيته »

وقال ابو يعلى فى مسنده يرفع الحديث قال « المولود اذا لم يبلغ الحنث فما عمل من حسناته كتبت لوالده أو لوالديه وماعمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر الملكان اللذان معه أن يحفظاه ويسدداه.ا فاذا بلغ أربعين سنة فكما تقدم » ومن شواهد هذا ما أخرجه ابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من بلغ الثمانين من هذه الامة يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة » ومن شواهده أيضاً ما أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (في أحسن تقويم) أي فى أعدل خلق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى أرذل العمر (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن أرذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ماعمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا واسناده صحيح : ومما يدل على شهرة هذا الحديث في المتقدمين ماقاله الحسن بن الضحاك في أبيات

أنا فى الثمانين وفيتها ... وعندي قبول ولم أعتذر
وقد رفع الله أقلامه ... عن ابن ثمانين دون البشر
وانى لمن أسراء الله في الا ... رض نصيب صروف القدر
فان يقض لي عملا صالحا ... أثاب وان يقض شراً أغفر

وله أيضاً

أصبحت من أسراء الله محتسباً ... في الارض تحت قضاء الله والقدر
ان الثمانين إذ أوفيت عدتها ... لم تبق باقية منى ولم تذر

قال المصنف :

يارب أعضاء السجود عتقتها ... من فضلك الوافي وأنت الواقي
والعتق يسرى بالغنى ياذا الغنى ... فامنن على الفاني بعتق الباقي

﴿ تمت الرسالة وتم بها المجلد الاول من المجموعة المنيرية والحمد لله أولا وآخراً ﴾

فهـــرست

المجلد الاول من المجموعة المنيرية

صحيفة

صحيفة

مجموعة

الرسائل المنيرية

الجزء الاول

يشتمل على ١٣ رسالة

(١) ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد للصنعاني (٢) رفع الريبة للامام الشوكاني
(٣) شرح الصدور للشوكاني (٤) مسائل الاصول لابن حزم (٥) منظومة
في القدر لابن تيمية (٦) عقيدة السلف واصحاب الحديث للامام الصابونى
(٧) تحذير اهل الايمان للاسعردي (٨) فى الاستواء والفوقية والحرف والصوت
للامام ابي عبدالله الجوينى والد امام الحرمين (٩) نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي
(١٠) تفسير سورة الكوثر لابن تيمية (١١) في علم الظاهر والباطن لابن تيمية
(١٢) في رفع اليدين للامام تقي الدين السبكى (١٣) الخصال المكفرة للحافظ ابن حجر

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

مكتبة طيبة الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى: (اما بعد)
فان ادارة الطباعة المنيرية لم تزل باذلة جهدها في نشر الكتب العلمية النافعة التى هي علي طريق سلفنا الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم وقد اختارت رسائل مختلفة في علوم شتى هي من خيرة تأليف علماء المسلمين المتقدمين وقد جعلتها اجزاء متفرقة تظهر تدريجياً كل جزء منها مستقل في ذاته لاتعلق له بما تقدم ولا بما تأخر: وقد تم منها الجزء الاول فتزفه لطلاب العلوم النافعة ونبغاء النشئة الجديدة المتمسكة بدينها والعاملة بما كان عليه سلفها وفقنا الله واياكم لذلك: وعن قريب سيظهر الجزء الثانى ان شاء الله تعالى وبه ثقتي وعليه اعتمادي : مدير

إدارة الطباعة المنيرية

محمد منير الدمشقي

من علماء الازهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آله وصحابته ومن سار على هديه وإرشاده إلى يوم الدين . أما بعد :

فقد كان لمجموعة الرسائل المنيرية من الأثر أبلغه في نشر ما كان عليه السلف الصالح من صحيح العقيدة ، وقوة العزيمة ، وصدق الصلة بالله. ونظراً لما لهذه الرسائل من المكانة عند المؤمنين المخلصين ، فقد رأينا أن من الواجب علينا مراجعة الآيات القرآنية الكريمة ، وتخريجها ، لأن منهج هؤلاء العلماء يقوم على الرجوع إلى كتاب الله أولاً ، وسنة نبيه ثانياً . وقد تمكنا بفضل من الله من مراجعة الآيات آية آية ، فظهر لنا وقوع الخطأ في أكثر من أربعين آية في المجلد الأول وحده ، فعمدنا إلى تصحيحها وفقاً لكتاب الله سبحانه وتعالى ، كما أننا حاولنا تصحيح بعض الكلمات والحروف التي جاءت غير صحيحه أو محرفة وذلك بالقدر الذي تسمح به طبيعة النسخة التي بين أيدينا وبمقارنة هذه الطبعة بالطبعة الأصلية أو ما صوّر عنها يتجلى الفرق واضحاً . والله نسأل أن يسدد الخطا لما يحبه ويرضاه . والحمد لله رب العالمين .

القاهرة

في ١١ رمضان ١٤٠٤هـ الموافق ١١ حزيران (يونيو) ١٩٨٤م

مروان كجك